

سيرة الأئمة

علي بن أبي طالب

الجزء الرابع

مكتبة جامع الإمام

الباب الأوّل:

أحداث السقيفة
وما تلاها من عقود عصيبة

سيرة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

الطبعة الأولى: / شوال ١٤٢٤هـ - ١١/ ٢٠٠٣م

المفكر الإسلامي نجاح الطائي

دار الهدى لإحياء التراث - بيروت - لندن

العدد المطبوع: ١٥٠٠

NAJAH AL - TAEI

BEIRUT - LONDON

najahtae@yahoo.com

الفصل الاول : زمن أبي بكر

الفتنة

ذهب رسول الله ﷺ قبل موته إلى البقيع فخطب فخطبها قائلاً: السلام عليكم أهل المقابر لهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، يتبع آخرها أولها، الآخرة شر من الأولى^(١).

وأخبر النبي ﷺ علياً بأنه سيقا تل الناكثين والقاسطين والمارقين، وفعلًا قاتل علي ﷺ في معارك الجمل وصفين والنهروان^(٢).

فبعد انتصاره في معركة الجمل (الفتنة الاولى) توجه نحو القضاء على الفتنة الثانية، فنشبت معركة صفين، وكان عصيان عائشة وطلحة والزبير في معركة الجمل ساعد معاوية على إعلان العصيان في الشام والتوجه نحو حرب صفين. ثم ساعدت فتنة الجمل وصفين على نشوب فتنة الخوارج.

وفي معركة صفين استفاد معاوية وعمرو من القوات العسكرية المناهضة للإمام علي ﷺ والموجودة في صفوف جيشه من أمثال الاشعث بن قيس وقبيلته والخوارج.

إذ كان الاشعث قد فكّر في الالتحاق بمعاوية في الشام خوفاً من سلا حقة

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٢.

(٢) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنعي، ٦٩، كنز العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

الإمام علي عليه السلام له في قضايا الاموال التي سيطر عليها يوم ولايته لعثمان على آذربيجان^(١).

وبينما كان الاشعث ومرزقته في العراق كان ذو الخويصرة التميمي وأعوانه في جيش العراق أيضاً، وكان هؤلاء بحاجة إلى أي حجة للانتفاضة ضد قيادة وصي المصطفى مثلما عصا ذو الخويصرة رسول الله ﷺ.

ولما استخدم عمرو بن العاص مكيدته في رفع المصاحف طالب هؤلاء بإيقاف القتال والتحكيم، لمنع الانتصار المحاصل لصالح قوات الإمام علي عليه السلام، فهؤلاء تيقنوا بضرر انتصار العراقيين عليهم فتحركوا لمنع. ولم تقف فتنهم في منع هزيمة معاوية بل تحركوا نحو عزل علي بن أبي طالب عليه السلام بأكراهه على إنابة أبي موسى الاشعري عنه!

فهؤلاء متيقنون من عداء الاشعري لعلي عليه السلام من عدم مبايعته له ومن أفعاله المعارضة له في الكوفة! فكان الذي حدث مطالبة ابن العاص والاشعري بعزل علي بن أبي طالب عليه السلام. وكيف لا يفعلان ذلك وهما من أعمدة الحزب القرشي الذي حارب وصارع أهل البيت عليه السلام في مكة والمدينة وانزع الخلافة منهم غضباً.

وبعد فشل التحكيم تحرك رجال الفتنة في منحنى آخر، لاستمرار فتنهم يتمثل في انكار أفعالهم والقاء تبعه توقف القتال والتحكيم على الإمام علي عليه السلام! فلم يجد أمير المؤمنين علي عليه السلام بدأ من محاربتهم فكانت معركة النهروان المنتهية بهزيمة الخوارج.

وكانت قوات عائشة وقوات معاوية قد رفعوا المصاحف للتحكيم إليها بعد ظهور دلائل الهزيمة على قواتهم، وفي الموضوعين أشار الإمام علي عليه السلام بأنها مكيدة، فاطاعه عسكره في معركة الجمل فانتصروا وعصوه في معركة صفين فالتخلوا^(٢).

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ٩٢.

(٢) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١.

وكانت تلك الحزوب والحوادث الغريبة قد ساعدت على توسعة ساحة الفتنة وتعميقها وانتشار فكر التاكثين والفاسطين والمارقين بين الناس^(١).

وهذا التراث الكافر المعادي للحق هو الذي هيأ الارضية لمذمجة كربلاء واحراق الكعبة ومذمجة الحرة في المدينة وتحويل زعامة المسلمين إلى ملكية هرقلية. والفتنة امتحان يخسر فيها المبتلون ويربح فيها المؤمنون.

وعصيان قوات العراق لعلي بن أبي طالب عليه السلام وعدم اندفاعهم إلى الحرب وجبنهم وتفريقهم هو الذي دفع الإمام الحسن بن علي عليه السلام إلى مصالحة معاوية بن أبي سفيان!

فتلك القوات المفتونة بالدنيا والواقعة ضحية الاهواء المادية هي أضعف من محاربة أهل الشام والانتصار عليهم، فتحتم على الحسن عليه السلام الاختيار بين الهزيمة والصلح فاختر الصلح لحقن دماء المؤمنين.

وفساد تلك القوات وفتنتها لا يعني عدم وجود مؤمنين ومتقين فيها، إذ كان في صفوفها الحسين عليه السلام ومحمد بن الحنفية وعبد الله بن عباس وعبد الله بن جعفر والاحنف بن قيس وزيد بن صوحان وأبو الاسود الدؤلي وقيس بن سعد بن عبادة وعدي بن حاتم الطائي، وحجر بن عدي وعمرو بن الحمق الخزاعي وغيرهم.

ومن الناحية المادية يمكن القول بأن خطط الحزب القرشي هي التي أبعدت علياً عليه السلام عن الخلافة في زمن أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية، فالقضية ليست في المناقسة في الافضل بين علي عليه السلام وأبي بكر بل هي في أبعاد أهل البيت عليه السلام عن الخلافة للمجيء بكل طالع إليها من صفوف الحزب القرشي.

(١) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي ٦٩، كز العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

وفعلاً انتصر الحزب القرشي في خططه في السقيفة وما بعدها، فابعدوا علياً عليه السلام عن الخلافة بعد وفاة النبي ﷺ ثم وقف عمال الحزب القرشي على الولايات (معاوية، ابن العاص، الأشعري) مخالفين له مهئينين الفرصة لسلب الخلافة منه وتمكن ابن ملجم الخارجي من قتل علي بن أبي طالب عليه السلام بطل الحروب في محراب صلته في التاسع عشر من رمضان سنة أربعين هجرية، بعد إن عجزت قريش واليهود وغيرهم عن قتله في ساحات الوغى!

فكان علي عليه السلام صريعاً للفتنة التي أشار إليها المصطفى ﷺ والتي بدأت في سقيفة بني ساعدة وبرزت قرونها في الجمل وصفين والنهروان وكربلاء والحرة والمكة^(١).

المنافقون والاعراب والطلقاء ناصرُوا السقيفة

بعد فتح مكة سكن طلقاء مكة المنافقون في المدينة استعداداً لاغتصاب خلافة رسول الله ﷺ ومن هؤلاء أبو سفيان ومعاوية وعكرمة بن أبي جهل. وقبل موت النبي ﷺ كان رجال المسلمين من الطلقاء والانصار والاعراب قد تجمعوا في المدينة تمهيداً لحملة اسامة إلى الشام.

فكان الطلقاء وقادتهم والاعراب في المدينة وعلى رأس هؤلاء قبيلة أسلم وزعيمها المنافق أبو الأعور الأسلمي (السلمي) فكان هذا الاعرابي صديقاً حميماً لأبي بكر وعمر وأبي سفيان ومعاوية فشارك في السقيفة لمناصرة أبي بكر في بيعته المخالفة لبيعة الإمام علي عليه السلام، إذ قال عمر: ما أن رأيت أسلم حتى ايقنت بالنصر، وقد تراجمت سكك المدينة برجال أسلم.

واستمر في منهجه الاعرابي فشارك في حملة الدولة لاحراق فاطمة وعائلتها

(١) تاريخ الطبري، حوادث سنة ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١.

المتسببة في مقتلها، وشارك في مناصرة بيعة عمر وعثمان^(١). ثم خالف الإمام علياً عليه السلام ودعم معاوية في فتنته وشارك في صفوفه في صفين مثلما شارك في جيش أبي سفيان في بدر واحد والمخندق! وسار الأقرع بن حابس زعيم قبيلة تميم في خطى أبي الاعور الأسلمي فقد شارك في دعم كفار قريش في بدر واحد والمخندق ثم ناصر أبابكر في محاولته اغتصاب السلطة في السقيفة وكان الأقرع بن حابس صديقاً لأبي بكر^(٢). ولقد أستمروا الأقرع في مخالفته الإسلام بعد إسلامه إذ أرسله النبي ﷺ إلى كفار الطائف المحاصرين بعد إسلامه بعدة سنوات فخان رسول الله ﷺ هناك وطالب أهل الطائف بالصدود في محاربة النبي ﷺ فغزل جبرائيل وأخبر رسول الله ﷺ بالخبر فاعترف الأقرع بخيانتته^(٣).

وقد قال الله تعالى عن هؤلاء الأعراب: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾

وقد حصل زعماء قبائل الاعراب على جوائز مالية ضخمة من أبي بكر وحصلوا على أراضي زراعية واسعة تتميناً لجهودهم المناصرة له في السقيفة. في حين بقي الصحابة المخلصون المشاركون في العقبة وبدر واحد والمخندق وحنين فقراء محتاجين للخبز والتمر!

وتزوج عثمان بن عفان أم البنين بنت عيينة بن حصن الفزاري زعيم فزارة فكان زعماء الاعراب المنافقون أصحاباً لأبي بكر وعمر وعثمان. وكانت أعداد رجال هذه القبائل الأعرابية كثيرة فقد حمل أربعة آلاف مقاتل منهم النار والحطب على بيت فاطمة بنت محمد ﷺ لاحراقها يقودهم عمر بن الخطاب وفيهم عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وعثمان بن عفان وعكرمة

(١) لاحظ ترحمه في كتاب الاصابة لابن حجر وكتاب أسد الغابة لابن الاثم وكتاب تارود دمشق لابن عساكر.

(٢) سنن الترمذي ٥ / ٦٣ طبعة دول التعاون الخليجي.

(٣) المبسوط، السرخسي ٦ / ١٥٥.

بن أبي جهل والمغيرة بن شعبة ومعاذ بن جبل وأسيد بن حضير وعبد الله بن أبي ربيعة وبشير بن سعد (١).

اعترافات أبي بكر اللطيفة

لأبي بكر صراحة مذكورة، ولكن بدرجة أقل من عمر مثل قوله في خطبته الأولى: أيها الناس إني قد وليت عليكم، ولست بخيركم (٢).
ومن صراحته قوله: واعلموا أن لي شيطاناً يعتريني أحياناً (٣).
وقوله: لقد قلّدت أمراً عظيماً، مالي به طاقة ولا يد، ولوددت أن أقوى الناس عليه مكاني (٤). ويعني بقوله علي بن أبي طالب عليه السلام.
ومن صراحة أبي بكر قوله: إن بيعتي كانت فلتنة وفي الله شرّها (٥).
وكان أبو بكر إذا ذكر يوم أحد بكى ثم قال: ذاك يوم كان لطلحة، ثم انشأ يحدث قائلاً: كنت أول من فاء يوم أحد، فرأيت رجلاً يقاتل مع رسول الله ﷺ فقلت: كن طلحة حيث فاتني ما فاتني يكون رجلاً من قومي (٦).
ومن صراحته قوله قبل موته: ليتني لم أكشف بيت فاطمة، ولو أعلن عليّ الحرب (٧).

ومن صراحته قوله لعمر: نكلتك امك وعدمك يا ابن الخطاب، استعمله

(١) تاريخ أبي الفداء ١/١٦٤، العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤/٢٥٩، تاريخ الطبري ٣/١٩٨، انساب الأشراف، البلاذري ١/٥٨٦.

(٢) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٦٩.

(٣) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٦، تاريخ الطبري ٢/٤٦٠.

(٤) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٦، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/٤٧.

(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/٤٧.

(٦) طبقات ابن سعد ٣/١٥٥، السيرة النبوية، ابن كثير ٣/٥٨، كنز العمال ١٠/٢٦٨.

(٧) شرح نهج البلاغة ٦/٥١.

رسول الله ﷺ وتأمري أن انزعه (١).

وندم أبو بكر على اعتلائه السلطة قائلاً: وودت أني يوم سقيفة بني ساعدة كنت قدذفت الأمر في عنق احد الرجلين فكان اميراً وكنت وزيراً.

وبعدما قالت له فاطمة رضي الله عنها: والله لادعون الله عليك في كل صلاة اصلحها، خرج باكياً فاجتمع اليه الناس فقال لهم: يبيت كل رجل منكم معاتقاً حليلته مسروراً بأهله، وتركنموني وما أنا فيه، لا حاجة لي في بيعتكم، أقبلوني بيعتي (٢).
اذ أدرك أبو بكر أن قتله لفاطمة بنت محمد سيمنعه من نيل شفاعة النبي فندم ندماً سياسياً ولكن لم يرتب عليه أثراً يذكر.

وقال أبو بكر بصراحة: والله لو وضعت قدماً في الجنة وقدماً خارجها ما أمنت مكر الله (٣).

ففي نظره كيف يدخل الجنة من قتل سيدة نساء العالمين.

وقال أبو بكر: طوبى لمن مات في النأنة: أي في اول الإسلام قبل تحرك الفتن (٤).

وقال أبو بكر: وددت إنني خُضرة تأكلني الدواب (٥).

أما صراحة عمر العائمة فرجعها الى قوة الدولة واستقرار الاوضاع، وعادة

العرب وسجيته.

ومرجع صراحة عمر نحو الإمام علي عليه السلام إعتاد عمر على صدقه عليه السلام وغيرته

واخلاصه للإسلام والمسلمين وصبره على أذى الغاصبين.

(١) تاريخ الطبري ٢/٤٦٢، تاريخ أبي الفداء ١/٢٢٠.

(٢) الامامة والسياسة، ابن قتيبة ١/١٤، أعلام النساء ٣/٣١٤.

(٣) تاريخ الطبري ٢، كنز العمال ٥.

(٤) تاريخ الخلفاء، السيوطي ٩٨.

(٥) تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٠٤.

فهذه النوائح أولدت أطمئناناً في نفس عمر الى عدم غدر الامام علي عليه السلام وعدم احتياله.

وهذا الأطمئنان النفسي الذي ولد في قلب ونفس عمر بالرغم من هجومه على بيت فاطمة عليها السلام وسلبه الخلافة من الامام علي عليه السلام، هو الذي دعا عمر الى التصريح بمكانة الامام علي عليه السلام الدينية والعلمية والاجتماعية.

جاءت امرأة لعمر أيام خلافته، تطلب برداً من برد كانت بين يديه، وجاءت معها بنت لعمر، فأعطى المرأة ورداً لئبته.

فقيل له في ذلك، فقال: إنَّ أب هذه ثبت في يوم أحد، وأب هذه (أي عمر) فرَّ يوم أحد، ولم يثبت (١).

ومن صراحة عمر قوله لئبتي كنت بعة، وليتني كنت عذرة (٢).

تفكرأ منه لسيرته الخسنة .

ومن صراحة عمر قوله: في ابنه عبد الله: إنَّه عاجز عن طلاق زوجته (٣).

ورواية بيعة الإمام لأبي بكر والمتمثلة في دعوته أبا بكر إلى بيته قد جاءت عن طريق عروة بن الزبير الكذاب عن خالته عائشة.

وهي رواية كاذبة سعت فيها عائشة لتحصيل شرعية لخلافة أبيها (٤).

فقد جاء في الرواية المذكورة دعوة الإمام علي عليه السلام أبا بكر إلى داره ولما جاءه إليها بايعه هناك أمام بني هاشم وهذه الرواية مخالفة لأخلاق الإمام علي عليه السلام في رفضه البيعة السرية دائماً ودعوته للبيعة العلنية.

إذ رفض الإمام علي عليه السلام بيعة العباس بن عبد المطلب له أثناء تغيبه

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ١٢ .

(٢) حياة الصحابة، الكاندهلوي ٢ / ٩٩، كنز العمال ٦ / ٣٦١، ٣٦٥ .

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٦٥ .

(٤) مجمع النورين، المرندي ٢٤٨ .

النبي عليه السلام قبل اغتصاب أبي بكر وعمر الخلافة وأرادها بيعة علنية في مسجد رسول الله عليه السلام تأكيداً لبيعة الغدير.

ورفض بيعة الناس له في داره بعد مقتل عثمان ودعاهم إلى البيعة العلنية في المسجد النبوي وفي اليوم الثاني بايعه الناس بجاهيرهم في المسجد النبوي بيعة علنية في المسجد النبوي الشريف.

ووصف الإمام علي عليه السلام: بيعة الناس العلنية له قائلاً:

فتذاك الناس عليّ تذاك الأبل على حياضها حتى وطىء الحسنان وشقت اعطافي (١).

قال الطبري: فأتاه أصحاب رسول الله عليه السلام فقالوا: إنَّ هذا الرجل قد قُتِل ولا بد للناس من إمام ولا نجد اليوم أحق بهذا الأمر منك لا أقدم سابقة ولا أقرب من رسول الله عليه السلام.

فقال: لا تفعلوا فاني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً.

فقالوا: لا والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك.

قال الإمام علي عليه السلام: في المسجد فإنَّ بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلا عن رضى المسلمين (٢).

فكيف يبايع الإمام علي عليه السلام أبا بكر في بيته بيعة سرية؟

ولقد أصرَّ الإمام علي عليه السلام على عدم بيعة أبي بكر مدة ستة أشهر بقول الزهري الأموي، وفي تلك المدة ضحَّى باعزَّ مخلوق في حياته ألا وهو زوجته سيدة نساء أهل الجنة فاطمة بنت محمد أم سيدي شباب أهل الجنة، إذ قتلها عمر وجماعته في هجومهم على بيتها وهي أعظم تضحية له في حياته يومذاك وقُتِل في الحادثة ابنه

(١) الفصول المختارة، الشيخ المفيد ٢٢٨ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١٥٢، ١٥٣، كنز العمال ٣ / ١٦١ ح ٢٤٧١، تاريخ ابن أعمش ٢ / ١٦٠ -

١٦١، الأنساب، البلاذري ٥ / ٧٠، المستدرک، الحاكم ٣ / ١١٤ .

محسن .

وتحمل في طريقه المذكور مصاعب شتى منها أخذهم له بالحبال إلى مقر أبي بكر لاجباره على البيعة فامتنع أيضاً عن البيعة^(١).

فكيف يبائع بعد ستة أشهر بعد كل تلك التضحيات والمآسي؟!

ولقد ماتت فاطمة عليها السلام وهي غاضبة على الشيخين فكيف يبائعها الإمام

علي عليه السلام بعد ذلك؟

وأصرَّ سعد بن عباد على انتهاج طريق الإمام علي عليه السلام فامتنع عن البيعة

لأبي بكر حتى الموت إذ اغتالته الدولة في الشام!^(٢).

وكذلك امتنع أبوذر وسلمان الفارسي وعمار عن البيعة^(٣).

فهل من المنطق مبايعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر بعد تلك الاحداث المثيرة؟

والذي أعلنه الإمام علي عليه السلام لم يتبدل فكيف يتبدل رأي أمير المؤمنين عليه السلام.

إذ إتهم الإمام عليه السلام أبابكر باغتصاب السلطة وهذا أمر مستمر وحاصل

وزادت الدولة من ظلمها باغتيالها سعد بن عباد وتوليها المناصب للطلقاء مثل

عتبة بن أبي سفيان ويزيد بن أبي سفيان وعمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة

وعكرمة بن أبي جهل، وقتلهم مالك بن نويرة وأفراد قبيلته وزنا خالد بزوجته.

فكيف يبائع أمير المؤمنين عليه السلام أبابكر بعد هذه الأحداث والخطوب.

لقد أزدادت عائشة بروايتها المذكورة إثبات أمرين:

(١) تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١، العقد الفريد ٤/٢٥٩، أنساب الأشراف ١/٥٨٦، تاريخ الطبري ٤٤٢/٢ طبعة مصر القديمة، تاريخ يعقوبي ٢/١٢٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢، شرح نهج البلاغة، الرياض النضرة ١/١٩٧، تاريخ الخميس ١/١٨٨، السقيفة وفدك، الجوهري ٥١.

(٢) الأنساب، البلاذري ١/٥٨٩.

(٣) صفة الصفوة، ابن الجوزي ١/١٦١، قاموس الرجال ٨/٣٨٨، تاريخ الإسلام، الذهبي ٣/١٤٩/.

١- إيجاد شرعية لحكومة أبيها المغتصبة المخالفة لبيعة الغدير الالهية.

٢- تنفيذ مبادئ أمير المؤمنين عليه السلام الثابتة في معارضته اغتصاب الخلافة الالهية.

ولم يستطع الأمويون والطلقاء وأعاونهم إخفاء معارضة الإمام عليه السلام لبيعة أبي بكر لوضوحها وصحتها وإجماع المسلمين عليها.

لذا ابتكرو رواية مبايعة الإمام عليه السلام لأبي بكر بعد ستة أشهر من ذلك!!

وهذا مخالف لمبادئ الإمام عليه السلام الثابتة في هذه المجالات وهي مبادئ رسول

الله ﷺ النازلة من الله تعالى.

وتلفيق الامويين واعضاء الحزب القرشي للروايات يؤيده علماء الحديث.

ومبايعة الإمام عليه السلام لأبي بكر شرط أساسي لصحة خلافته فهو صاحب بيعة

الغدير ووصي النبي ﷺ وسيد المسلمين وقالت فاطمة سيدة نساء العالمين لأبي بكر

وعمر قبل موتها: والله لا أكلمكما من رأسي كلمة حتى ألقى ربي فأشكوكا إليه بما

صنعتا بي واركتبنا مني فقال أبو بكر: ليت أمني لم تلدني.

فقال عمر: عجباً للناس كيف ولوك أمورهم وأنت شيخ قد خرفت تجزع

لغضب امرأة وتفرح برضاها، وقاما وخرجا^(١).

اعتراف أبي بكر بعدم بيعة الإمام عليه السلام له

ولم يحضر الإمام علي عليه السلام في جمعة ولا جماعة مع أبي بكر، واستصر الانصار

وغيرهم عليه فقال أبو بكر بعد خطبة فاطمة بنت محمد ﷺ:

يستعينون بالضعفة ويستصرون بالنساء كأطحال أحب إليهن البغي إلا أني

لو أشاء أن أقول لقلت ولو قلت لبحت، اني ساكت ما تركت.

(١) البحار ٤٣/٢٠٤، فتح الباري، ابن حجر ٦/١٣٩، دلائل الصدق، المظفر ٣/٥٩٥.

ثم التفت إلى الانصار فقال: قد بلغني يا معشر الانصار مقالة سفهائكم وأحق من لزم عهد رسول الله ﷺ أنتم فقد جاءكم فأوتم ونصرتم إلا إني لست باسطاً يداً ولا لساناً على من لم يستحق ذلك مما (١).

فكانت تلك الاعمال جاهلية تتم عن جهل بالعلم وابتعاد عن الاخلاق وتحلل من الدين. وهي نابعة عن منهجية أعرايية مريضة وغمرة لعادات بربرية بالية. وسيرة رجال السقيفة المخالفة للإسلام والمدنية والقيم الاخلاقية تعود بالأمم عليهم.

وفي ذات الوقت تفضح مشروعهم اللأحضاري القائم على القسوة والشدة والاجبار. ولا تعير أهمية للمنطق والعقل فالنبي محمد ﷺ علم العرب على البيعة الحرة للزعيم عدّة مرّات في المدينة ومكة والحديبية (٢).

فبايعوه بيعة أخلاقية له ولوصية علي بن أبي طالب عليه السلام فتعلم المسلمون أصول البيعة الشعبية واحترام الرأي الشخصي للناخب بعيداً عن القسوة والتهمر والاستعباد. وكرر خاتم الانبياء هذه السلوكية الراقية في العقبة الاولى والثانية وفي المدينة المنورة وفي بيعة الرضوان وفي فتح مكة وفي غدير خم (٣).

العلماء: لم يبايع الإمام عليه السلام أبابكر

لم يبايع أمير المؤمنين علي عليه السلام طول حياته ولم يتمكن أحد من ارغامه على

(١) السقيفة وفدك، الجوهري ١٠٤، شرح النهج ١٦ / ٢١١ - ٢١٥، البحار ٢٩ / ٣٢٥.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦، العقد الفريد ٤ / ٢٥٩، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢ طبعة مصر القديمة، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢، شرح نهج البلاغة، الرياض النضرة ١ / ١٩٧، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، السقيفة وفدك، الجوهري ٥١.

(٣) راجع البداية والنهاية ٣ / ١٩٣، طبقات ابن سعد ٣ / ٦١٨، تاريخ الطبراني ٢ / ٣٦١، سيرة ابن هشام ٢ / ٨١.

البيعة لأنه بنص النبي ﷺ أولى من غيره والإمامة والخلافة ثابتة له.

قال محمد بن اسحاق صاحب السيرة: لم يحضر علي عليه السلام جمعة ولا جماعة (١). ومحمد بن اسحاق شيخ السيرة النبوية ومنه أخذ المؤرخون ثم حرّف ابن هشام سيرته فسميت بسيرة ابن هشام سيراً منه على المنهج الاموي في تغيير الاحداث والاقوال لصالح الحزب القرشي. وقال المفيد: (لم يبايع علي عليه السلام أبابكر).

اذ قال: قد أجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبابكر قط. واجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام تأخر عن بيعة أبي بكر فالمقل يقول تأخره ثلاثة أيام، ومنهم من يقول تأخر حتى ماتت فاطمة عليه السلام ثم لم يبايع بعد موتها. ومنهم من يقول تأخر أربعين يوماً، ومنهم من يقول تأخر ستة أشهر. والمحققون من أهل الإمامة يقولون: لم يبايع ساعة قط. فقد حصل الاجماع على تأخره عن البيعة، ثم اختلفوا في بيعته بعد ذلك (٢).

وأضاف المفيد قائلاً: فما يدل على أنه عليه السلام لم يبايع البتة أنه ليس يخلو تأخره من أن يكون هدى وتركه ضلالاً، ويكون ضلالاً وتركه هدى وصواباً، أو يكون صواباً وتركه صواباً، أو يكون خطأً وتركه خطأً.

فلو كان التأخر ضلالاً وباطلاً لكان أمير المؤمنين عليه السلام قد ضل بعد النبي ﷺ بتركه الهدى الذي كان يجب المصير إليه.

وقد أجمعت الأمة على أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يقع منه ضلال بعد النبي ﷺ ولا في طول زمان أبي بكر وأيام عمر وعثمان وصدراً من أيامه حتى خالفت الخوارج عند التحكيم وفارقت الأمة، وبطل أن يكون تأخره عن بيعه أبي بكر ضلالاً.

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٩ / ٢٨٤.

(٢) الفصول المختارة، المفيد ٣١.

وان كان تأخره هدى وصواباً وتركه خطأ وضلالاً فليس يجوز أن يعدل عن الصواب إلى الخطأ ولا عن الهدى إلى الضلال لاسيما والاجماع واقع على أنه لم يظهر منه ضلال في أيام الثلاثة الذين تقدموا عليه. ومحال ان يكون التأخر خطأ وتركه خطأ للاجماع على بطلان ذلك أيضاً ولما يوجب القياس من فساد هذا المقال.

وليس يصح أن يكون صواباً وتركه صواباً لأن الحق لا يكون في جهتين مختلفتين ولا على وصفين متضادين، ولان القوم المخالفين لنا في هذه المسألة مجمعون على أنه لم يكن اشكال في جواز الاختيار وصحة إمامة أبي بكر.

وانما الناس بين قائلين قائل من الشيعة يقول:

إن إمامة أبي بكر كانت فاسدة فلا يصح القول بها أبداً، وقائل من الناصبة يقول إنها كانت صحيحة ولم يكن على أحد ريب في صوابها، إذ جهة استحقاق الإمامة هو ظاهر العدالة والنسب والعلم والقدرة على القيام بالامور، ولم تكن هذه الامور تلتبس على أحد في أبي بكر عندهم.

وعلى ما يذهبون إليه فلا يصح مع ذلك أن يكون المتأخر عن بيعته مصيباً أبداً لانه لا يكون متأخراً لفقد الدليل بل لا يكون متأخراً لشبهة وإنما يتأخر إذا ثبت أنه متأخر للغناد.

فثبت بما بيناه أن أمير المؤمنين عليه السلام لم يبايع أبابكر على شيء من الوجوه كما ذكرناه وقدمناه، وقد كانت الناصبة غافلة عن هذا الاستخراج في موافقتها على أن أمير المؤمنين عليه السلام تأخر عن البيعة وقت ما، ولو فطنت له لسبقت بالخلاف فيه عن الاجماع وما أبعد انهم سير تكيون ذلك إذا وقفوا على هذا الكلام.

غير أن الاجماع السابق لم تكتب ذلك بحجه ويسقط قوله فيهن قصته ولا يحتاج معه إلى الاكثار^(١).

(١) الفصول المختارة، المفيد ٥٨.

رواة التاريخ: لم يبايع الإمام علي عليه السلام أبابكر أبداً

لم يبايع أمير المؤمنين علي عليه السلام طول حياته، ولم يتمكن أحد من ارغامه على البيعة لأنه عليه السلام كان بنص النبي صلى الله عليه وآله وسلم أولى من غيره، ولأن الامامة والخلافة كانت ثابتة فيه، وكيف يبايع وهو على يقين صادق، واعتقاد راسخ من أن الصحابة على يقين من أن محل علي عليه السلام منها محل القطب من الرحي، ينحدر عنه السيل ولا يرق إليه الطير، فسدل دونها ثوبا، وطوى عنها كشحا، وطفق يرتأي بين أن يصلو بيد جذا، أو يصبر على طخية عمياء، يهرم فيها الكبير، ويشيب فيها الصغير، ويكدر فيها مؤمن حتى يلتق ربه، فرأى أن الصبر على هاتا أحجى، فصبرت وفي العين قذى، وفي الحلق شجى. كيف يبايع أبو الحسن عليه السلام وهو يقول بصراحة وشهامة لأبي بكر: أنا أحق بهذا الأمر منكم، لا أبابكم وأنتم أولى بالبيعة لي^(١).

ولو فرضنا بيعته لأبي بكر فعناها انه عليه السلام صادق ووافق على إمامة أبي بكر، فما معنى هذه الخطب والمناشدات والاحتجاجات التي صدرت منه عليه السلام خلال حكومة أبي بكر، وعمر، وعثمان^(٢).

وقال محمد بن جرير الطبري، انه عليه السلام لم يبايع أصلاً ولو أنه بايعه كما بايع غيره لما وقع الخلاف في هذه الأمة في أمره سلام الله عليه خاصة من بين الصحابة وما هموا بقتله وجمعوا الخطب على بابه، وهموا باحراق بيته وفيه ولداه سيدا شباب أهل الجنة وريحتنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة عليه السلام^(٣).

(١) البحار ٣ / ١١، معادن الحكمة ٤٧٠، كشف المحجة لثمرة المهجة، ابن طاووس الحسيني ١٧٧.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦، العقد الفريد ٤ / ٢٥٩، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢ طبعه مصر القديمة، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٢٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢، شرح نهج البلاغة، الرياض النضرة ١ / ١٩٧، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، السقيفة وفدك، الجوهري ٥١.

(٣) الأربعين، الماحوزي ٢٦٥.

القبائل التي لم تتابع أبابكر

رفضت الكثير من القبائل المسلمة مبايعة أبي بكر طاعة منها لبيعتها الإمام علي عليه السلام في الغدير^(١). فتلك القبائل آمنت بالله ورسوله والتزمت بعهودها وبيعتها واستنكرت بيعة أبي بكر في السقيفة المخالفة لبيعة الغدير.

ومن تلك القبائل قبيلة هوازن التي حاربت المسلمين في معركة حنين ثم آمنت بالدين الحنيف. ولم تنس قبيلة هوازن لطف النبي ﷺ معها بعد المعركة من العفو عن الرجال واعادة النساء والاطفال والغنائم إليهم. فأصبحت هذه القبيلة وفية للإسلام وعهوده ووعوده ورفضت اغتصاب أبي بكر للسلطة معلنة الحرب دفاعاً عن نصوص الغدير الالهية. فقالت قبيلة هوازن: لا نتابع ذا الخلال^(٢).

وكفرت الدولة المعارضين لها من القبائل مفسرة معارضتهم بالارتداد! والقبيلة الثانية الملتزمة ببيعة الغدير الالهية والمخالفة لبيعة أبي بكر القسرية هي قبيلة مالك بن نويرة اليربوعي.

التي رفضت اعطاء الحقوق المالية لأبي بكر رفضاً منها لبيعته الاشرعية فقتلهم خالد بن الوليد وزنا بزوجة مالك بن نويرة ومثل برأسه ورؤوس قومه بوضعهم تحت قدور طعامه.

ثم أكل خالد وأفراد جيشه ذلك الطعام تقليداً منه لأعراب الجاهلية.

بينما قال رسول الله ﷺ: المثلة بالميت حرام^(٣).

(١) تاريخ أبي الفداء ١٥٦/١، العقد الفريد ٢٥٩/٤، أنساب الأشراف ١/٥٨٦، تاريخ الطبري ٤٤٢/٢ طبعة مصر القديمة، تاريخ يعقوبي ١٢٦/٢، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢، شرح نهج البلاغة، الرياض النضرة ١/١٩٧، تاريخ الخميس ١/١٨٨، السقيفة وفدك، الجوهرى ٥١.

(٢) شرح النهج، المعتزلي ٦/٤١ والخلال كساء فدكي يضعه عليه أبو بكر.

(٣) نيل الأوطار، الشوكاني ٤/١٧٦، فقه السنن، السيد سابق ١/٢٢٤، وسائل الشيعة،

وخالفت قبائل أخرى بيعة أبي بكر فحاربها أبو بكر تحت عنوان امتناعها من اعطاء الزكاة.

الصحابة المخالفون لبيعة أبي بكر

وعارض رؤوس الصحابة من المهاجرين والانصار بيعة أبي بكر المعارضة للنص الالهي فأسامة بن زيد لم يبايع إلى أن مات^(١).

وأبوذر جندب بن جنادة الغفاري لم يبايع الشيوخ الثلاثة ويتولى علياً عليه السلام. وكان ينكر على الثلاثة، قولاً وفعلاً وسراً وجهاراً^(٢).

فأبوذر تعلم ذلك من استاذه علي بن أبي طالب عليه السلام.

وفي صلاة الجمعة في الشام كان الوعاظ يذكرون مناقب الثلاثة فيقول أبوذر: لو رأيتموا ما أحدثوا بعده شيدوا البناء وليسوا الناعم وركبوا الخيل وأكلوا الطيبات^(٣).

وركز بريدة بن الحصيبي الأسلمي رأيته في وسط قبيلة أسلم قائلاً: لا أبايع حتى يبايع علي^(٤). ولم يبايع أبابكر سلمان الفارسي والمقداد بن عمرو وعمار بن ياسر. ومن الانصار: أبوالهيثم بن التيهان وسهل وعثمان ابنا حنيف وخزيمة بن ثابت ذو الشهداءتين وأبي بن كعب وأبو أيوب الانصاري^(٥).

العاملية ١/١٦، الايضاح، ابن شاذان ١٢٢، تاريخ الطبري ٣/٢٨٠، تاريخ ابن الأثير ٣/٣٥٨، البحار ٢٨/١٢، السنن الكبرى، البيهقي ٨/٣١٢، العقد الفريد، ابن عبد البر ٣/٤٧٠، سيرة عمر، ابن الجوزي ١٧٠، إرشاد الساري، القسطلاني ٩/٤٣٩، الاستيعاب ٢/٣٤٩.

(١) الصراط المستقيم علي بن يونس العاملية ٢/٣٠١.

(٢) شرح أصول الكافي، المازندراني ١٢/٢٧٤.

(٣) شرح أصول الكافي، المازندراني ١٢/٢٧٤.

(٤) الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم ٢/١٢٠.

(٥) الفوائد الرجالية، بحر العلوم ٢/٣٣٢.

ولم يبايع سعد بن عبادَةَ أبابكر حتى مقتله في مدينة حوران في الشام بيد رجال الدولة.

إذ نفته الدولة إلى الشام أولاً ثم أرسلت إليه خالد بن الوليد ومحمد بن مسلمة فقتلاه^(١).

ولم يبايع أهله وولده وعلى رأسهم الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادَةَ الذي كان من النبي ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة من الأمير^(٢).

ومن المنتعنين عن البيعة إلى مماته أيضاً خالد بن سعيد بن العاص.

قال المعتزلي: لم يبايع خالد بن سعيد بن العاص أبابكر لمدة سنة^(٣) إلى أن مسح أبوبكر يده بيد خالد وعرفها بيعة منه وهو لم يبايع أبداً إلى أن قتله الدولة في الشام مثلما قتلت سعد بن عبادَةَ فمات وهو رافض بيعة أبي بكر^(٤).

فتلك البيعة القائمة على الاحتيال لا تعتبر بيعة أصولية وهي فاقدة لابسطة معايير الانتخابات الحرة والشعبية.

وهي تبين نفس رجال السقيفة وأفكارهم وتلاعهم بحق المسلمين وعدم اهتمامهم بالقضايا الشرعية والقانونية وتركهم نظريات القرآن والسنة في الانتخاب واعتمادهم على مكر طغاة قريش ومكائدهم في هذا المجال.

فقد كانت القيادة المكية الجاهلية تتلاعب بحقوق القرشيين وتحتال عليهم بطرق شتى وضروب مختلفة من الاعمال الشيطانية والدسائس الابليسية^(٥).

(١) الأنساب، البلاذري ١ / ٥٨٩، قاموس الرجال ٨ / ٣٨٨، صفة الصفوة، ابن الجوزي ١ / ١٦١، طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٨.

(٢) اختيار معرفة الرجال، الطوسي ١ / ٢٩، مروج الذهب ٢ / ٣٠١، وسائل الشيعة ٢٠ / ٣٠١، شرح النهج ١٤ / ٣٦.

(٣) شرح النهج، المعتزلي ٦ / ٤١.

(٤) شرح النهج ٦ / ٤٣.

(٥) الصراط المستقيم، علي بن يونس العاملي ٢ / ٣٠١، شرح أصول الكافي، المازندراني ١٢

هل بايع علي عليه السلام الخلفاء مكرهاً؟

ذكر معاوية في رسالته إلى علي عليه السلام: أنه أبطأ على الخلفاء، فكان يقاد إلى البيعة كأنه الجمل الشارد، حتى يبايع وهو كاره^(١).

وقال معاوية له أيضاً: لقد حسدت أبابكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك واستغويت عصابة من الناس، حتى تأخروا عن بيعته وما من هؤلاء إلا بغيت عليه، وتلكأت في بيعته حتى حملت إليه قهراً تساق بخزائم الاقتسار، كما يساق الفحل المخشوش^(٢).

فأجابه أمير المؤمنين علي عليه السلام برسالة جاء فيها: وقلت إنني كنت أفاد كما يقاد الجمل المخشوش حتى أباع. ولعمر والله لقد أردت أن تدم فدمحت، وإن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً، ما لم يكن شاكاً في دينه...^(٣)، وأما الكراهة لهم فوالله ما اعتذر من ذلك^(٤).

هذه الروايات تدل على بيعة الإمام علي عليه السلام لأبي بكر وعمر وعثمان قهراً تحت حد السيف، ولم يكن مخيراً فيها. وقوة الروايات تنبع من أنها جاءت من فم علي بن أبي طالب عليه السلام، ومن فم عدوه اللدود معاوية بن أبي سفيان، وفي مصادر متعددة وصحيحة.

وكتب معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن الحنفية، رسالة جاء فيها: «ثم انهما (أبوبكر وعمر) دعواه إلى بيعتهما فابطأ عنهما، وتلكأ عليها، فهما به الهموم، وأرادوا

ج٢ / ٢٧٤، الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم ٢ / ١٢٠، اختيار معرفة الرجال، الطوسي ١ / ٢٩

مروج الذهب ٢ / ٣٠١، وسائل الشيعة ٢٠ / ٣٠١، شرح النهج ١٤ / ٣٦.

(١) الفتوح، ابن أعمش ٣ / ٤٧٤، العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤ / ٣١٢.

(٢) الاقتسار: الإكراه شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٥ / ١٨٦.

(٣) نهج البلاغة الكتاب رقم ٢٨.

(٤) العقد الفريد ٤ / ٣١٣.

بالعظيم»^(١).

وقال عمرو بن العاص لمعاوية: «وقد سمعته أنا وأنت وهو يقول: لو استمكنت من أربعين رجلاً يوم فتش البيت، يعني بيت فاطمة»^(٢).

فألذي لم يسمح لعلي بن أبي طالب عليه السلام بإعلان الحرب عليهم عدم وجود أربعين رجلاً ينصرونه في مطلبه.

وروى البلاذري عن ابن عباس قال: «بعث أبو بكر عمر بن الخطاب إلى علي عليه السلام حين قعد عن بيعته، وقال أتني به بأعنف العنف فلما أتاه جرى بينهما كلام فقال لعمر: احلب حلباً لك شطره والله ما حرصك على إمارته اليوم إلا ليؤترك غداً»^(٣).

وقال عمرو بن العاص (في محضر الحسن بن علي عليه السلام ومعاوية وعتبة بن أبي سفيان والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة):

إنَّ علي بن أبي طالب عليه السلام شتم أبابكر وكره خلافته وامتنع عن بيعته ثم بايعه مكرهاً^(٤).

معاوية يبين عدم مبايعة الامام علي عليه السلام لابي بكر

وقال معاوية بن أبي سفيان في رسالته لعلي عليه السلام: «لقد عرفنا ذلك في نظرك الشزر وقولك البحر وتنفسك الصعداء وابطائك عن الخلفاء وفي كل ذلك تقاد كما يقاد الفحل الخشوش.

(١) مروج الذهب، المسعودي ١٢/٣.

(٢) صفين، المنقري ١٦٣.

(٣) أنساب الأشراف ١/٥٨٧.

(٤) التذكرة، سبط بن الجوزي ٢٠٠، شرح نهج البلاغة ٦/٢٩١ خطبة ٨٣، جمهرة خطب العرب ٢/٢٧ رقم ١٨.

وأعهدك أمس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي الحسن والحسين يوم بويج أبو بكر فلم تدع أحداً من أهل بدر السوابق إلا دعوتهم إلى نفسك ومشيت إليهم بامرأتك واذلت إليهم بابنيك واستنصرتهم فلم يجبك منهم إلا أربعة أو خمسة.

ومهما نسيت فلا أنسى قولك لأبي سفيان لما حركك وهيحك: لو وجدت أربعين ذوي عزم لناهضت القوم»^(١).

لاحظ قول معاوية: قادوا علياً عليه السلام للبيعة كالجمل الخشوش.

ولما جيئ بعلي بن أبي طالب عليه السلام إلى أبي بكر قيل له بايع: فقال عليه السلام: وإن لم أفعل فه؟

فقيل: إذن والله نضرب الذي فيه عيناك.

قال علي عليه السلام: إن تقتلوني فأنا عبد الله وأخو رسوله.

فقال عمر: أما عبد الله فنعم وأما أخو رسول الله فالتراب بفيك.

فقال عليه السلام: يا بن صهاك لو لا كتاب من الله سبق لعلمت أننا الاذل، فاصفر وجه عمر ولم يقدر أن يتكلم^(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام لمعاوية: لعمر الله لقد أردت أن تدم فدمحت وأن تفضح فافتضحت، وما على المسلم من غضاضة في أن يكون مظلوماً ما لم يكن شاكاً في دينه ولا مرتاباً يقينه، وهذه حجتي إلى غيرك قصدها^(٣).

(١) شرح النهج ٢/٦٧، كتاب وقعة صفين، نصر بن مزاحم ١٨٢، مروج الذهب، المسعودي ٤١٤/١، الإمامة والسياسة ١/١٢، بيت الأحرار، القمي ١٠٠.

(٢) البحار ٨/٥٣ طبع حجري.

(٣) يحتاج الإمام علي عليه السلام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق ومعاوية المناق لا حاجة للاحتجاج إليه. نهج البلاغة ٣/٢٤، الفصول المختارة، المفيد ٢٨٧، البحار ٢٩/٦٢١، العقد الفريد ٢/٢٨٥، صبح الأعشى ١/٢٢٨.

لماذا لم يبايع الإمام عليه السلام أبابكر

ولما أخذ رجال الحزب القرشي الإمام عليه السلام قسراً إلى الجامع النبوي ليبايع أبابكر، وصاحوا به: بايع أبابكر، فأجابهم الإمام بحجته البالغة، ومنطقه الفياض قائلاً:

«أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أبايكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ، وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً؟

الستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم لمكانكم من رسول الله فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة؟

وأنا احتجّ عليكم بمثل ما احتججتم به على الأنصار، نحن أولى برسول الله حياً وميتاً، فأضفونا إن كنتم تؤمنون، وإلا فبوءوا بالظلم وأنتم تعلمون...»^(١).

فجوابه عليه السلام منطوق قائم على النصوص الالهية والاحاديث النبوية، واحتجاجاتهم خاوية قائمة على الارهاصات الجاهلية والعصبيات القبلية.

فانضم المؤمنون إلى صفوف الإمام عليه السلام وانضوى الفاسقون تحت راية السقيفة^(٢).

كلمة فاطمة الزهراء بعد قضية السقيفة

لائت الزهراء فاطمة خمارها على رأسها، واشتملت بجلابها، وأقبلت في لمة من حفدتها ونساء قومها، تطأ ذيوها، ما تحرم مشيتها مشية رسول الله ﷺ، حتى

(١) الاحتجاج ١ / ٧٣.

(٢) المسترشد، الطبري ٣٧٤، السقيفة وفدك، الجوهري ٤١، البحار ٢٨ / ١٨٥، الإمامة والسياسة ١٢، شرح النهج ٥ / ٢، كنز العمال ٦ / ٣٩١، المختار ٢٨، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣، الرياض النضرة ١٦٧، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٠٥.

دخلت على أبي بكر، وهو في حشد من المهاجرين والأنصار وغيرهم، فنيطت دونها ملاءة فجلست، ثم أتت أنّه أجهشت القوم بالبكاء، فارتج المجلس.

ثم امهلت هنيئةً، حتى إذا سكن نشيج القوم، وهدأت فورتهم، افتتحت الكلام بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله، فعاد القوم في بكائهم، فلما أمسكوا عادت في كلامها، فقالت ﷺ: الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما أهدى، والثناء بما قدّم من عموم نعم ابتدأها وسبوغ آلاء أسداها....

إلى أن قالت: فانقذكم الله سبحانه بحمد ﷺ بعد اللتيا والتي بعد أن مني بئهم الرجال وذؤبان العرب ومردة أهل الكتاب، كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها الله أو نجم قرن للشيطان أو فغرت فاعرة من المشركين قذف أخاه في هواها فلا ينكفي حتى يظأ صماخها باخمسه، ويخمد لها بسيفه. مكدوداً في ذات الله مجتهداً في أمر الله، قريباً من رسول الله، سيداً من أولياء الله مشمراً ناصحاً مجدداً كادحاً.

وأنتم في رفاهية من العيش وادعون فاكهون، آمنون، تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الاخبار، وتتكصون عند النزال وتفرون من القتال. فلما اختار الله لنبيه ﷺ دار انبيائه ومأوى اصفياته، ظهرت فيكم حَسَكَة النفاق، وسمل جلاب الدين^(١)، ونطق كاظم الغاوين^(٢)، ونبغ حامل الاقلين^(٣)، وهدر فنيق المبطلين^(٤)، فخطر في عرصاتكم^(٥).

واطلع الشيطان رأسه من مغرزه^(٦) هاتفاً بكم فألفاكم لدعوته مستجيبين،

(١) صار خلقاً.

(٢) كاظم الغاوين: الساكت، الضال، الجاهل.

(٣) ظهر من خفي صوته واسمه من الأذلاء.

(٤) هدر البعير: ردّد صوته في حنجرتة.

(٥) خطر: إذا حوَّك ذنبه.

(٦) المغرغز بكسر الراء: ما يختفي فيه.

وللغرة فيه ملاحظين^(١) ثم استنهضكم فوجدكم خفاقاً، وأحمشكم فألقاكم غضاباً^(٢) فوسمتم غير إيلكم^(٣) وأوردتم غير مشربكم^(٤).
هذا والعهد قريب والكلم رحيب، والمرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم محيطه بالكافرين، فهيات منكم وكيف بكم؟ وافي تؤفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم أموره ظاهرة واحكامه زاخرة، واعلامه باهرة، وزواجره لائحة، وأوامره واضحة، وقد خلقتموه وراء ظهوركم. أرغبة عنه تريدون؟ أم بغيره تحمكون؟ بنس للظالمين بدلاً.
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾^(٥).

ثم لم تلبثوا إلا ريث ان تسكن نفرتها ويسلس قيادها، ثم اخذتم تورون وقدتها وتبهجون جمرتها، وتستجيون لهتاف الشيطان الغوي، وإطفاء انوار الدين الجلي، وإخماد سنن الصفي، تسرون حسواً في ارتغاء، وتمشون لاهله وولده في الخير والضراء ونصبر منكم على مثل حز المدى، ووخز السنان في الحشى. وانتم الان ترعمون أن لا ارث لنا «أفحكم الجاهلية تبغون؟» ومن احسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ افلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أني ابنته.
ايها المسلمون أغلب على إرثي. يا بن ابي قحافة، أفي كتاب الله أن ترث أباك ولا أرث أبي، لقد جئت شيئاً فرياً^(٦).

أفعلى عمد تركتم كتاب الله ونبذتموه وراء ظهوركم؟ اذ يقول: ﴿وَوَرِثَ

(١) الغرة بكسر الغين: الانخداع.

(٢) احمشكم: أغضبكم.

(٣) الوسم: الكي، وسمه: كواه.

(٤) الشرب بكسر الشين: النصيب من الماء.

(٥) آل عمران: ٨٥.

(٦) فرياً: أمر عظيماً أو منكراً قبيحاً.

سَلِيمَانُ دَاوُدَ﴾^(١).

وقال فيما اقتص من خبر زكريا اذ قال: ﴿قَهَبَ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرْتَبِي وَيَرِثُ مِنِّي يَا يَعْقُوبُ﴾^(٢) وقال: ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾^(٣) وقال: ﴿يُرْصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَقِّ الْأُنثِيَيْنِ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلَّذِينَ وَالِ الْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾^(٥).

وزعمتم أن لا حظوة لي ولا إرث من أبي، أفخصمكم الله بآية اخرج أبي منها؟ ام تقولون: إن أهل ملتين لا يتوارثان، اولست انا وأبي من أهل مله واحده؟ ام انتم أعلم بخصوص القرآن من ابي وابن عمي؟ فدونها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك. فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعد القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون، ولا ينفعكم إذ تندمون، ولكل نبأ مستقر، فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه، ويحل عليه عذاب مقيم.

ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر النقيية واعضاد الملة وحضنة الاسلام، ما هذه الغمزة في حقي والسنة عن ظلامتي، أما كان رسول الله ﷺ ابي يقول المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم وعجلان ذا إهالة ولكم طاقة بما احاول، وقوة على ما أطلب وازاول.

ايها بني قبيلة أأهضم تراث أبي؟ وانتم بمرأى مني ومسمع ومنتدى وجمع، تلبسكم الدعوة وتشملكم الخيرة، وانتم ذوو العدد والعدة، والأداة والقوة، وعندكم السلاح، والجنة توافيكم الدعوة فلا تجيبون؟ وتأتسكم الصرخة فلا

(١) النمل: ١٦.

(٢) مريم: ١٩.

(٣) الانفال: ٧٥.

(٤) النساء: ١١.

(٥) البقرة: ١٨٠.

تعينون؟... فأتى حرتم بعد البيان؟ وأسررتم بعد الاعلان؟ ونكصتم بعد الاقدام واشركتم بعد الايمان. ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدأوكم أول مرة، أتخشونهم فإله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين.

ألا قد قلت ما قلت على معرفة مني بالخذلة التي خامرتكم والعدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس وفتنة الغيظ وخور القنا^(١) وبثّة الصدر وتقدمة الحجة. فدونكوها فاحتقبوها دبيرة الظهر، نقبة الحف، باقية العار، موسومة بغضب الله، وشنار الابد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الافئدة، فبعين الله ما تفعلون. ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢).

وانا ابنة نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا إننا عاملون وانتظروا إننا منتظرون».

لقد أجهت حبيبة الرسول إلى المسلمين تستنهض عزائمهم وتحثهم على الاطاحة بحكومة أبي بكر قائلة:

«يا معشر التقيّة وأعضاء الملة وحضنة الإسلام، ما هذه الغميرة في حقي، والسنة عن ظلامتي؟ أما كان رسول الله أبي يقول: المرء يحفظ في ولده، سرعان ما أحدثتم وعجلان ما أتيتم ثم تقولون: مات محمّد فخبط جليل استوسع وهنه، واستنهر فتقه، وانفق رتقه، وأظلمت الأرض لغييبته، وكسفت الشمس والقمر، وانثرت النجوم لمصيبيته، وأكدت الآمال، وخشعت الجبال، وأضيع الحريم، وأزيلت الحرمة عند مماته، فتلك والله! النازلة الكبرى، والمصيبة العظمى، لا مثلها نازلة، ولا باثقة عاجلة، اعلن بها كتاب الله جلّ ثناؤه في أفئيتكم، وفي ممساكم ومصبحكم، يهتف في أفئيتكم هتافاً وصراخاً وتلاوةً وألحاناً، ولقبلة ما حلّ بأنبياؤه الله ورسله حكم فصل، وقضاء حتم، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ

(١) ضعف النفس عن التحمل.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

أَيَّانَ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنَ يَصُرَ اللَّهُ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ».

واستنهضت الزهراء عليها السلام المسلمين للثورة على الاستبداد واحقاق العدل المحمدي قائلة:

«أيها بني قيلة^(١)، أأهضم تراث أبي وأنتم بمرأى مني ومسمعٍ ومنتدى ومجمع،

تلبسكم الدعوة، وتشملكم الخبرة، وأنتم ذوو العدد والعدة والأداة والقوة، وعندكم السلاح والجنّة^(٢)، توافيكم الدعوة فلا تحيون، وتأتيكم الصرخة فلا تغيثون، وأنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير والصلاح، والتخبة التي انتخبت، والخيرة التي اختيرت لنا أهل البيت. قاتلتكم العرب، وتحملتكم الكدّ والتعب، وناطحتكم الأمم، وكافحتكم البهيم، فلا نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحي الإسلام، ودرّ حلب الأيام، وخضعت نعة الشرك، وسكنت فورة الإفك، وخمدت نيران الكفر، وهدأت دعوة الهرج، واستوسق نظام الدين، فأنتي جرتم^(٣) بعد البيان، وأسررتم بعد الإعلان، ونكصتم بعد الإقدام، وأشركتم بعد الإيماّن؟ بعين الله ما تفعلون، وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون، وأنا ابنة نذيركم بين يدي عذابٍ شديدٍ، فاعملوا إننا عاملون، وانتظروا إننا منتظرون»^(٤).

استطاع رجال السقيفة القضاء على الثورة الجاهيرية العارمة الرابضة على الأبواب بطرق عدة:

(١) بنو قيلة: هم الأوس والخزرج من الأنصار.

(٢) الجنّة: بالضمّ ما يستتر به من السلاح.

(٣) جرتم: أي ملتم.

(٤) أعلام النساء ٣ / ٢٠٨، بلاغات النساء ١٢ - ١٩.

- ١- بواسطة جحافل الاعراب والمنافقين والطلاء الجاهزة في المدينة المنورة والتهيئة لكل أمر للقضاء على الأنصار وغيرهم.
- ٢- عن طريق الرشوة التي وزعها النظام على الناس، حتى أرجع بعض المسلمين تلك الرشوة ورفضوها.
- ٣- قيام أبي بكر بمناورة سياسية في هذا المجال تمثلت في امضائه كتاب فدك في إرث فاطمة عليها السلام ثم قيام عمر بتمزيق ذلك الكتاب فحسب بعض الناس حصول سيدة نساء إلى حقها في فدك. ولم تحصل على شيء من حقها (٢).

معارضة الإمام الحسن عليه السلام

كان الإمام الحسن عليه السلام لا يتجاوز عمره سبع سنين حينما وليّ أبو بكر، فقد انطلق إلى مسجد جدّه فرأى أبا بكر على المنبر، فوجّه إليه لاذع القول قائلاً:

«انزل عن منبر أبي واذهب إلى منبر أبيك...».

فبهت أبو بكر وأخذته الحيرة والدهشة، واستردّ خاطره فقال له بناعم القول: صدقت، والله! إنّه لمنبر أبيك لا منبر أبي (٣).

(١) تاريخ أبي الفداء، ١٦٤/١، العقد الفريد، ابن عبد ربّه، ٢٥٩/٤، تاريخ الطبري، ١٩٨/٣، انساب الأشراف، البلاذري، ٥٨٦/١.

(٢) المستدرک، الحاكم، ٥٣٤/٤، كنز العمال، ٤٣٥/١٠، المعجم الكبير، الطبراني، ٢٧/١٢، الصواعق المحرقة، ١٨٦، كنوز الحقائق، ١٥٣، الرياض النضرة، ٢٠٨/٢، الإمامة والسياسة، ١٣/١٣، شرح النهج، ١١٩/٢، الوافي بالوفيات، ٢/٥، العقد الفريد، ٢٥٩/٤، تاريخ الطبري، ٣/١٩٨، انساب الأشراف، ٥٨٦/١، الملل والنحل، الشهرستاني، ٥٦/١، مناقب آل أبي طالب، ٣/٤٠٧، المعارف، ٩٣، سيرة ابن دحلان، ٥٩/٢، كفاية الطالب، ٤١٣، لسان الميزان، ابن حجر، ٢٤٦/٥، ميزان الاعتدال، الذهبي، ١٣٩/١، إثبات الوصية، المسعودي، ١٢٣، أعلام النساء، ١١٤/٤، أعيان الشيعة، ١٢٣/٤٢، الخطط، المقريزي، ٣٤٦/٢.

(٣) الرياض النضرة، ١/١٣٩، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ١٧/٢، مقتل الحسين

وهو كلام سليم وصحيح في رفض قضية السقيفة المعارضة لبيعة الغدير النبوية نطق بها الحسن عليه السلام وهو سيد شباب أهل الجنة.

قال سلمان الفارسي لأبي بكر: يا أبا بكر، إلى من تستند أمرك إذا نزل بك ما لا تعرفه، وإلى من تفرع إذا سئلت عما لا تعلمه، وما عذرک في تقدّمک علی من هو أعلم منك، وأقرب إلى رسول الله، وأعلم بتأويل كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيّه، ومن قدّمه النبيّ في حياته وأوصاكم به عند وفاته، فنبتّم قوله، وتناسيتم وصيته، وأخلفتم الوعد، ونقضتم العهد، وحللتّم العقد الذي كان عقده عليكم من النفوذ تحت راية أسامة (١).

ولم يستطع أبو بكر الإجابة على هذا السؤال الواضح.

سعد بن عباد رئيس الانصار لم يبايع أبا بكر

كان سعد لما رأى الناس يبايعون أبا بكر نادى: أيها الناس إني والله ما أردتها حتى رأيتمكم تصرفونها عن علي عليه السلام ولا أبايعكم حتى يبايع علي عليه السلام ولعلي لا أفعل وإن بايع، ثم ركب دابته وأتى (حوران) وأقام في خان حتى هلك ولم يبايع.

وقام فروة بن عمر الانصاري وكان يقود مع رسول الله ﷺ فرسين ويصرع ألفاً ويشترى ثمراً فيتصدق به على المساكين فنادى: يا معشر قريش أخبروني هل فيكم رجل تحل له الخلافة وفيه ما في علي عليه السلام.

فقال قيس بن مخزّمة الزهري ليس فينا من فيه ما في علي عليه السلام.

﴿الخوارزمي ١/٩٣، مناقب آل أبي طالب ٢/١٧٢، وفي الإصابة (٢/١٥): «إنّ هذا الاحتجاج كان من الإمام الحسين»، جاء في الصواعق المحرقة: ١٠٥ وفي الصبيان المطبوع على هامش نور الأبصار ١٢٥: «أنّ الحسن قال ذلك لأبي بكر، ووقع للحسين مثل ذلك مع عمر بن الخطّاب».

(١) الإحتجاج - الطبرسي، ٤٢/١.

فقال له صدقت فهل في علي عليه السلام ما ليس في احد منكم.

قال: نعم.

قال: فما يصدقك عنه.

قال: اجتماع الناس على أبي بكر.

قال: أما والله لئن أصبتم سنتكم لقد أخطأتم سنة نبيكم، ولو جعلتموها في أهل بيت نبيكم لأكلتم من فوقكم ومن تحت أرجلكم فولى أبو بكر فقارب واقتصد فصحبته مناصحاً وأطعته فيما أطاع الله فيه جاهداً حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الامر عني ولو لا خاصة بينه وبين عمر أمر كانا رضياه بينهما لظننت أنه لا يعدله عني وقد سمع قول النبي ﷺ لبريدة الاسلمي حين بعثني وخالد بن الوليد إلى اليمن وقال إذا افترقتما فكل واحد منكما على حياله وإذا اجتمعتما فعلي عليكم جميعاً فغزونا وأصبنا بياً فيهم خولة بنت جعفر جار الصفا وإنما سمي جار الصفا من حسنه وأصبنا سيباً وأخذ علي عليه السلام جارية واغتمها خالد مني وبعث بريدة إلى رسول الله محرشاً علي فأخبره ما كان من أخذي خولة، فقال ﷺ يا بريدة حظي في الخمس أكثر مما أخذ، إنه وليكم بعدي^(١) سمعها أبو بكر وعمر وهذا بريدة حي لم يموت.

فهل بعد هذا مقال لقائل قال الإمام عليه السلام فيبايع عمر دون المشورة، فكان مرضي السيرة من الناس عندهم حتى إذا احتضر قلت في نفسي ليس يعدل بهذا الامر عني للذي قد رأى مني في المواطن، وسمع من الرسول ﷺ فجعلني سادس ستة وأمر صهيباً أن يصلي بالناس ودعا أبا طلحة زيد بن سعد الانصاري فقال له كن في خمسين رجلاً من قومك فاقتل من أبى أن يرضى من هؤلاء الستة.

فالعجب من اختلاف القوم إذ زعموا أن أبا بكر استخلفه النبي ﷺ، فلو كان

(١) يبايع المودة، الحنفي ٢ / ٢٣٤، تاريخ الطبري ٢ / ٤٠٢، سيرة ابن هشام ٤ / ١٠٢١، كشف الغمّة، الإربلي ١ / ٢٩٥.

هذا حقاً لم يخف على الانصار فبايعه الناس على الشورى ثم جعله أبو بكر لعمر برأيه خاصة، ثم جعلها عمر برأيه شوري بين ستة فهذا العجب من اختلافهم، والدليل على ما لا أحب أن أذكر قول هؤلاء الرهط الذين قبض رسول الله ﷺ وهو عنهم راض فكيف يأمر بقتل قوم رضي الله عنهم ورسوله، وإن هذا الامر عجيب، ولم يكونوا لولاية أحد منهم أكره منهم لولايتي كانوا يسمعون وأنا أحاج أبا بكر فأنا أقول يا معشر قريش أنا أحق بهذا الامر منكم ما كان منكم من يقرأ القرآن ويعرف السنة ويدين دين الله الحق وإنما حجتي أني ولي هذا الامر من دون قريش^(١). وكان الإمام عليه السلام يزور الانصار حاملاً معه فاطمة والحسين داعياً إياهم لبيعتهم^(٢).

وأراد عثمان التآمر لإبعاده عن المدينة باقتراحه ارسال الإمام علي عليه السلام للحرب الفرس قاتلاً؛ إبعث رجلاً له تجربة بالحرب ومضربها. فشكك عمر في قبوله ذلك. ولما كلمه عثمان رفض الإمام علي عليه السلام ذلك الاقتراح. وقال الواقدي والبلاذري وابن الاثير والبخاري ومسلم: لم يبايع علي عليه السلام ستة أشهر^(٣). فقتلت الدولة سعد بن عبادة ظلماً^(٤) لتنتفع صفحة الاغتيالات التي راح ضحيتها رجال الدولة أنفسهم!

(١) البحار ٣ / ١١، معادن الحكمة ٤٧٠، كشف المحجّة لثمرة المهجة، ابن طاووس الحسني ١٧٧.

(٢) ذكره الثعلبي في تفسيره وأخرجه هاشم البحراني في غاية المرام ٣١٨.

(٣) الفوائد الرجالية، السيد بحر العلوم ٢ / ١٢٠، صحيح مسلم ٣ / ١٣٨٠ ح ٥٢، جامع الأصول ٤ / ١٠٣ ح ٢٠٧٨.

(٤) شرح النهج ٢ / ٤، كنز العمال ٣ / ٣٢٣، مسند أحمد ١ / ٥٥، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٦، تاريخ ابن الاثير ٢ / ٣٢٥، تاريخ الإسلام، الذهبي ٣ / ١٤٩، طبقات ابن سعد ٣ / ٤٥٩، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٩، العقد الفريد ٤ / ٢٤٧.

معارضة عمار بن ياسر

وعمار بن ياسر من المساهمين في بناء صرح الإسلام، ومن المعذبين في سبيل الله، وكان أثيراً عند النبي ﷺ، ومن خلّص أصحابه، ولما آلت الخلافة إلى أبي بكر اندفع إلى الإنكار عليه وعلى القرشيين قائلاً:

يا معاشر قريش، ويا معاشر المسلمين، إن كنتم علمتم وإلا فاعلموا أن أهل بيت نبيكم أولى به، وأحقّ بإرثه، أقوم بأمر الدين، وآمن على المؤمنين، وأحفظ لملته، وأنصح لأئمة، فإروا صاحبكم فليرد الحقّ إلى أهله قبل أن يضطرب حبلكم، ويضعف أمركم، ويظهر شقاقكم، وتعظم الفتنة بكم، وتختلفون فيما بينكم، ويطمع فيكم عدوّكم، فقد علمتم أن بني هاشم أولى بهذا الأمر منكم، وعليّ أقرب منكم إلى نبيّكم، وهو من بينهم وليّكم بعهد الله ورسوله، وفرق ظاهر قد عرفتموه في حال بعد حال عندما سدّ النبي ﷺ أبوابكم التي كانت إلى المسجد كلّها غير بابيه، وإيثاره إيّاه بكرمته فاطمة، دون سائر من خطبها إليه منكم، وقوله ﷺ: «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»، وأنكم جميعاً مضطرونّ فيما أشكل عليكم من أمور دينكم إليه، وهو مستغن عن كلّ أحد منكم، إلى ما له من السوابق التي ليست لأفضلكم عند نفسه، فما بالكم تحيدون عنه، وتبتزون عليّاً على حقّه، وتؤثرون الحياة الدنيا على الآخرة، بئس للظالمين بدلاً، أعطوه ما جعله الله له، ولا تولّوا عنه مدبرين، ولا ترتدّوا على أعقابكم فتقلبوا خاسرين^(١).

فكان رداً علمياً على بيعة السقيفة الظالمة البعيدة عن الدين.

معارضة أبي ذر

وهو صوت الحرية والعدل والمساواة فنقم هذا الصحابي الجليل على القوم

(١) الإحتجاج، الطبرسي ٤٣/١.

لاقصائهم الإمام عن الخلافة، فقال مخاطباً القرشيين والأَنْصار:

أما بعد يا معشر المهاجرين والأَنْصار، لقد علمتم وعلم خياركم أن رسول الله ﷺ قال: «الأمْرُ لِعَلِيٍّ بَعْدِي ثُمَّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، ثُمَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي مِنْ وُلْدِ الْحُسَيْنِ»، فطرحتم قول نبيّكم وتناسيتم ما أوعز إليكم، واتبعتم الدنيا، وتركتم نعيم الآخرة الباقية التي لا يهدم بنيانها، ولا يزول نعيمها، ولا يحزن أهلها، ولا يموت سكانها، وكذلك الأمم التي كفرت بعد أنبيائها بدّلت وغيّرت، حذو القذة بالقذة، والنعل بالنعل، فمعا قليل تذوقون وبال أمركم، وما الله بظلام للعبيد..^(١).

معارضة المقداد

نقم المقداد على بيعة أبي بكر الجاهلية وخاطبه بعنف قائلاً:

يا أبا بكر، ارجع عن ظلمك، وتب إلى ربّك، وسلّم الأمر إلى صاحبه الذي هو أولى به منك، فقد علمت ما عقده رسول الله ﷺ في عتقك من بيعته...^(٢)، والأزمك بالنفوذ تحت راية أسامة بن زيد، وهو مولاه، وثبّه على بطلان وجوب هذا الأمر لك ولمن عضدك عليه، بضمّه لكما إلى علم النفاق ومعدن الشنآن والشقاق عمرو بن العاص الذي أنزل الله فيه: «إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ»^(٣).

وأضاف بعد ذلك قائلاً:

اتق الله، وبادر بالاستقالة قبل فواتها، فإنّ ذلك أسلم لك في حياتك وبعد وفاتك، ولا تترك إلى دنياك، ولا تعرّتك قريش وغيرها، فعن قليل تضمحلّ عنك

(١) الخصال: ٤٣٢.

(٢) يشير بذلك إلى حديث الغدير الذي بايع فيه المسلمون الإمام بالإمرة والخلافة، والحديث مجمع عليه.

(٣) الكوثر: ٣، فأولاد عمرو بن العاص ليسوا منه!

دنياك، ثمّ تصير إلى ربك فيجزيك بعملك، وقد علمت وتيقنت أنّ عليّ بن أبي طالب هو صاحب الأمر بعد رسول الله ﷺ، فسلمه إليه ما جعله الله له، فإنه أتمّ لسترك، وأخف لوزرك، فقد والله! نصحت لك إن قبلت نصيحتي وإلى الله ترجع الأمور^(١).

معارضة عتبة بن أبي لهب

وكان من المؤمنين الأخيار المخالفين للسقيفة فعبر عن شعوره بهذه الآيات: ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرفٌ عن هاشمٍ ثمّ منهم عن أبي حسنٍ عن أول الناس إيماناً وسابقةً وأعلم الناس بالقرآنِ والشُّننِ وآخر الناس عهداً بالنبيِّ ومن من فيه ما فهمهم لا يمترون به وليس في القوم ما فيه من الحسنِ^(٢) وحكت هذه الآيات عن أساءه ولوعته عن عدم تقلد الإمام للخلافة الذي هو أوّل الناس إيماناً برسول الله ﷺ وأعلمهم بالكتاب والسنة، وآخرهم عهداً بالنبي ﷺ، وأن الصفات الكريمة المتوقّرة فيه لا توجد عند غيره، فكيف أقصي هذا العملاق العظيم عن الخلافة وتقلدها عمر سمسار الحمير^(٣).

معارضة أبي أيوب الأنصاري:

أما أبو أيوب الأنصاري فهو من ألمع أصحاب الإمام عليه السلام، وقد شهد معه مشاهدته كلها، وقد آمن بحقه، وأنه أوّل بالخلافة من غيره^(٤)، وقد أنبرى للإنكار

(١) الإحتجاج ١/ ١٠١.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١/ ١٥٩.

(٣) الصراط المستقيم ٣/ ب ٢٨/ ١٢.

(٤) الكنى والألقاب ١/ ١٣.

على أبي بكر فقال له:

أتقوا الله عباد الله في أهل بيت نبيكم، وردّوا إليهم حقهم الذي جعله الله لهم، فقد سمعتم مثل ما سمع اخواننا في مقام بعد مقام لنبينا ﷺ، ومجلس بعد مجلس يقول: «أهل بيتي أمّتكم بعدي» ويومئ إلى عليّ، ويقول: «وهذا أمير البرّرة، وقاتل الكفّرة، مخذول من خذله، منصور من نصره، فتوبوا إلى الله من ظلمكم إياه، إنّ الله تواب رحيم، ولا تتولّوا عنه معرضين»^(١).

فكانت لوحة إسلامية رائعة وكاملة من قلب مليّ بالإيمان.

معارضة عبد الله بن أبي بن كعب:

وأبي بن كعب الأنصاري سيّد القراء، ومن أصحاب العقبة الثانية، شهد مع النبي ﷺ المشاهد كلها، وكان عمر يسمّيه سيّد المسلمين^(٢)، وقد أنكر على ابن أبي بكر تمصّصه للخلافة، قائلاً:

يا أبا بكر، لا تجحد حقاً جعله الله لغيرك، ولا تكن أوّل من عصى رسول الله ﷺ في وصيّته وصفيّه، وصدف عنه أمره، اردد الحقّ إلى أهله تسلّم، ولا تتباد في غيئك فتندم، وبادر الإنابة بحفّ وزرك، ولا تختصّ بهذا الأمر الذي لم يجعله الله لك، فتلقى وبال عملك، فعن قليل تفارق ما أنت فيه، وتصير إلى ربك فيسألك عما جنيت، وما ربك بظلام للعبيد^(٣).

وهي شهادة من صحابي جليل بتقصص أبي بكر السلطة ومؤامراته في اغتصاب خلافة الإمام علي عليه السلام.

وفعلاً لم يحكم أبو بكر إلا سنتين فقط!

(١) الكنى والألقاب ١/ ١٣.

(٢) الإصابة ١/ ٣١.

(٣) هذه هي الشيعة ٩٦.

معارضة النعمان بن عجلان

والنعمان بن عجلان شاعر الأنصار الشهير، وهو من الناقين على خلافة أبي

بكر، قائلاً:

وقلتم حراماً نَصَبُ سَعْدٍ وَنَصْبُكُمْ عَتِيقَ بِنِّ عَثَانَ حِلَالاً أَبَا بَكْرٍ؟
وأهلُّ أبا بَكْرٍ لها خَيْرٌ قائمٌ وَأَنَّ عَلِيًّا كَانَ أَخْلَقَ بِالْأَمْرِ
وَأَنَّ هَوَاناً فِي عَلِيٍّ وَأَنَّهُ لِأَهْلِ لها من حيث يدري ولا يدري^(١)
فَيَبِّئُ الْأَهْلِيَّةَ الْقِيَادَةَ لِلْإِمَامِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْإِدَارَةِ وَالسِّيَاسَةِ، بِأَسْلُوبِ شَيْقٍ.

معارضة عثمان بن حنيف

من الأنصار المخلصين المقربين من رسول الله ﷺ وأهل بيته الطاهرين وكان عثمان بن حنيف من خيار الصحابة، وقد انضم إلى الجماعة التي أنكرت على أبي بكر، فقد قال له: سمعنا رسول الله ﷺ يقول:

«أهلُ بيتي نُجُومُ الْأَرْضِ، فَلَا تَنْقَدُّمُوهُمْ، فَهَمُّ الْوَلَاةِ مِنْ بَعْدِي».

فقام إليه رجل فقال: يا رسول الله، وأي أهل بيتك؟

فقال: «عَلِيٌّ وَالطَّاهِرُونَ مِنْ وَوَلَدِهِ»^(٢).

وحكى هذا الاحتجاج النصّ الوارد من النبي ﷺ في شأن أهل بيته، وهو صريح واضح في تعيينهم خلفاء لأئمتهم.

معارضة سهل بن حنيف

من رموز قيادات الانصار المجاهدة، وقد أعلن تأييده للإمام عليه السلام، فقد قال

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٩ / ١٧٤ موسوعة الامام علي، ربي شهري ٤ / ٦٢.
(٢) الإحتجاج ١ / ١٠٣، البحار ٢٨ / ٢٠١، الكافي، الكليني ١ / ٥١ طبع إيران سنة ١٣٨١.

زمن أبي بكر

بعد حمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي ﷺ:

يا معشر قريش، شهدوا عليّ، إني أشهد على رسول الله ﷺ وقد رأيته في هذا المكان يعني جامعة سوق أخذ بيد علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول:

«أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا عَلِيٌّ إِمَامُكُمْ مِنْ بَعْدِي، وَوَصِيِّي فِي حَيَاتِي وَبَعْدَ وَفَاتِي، وَقَاضِي دِينِي، وَمُنَجِّزَ وَعْدِي، وَأَوَّلَ مَنْ يُصَافِحُنِي عَلَى حَوْضِي، وَطُوبَى لِمَنْ تَبِعَهُ وَتَصَرَّهَ، وَالْوَيْلُ لِمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهُ وَخَذَلَهُ»^(١).

لقد أدلى سهل بشهادته أمام المسلمين على إمامة الإمام أمير المؤمنين وعلي سمو منزلته، وعظيم مكانته عند الله تعالى وعند رسوله. وذكرهم ببيعة الغدير الإلهية.

معارضة خزيمه بن ثابت

كان خزيمه مضحياً بنفسه ودمه وماله في سبيل الله تعالى إلى حين مماته وقد كانت شهادته عند النبي ﷺ تعادل شهادة شاهدين، وذلك لما عرف به من الصدق، وقد أعلن تأييده الكامل للإمام عليه السلام قائلاً:

أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَبِلَ شَهَادَتِي وَحَدِي، وَلَمْ يَرِدْ مَعِي غَيْرِي؟ فَقَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«أَهْلُ بَيْتِي يُقْرَفُونَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَهُمْ الْأَيُّمَةُ الَّذِينَ يُقْتَدَى بِهِمْ، وَقَدْ قَلْتُ مَا عَلِمْتُ، وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ»^(٢).

وحكى خزيمه في احتجاجه ما سمعه من رسول الله ﷺ في شأن عترته، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم، وهي شهادة صدق وحق.

(١) حياة الإمام الحسن بن علي عليه السلام ١ / ١٩٧.

(٢) الإحتجاج ١ / ١٠٢.

معارضة أبي الهيثم بن التيهان :

وهو من أبرز وألمع صحابة رسول الله ﷺ وأبو الهيثم بن التيهان ممن عرف الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، وقد أدلى بشهادته على أنه أولى بالخلافة من غيره فقال: أنا أشهد على نبيِّنا ﷺ أنه أقام علياً يوم غدِير خَمٍّ، فقالت الأنصار: ما أقامه إلا للخلافة، وقام بعضهم: ما أقامه إلا ليعلم الناس أنه مولى من كان رسول الله ﷺ مولى له، وكثر الخوض في ذلك، فبعثنا رجالاً منا إلى رسول الله فسألوه عن ذلك؟ فقال: «قُولُوا لَهُمْ: عَلِيُّ وَوَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي، وَأَنْصَحُ النَّاسَ لِأُمَّتِي»، وقد شهدت بما حضرني فمن شاء فليؤمن، ومن شاء فليكفر، إن يوم الفصل كان ميقاتاً^(١)، وهي شهادة أبي الهيثم أن الرسول ﷺ أقام الإمام عليه السلام خليفة على أمته، وقلده منصب الإمامة من بعده، وهي شهادة حق يراد بها وجه الله تعالى^(٢).

الاحراق والذبح لمن لا يبايع

ووضع رجال السقيفة (أبو بكر وعمر وعثمان) التراب في فم الحباب بن المنذر الزعيم الثاني للأنصار وكسروا أنفه وداسوا صدر سعد بن عباد زعيم الأنصار وكسروا ضلع سيدة نساء العالمين فاطمة بنت محمد ﷺ، وسحبوا وصي المصطفى علي بن أبي طالب عليه السلام بالحبال لإجباره على البيعة لأبي بكر^(٣). واستمروا في ارجافاتهم واعمالهم الوحشية فنفوا عدة من المعارضين للنظام منهم سعد بن عباد وقتلوه في الشام.

قال أبو بكر: إن لم يبايع علي احرقوا البيت بأهلها وكرر هذا القول عمر:

(١) حياة الإمام الحسن بن علي ١ / ١٦٧ .

(٢) الفوائد الرجالية، بحر العلوم ٢ / ٣٣٢ .

(٣) الأنساب، البلاذري ١ / ٥٨٩ .

اخرج يا علي للبيعة وإلا أحرقتنا عليكم البيت بمن فيها.

ثم أحرقوا الباب وكسروها ودخلوا البيت من غير رخصة أهلها وهجموا على أهل البيت بالضرب والشتم فضربوا سيدة النساء لحد القتل بما أنجر إلى شهادتها وقتلوا ولدها محسناً والقوا حبلاً في عنق صاحب البيت أمير المؤمنين عليه السلام وأخذوا السيوف على رأسه وأرادوا قتله إن لم يبايع^(١).

وعن الاكراه في بيعة عثمان قال عبد الرحمن بن عوف لأمر المؤمنين علي عليه السلام بعد بيعة عثمان: يا علي لا تجعل إلى نفسك سبيلاً فإنه سيف لا غير^(٢).

وفعلاً قتل أبو بكر وعمر السيدة فاطمة بنت محمد الراضة لبيعة أبي بكر وتركوا الإمام علياً عليه السلام دون بيعة لهم. في حين لم يقتل الإمام علي عليه السلام المتمتعين عن بيعته من المخالفين. مثل محمد بن مسلمة اليهودي السابق^(٣).

ولم يقتل المتمتعين الآخرين عن البيعة مثل عبد الله بن عمر وسعد بن أبي وقاص وصهيب الرومي.

عمر يطالب بقتل الامام علي عليه السلام

كان عمر يعتمد على القسوة والشدة في فرض أهدافه ومناهجه مثلما فعل أبو جهل مع القرشيين^(٤). فقال عمر للإمام علي عليه السلام: إنك لست متروكاً حتى تبايع... فنهزه الإمام عليه السلام وصاح به: «احلب حلباً لك شظره، إشدد له اليوم أمره

(١) كتاب سليم بن قيس تحقيق الأنصاري ٤٨٢ .

(٢) الإمامة والسياسة ٢٧ .

(٣) الاستيعاب ٣ / ٣١٥، الإصابة ٣ / ٣٦٣ .

(٤) تاريخ أبي الفداء ١ / ١٥٦، العقد الفريد ٤ / ٢٥٩، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٢ طبعة مصر القديمة، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٢٦، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١٢، شرح نهج البلاغة، الرياض النضرة ١ / ١٩٧، تاريخ الخميس ١ / ١٨٨، السقيفة وفدك، الجوهري ٥١ .

ليردّه عليك غداً»^(١). وبين الإمام السبب في اندفاع ابن الخطاب ومحاسنه في بيعة أبي بكر أنه يرجو أن ترجع إليه الخلافة بعده.

وقال عليه السلام: «والله يا عمر لا أقبل قولك، ولا أبايعه...».

وخاف أبو بكر من تطوّر الأحداث، فأجاب الإمام بتاعم القول: إن لم يتابع

فلا أكرهك عليه...

وخلى أبو بكر سبيل الإمام، خوفاً منه وفرعاً من ثورته الحققة^(٢).

تحذير الإمام عليه السلام للمهاجرين والانصار

وخاطب الإمام أهالي المدينة المنورة المغفلين عن الحق قائلاً:

«يا معشر المهاجرين والانصار، الله الله لا تخرجوا سلطان محمد ﷺ في العرب عن داره وقعر بيته إلى دوركم وقعر بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ الناس به؛ لأننا أهل البيت ونحن أحقّ بهذا الأمر منكم، أما كان منا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله، المضطلع بأمر الرعية، الدافع عنهم الامور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنّه لفينا فلا تتبعوا الهوى فتضلوا عن سبيل الله فتزدادوا عن الحق بعداً...»^(٣).

(١) الأنساب، البلاذري ٥٨٩/١.

(٢) المستدرک، الحاكم ٥٣٤/٤، كنز العمال ٤٣٥/١٠، المعجم الكبير، الطبراني ٢٧/١٢، الصواعق المحرقة ١٨٦، كنوز الحقائق ١٥٣، الرياض النضرة ٢/٢٠٨، الإمامة والسياسة ١/١٣، شرح النهج ٢/١١٩، الوافي بالوفيات ٥/٢، العقد الفريد ٤/٢٥٩، تاريخ الطبري ٣/١٩٨، أنساب الأشراف ١/٥٨٦، الملل والنحل، الشهرستاني ١/٥٦، مناقب آل أبي طالب ٣/٤٠٧، المعارف ٩٣، سيرة ابن دحلان ٢/٥٩، كفاية الطالب ٤١٣، لسان الميزان، ابن حجر ٥/٢٤٦، ميزان الاعتدال، الذهبي ١/١٣٩، إثبات الوصية، المسعودي ١٢٣، أعلام النساء ٤/١١٤، أعيان الشيعة ٤٢/١٢٣، الخطط، المقرئ ٢/٣٤٦.

(٣) الإمام والسياسة ١/١١-١٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦/١١-١٢.

فحذرهم الإمام عليه السلام والهوى والضلال بعيداً عن الإسلام والسقوط في أحضان الشيطان إن الحسد لآل البيت عليه السلام قد نخر قلوبهم وألقاهم في شرّ عظيم، وباعد بينهم وبين دينهم وفصلهم عن قيادتهم الشرعية.

وردّ أمير المؤمنين عليه السلام ارهاصات معاوية واكاذيبه ويقصد معاوية موقف الإمام عليه السلام من بيعة أبي بكر التي رفضها، وتخلف عنها، فاتخذ معه أبو بكر جميع الإجراءات الصارمة التي منها هجوم أعوانه بقيادة عمر على دار الإمام، وحمله مقادراً إلى أبي بكر، بصورة مروعة وقد عبّره معاوية بذلك فردّ عليه الإمام بأنه لا غضاضة ولا منقصة عليه في أن يكون مظلوماً غير شاكٍ في دينه، ولا مرتاباً بيقينه، ويستمر الإمام الممتحن في رسالته واحتجاجه على معاوية قائلاً:

«ثم ذكرت ما كان من أمري وأمر عثمان، فلك أن تجاب عن هذه لرحمك منه، فأيتنا كان أعدى له، وأهدى إلى مقاتله! أمن بذل له نصرته فاستقعده واستكفّه، أم من استنصره فتراخى عنه وبثّ المنون إليه، حتى أتى قدره عليه.

كلّاً والله

«قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا»^(١).

وما كنت لأعتذر من أيّ كنت أنقم عليه أحداثاً؛ فإن كان الذنب إليه إرشادي وهدايي له؛ فربّ ملوم لا ذنب له.

وقد يستفيد الطنّة المتصحّح وما أردت إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب»^(٢).

فاجابات الإمام عليه السلام معتمدة على النصوص القرآنية والنبوية.

(١) الأحزاب ١٨.

(٢) نهج البلاغة ٣/٣٥، الاحتجاج ١/٢٦٤، البحار ٣٣/٥٩، شرح النهج ١٥/١٨٣.

منع العطاء عن المعارضة

وأول من منع العطاء عن المعارضة أبو بكر إذ منع أم المؤمنين أم سلمة عطاءها مخالفة منه لرسول الله .

فقال الرواية منع أبو بكر وعمر أم المؤمنين أم سلمة سنة كاملة من عطائها^(١). وذلك عندما دافعت عن فاطمة بنت محمد ﷺ في قضيتها في فلك وقالت: ألمثل فاطمة بنت محمد ﷺ يقال هذا القول؟ هي والله الحوراء بنت الإنس والنفس للنفس، رُبيت في حجور الأتقياء وتناولتها أيدي الملائكة وتمت في حجور الطاهرات، ونشأت خيرة نشأة وربيت خير مربي أتزعمون أن رسول الله ﷺ حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها؟ وقد قال الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٢).

فيكون أبو بكر وعمر قد حرّما أم سلمة من عطائها، وحرّما فاطمة بنت محمد ﷺ من فلكها وخمسها. ثم فضّل عمر عائشة وحفصة وأم حبيبة على سائر النساء بلا دليل عقلي ولا تقلي يجوز هذا الأمر^(٣).

ومنع باقي المعارضة عطاءها مثل سعد بن عبادة والحباب بن المنذر وأبي ذر وعمار وسلمان الفارسي والمقداد .
وسار عثمان على نهجها بدقة .

الحسد

وعن الحسد وشؤونه قال عمر تصريحاً خطيراً مخالفاً للنصوص القرآنية

(١) دلائل الإمامة للطبري ٣٩ .

(٢) الشعراء ٢١٤ .

(٣) تاريخ يعقوبى ٢ / ١٥٣ فتوح البلدان، البلاذري ٤٣٥، حلية أبي نعيم ٢ / ٤٨، النبلاء ٢ / ١٣١، المستدرک، الحاكم ٤ / ١٣٠ .

والنبوية: لا أجمع لبني هاشم بين النبوة والخلافة^(١).

حسداً منه لخلافة أمير المؤمنين علي عليه السلام وهذا الحسد للإمام علي عليه السلام اتفق عليه رجال السقيفة واغلبهم من قريش .

وقال عمر: أحسد قريش أبو بكر^(٢).

وقال عمر لعبد الله بن عباس: إن قومكم كرهوا أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فتذهبون في السماء بذخاً وشمخاً^(٣).

فأصبحت هذه نظرية قرشية يسير عليها أعداء أهل البيت، فقال معاوية لعبد الله بن عباس: لا تجتمع النبوة والخلافة لأحد .

فقال ابن عباس: أما قولك أنا لا نستحق الخلافة بالنبوة فإن لم نستحقها بالنبوة فبم نستحقها .

وأما قولك: إن النبوة والخلافة لا يجتمعان لأحد فأين قول الله تعالى:

﴿فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ .

فالكتاب النبوة والحكمة والسنة والملك الخلافة نحن آل إبراهيم أمر الله فينا وفيهم واحد والسنة لنا ولهم جارية^(٤).

فهذا أفضل رد على أقوال أبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية الذين حسدوا أهل

البيت عليه السلام مخالفة منهم للقرآن .

وغيروا النصوص النبوية في اجتماع النبوة والخلافة في أهل البيت إلى اجتماع

النبوة والخلافة في قريش .

(١) شرح النهج ٣ / ١٧٠، الإمامة والسياسة ١ / ٢٤ .

(٢) شرح النهج ٢ / ٣١ - ٣٤، المستدرک، محمد بن جرير الطبري، كتاب الشافي، المرتضى ٢٤١، ٢٤٤ .

(٣) شرح النهج ١ / ١٨٩ .

(٤) تفسير الدر المنثور، السيوطي ٢ / ١٧٣ .

فاضحى عكرمة بن أبي جهل ومعاوية بن أبي سفيان ومروان بن الحكم خلفاء رسول الله ﷺ بالنص الالهي كذباً ودجلاً. وكان قد نزل قوله تعالى: ﴿أَمْ يَخْشَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (١).

جاء في التفسير انها نزلت في علي وما خص به من العلم (٢).

وورد انها تشمل الأئمة من آل محمد (٣).

قال ابن أبي الحديد (٤): إنها نزلت في علي عليه السلام وما خص به من العلم. وأخرج ابن حجر (٥) عن الباقر عليه السلام أنه قال في هذه الآية: نحن الناس والله، حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه فالتاس أعداء له وخصوم كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً وبغضاً: إنه لدميم.

وأخرج الفقيه ابن المغازلي في (المناقب) عن ابن عباس: إن الآية نزلت في النبي ﷺ وعلي عليه السلام.

وقال الصبان في (إسعاف الراغبين) (٦): أخرج بعضهم عن الباقر في قوله تعالى ﴿أَمْ يَخْشَدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾. أنه قال: أهل البيت هم الناس (٧).

وذكر أبو الفرج (٨) قول الحماني يريثي به يحيى الشهيد: فإن يك يحيى أدرك

(١) النساء ٥٤.

(٢) شرح النهج ٧ / ٢٢٠.

(٣) وعن النبي ﷺ قسّمت الحكمة عشرة أجزاء فأعطي علي تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً. الغدير، الشيخ الأميني ٣ / ٦١.

(٤) شرح النهج ٢ / ٢٣٢.

(٥) الصواعق ٩١.

(٦) هامش نور الأبصار ١٠٩.

(٧) الغدير، الشيخ الأميني ٣ / ٦١.

(٨) مقاتل الطالبين ٤٢٠.

الحتف يومه فما مات حتى مات وهو كريم وما مات حتى قال طلاب نفسه: سقى الله يحيى إنّه لصميم فتى آنتست بالبأس والروع نفسه وليس كما لاقاه وهو سثوم (إلى آخر الأبيات).

وذكر له المسعودي وأبو الفرج في رثاء يحيى أيضاً قوله: توضع مسكا جانب النهر إذ توى وما كان إلا شوله يتوضع.

كيف نسي الصحابة نص الغدير؟

اثبتت الاحداث أنّ الصحابة لم تنس نص الغدير فقد ذكره العلماء والحفاظ والشعراء على امتداد القرون الماضية، فهو حديث متواتر وصحيح السند ورواه أكثر من مائة صحابي، وما لم يصل إلينا أضعاف ذلك.

فإذا ثبت هذا الموضوع يبقى الأمر الآخر، وهو هل يفهم من نص الغدير الخلافة السياسية أم لا؟

لقد فهم الصحابة من نص الغدير الخلافة السياسية إذ جاء: نادى الانصار الحاضرون في السقيفة: لا نبايع إلا علياً (١).

رغم عدم حضور الإمام علي عليه السلام في السقيفة، ورغم حضور منافسيه هناك وهم أبو بكر وعمر واتباعهم، فهذا القول يحتاج إلى جرأة كبيرة وتضحية عظيمة.

لقد فهم الصحابة الآخرون من نص الغدير الخلافة السياسية فاعلنوا عن بيعتهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام بعد وفاة النبي ﷺ بل رفض بعضهم بيعه أبي بكر ومن هؤلاء:

العباس بن عبد المطلب وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وأبوذر الغفاري وعمار بن ياسر وبريدة بن الحصيب والمقداد بن عمرو وأبي بن كعب وسهيل بن

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣ شرح النهج، المعتزلي ٢ / ٢٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٠.

حنيف وعثمان بن حنيف وسعد بن عباد وأبنة قيس والحباب بن منذر وجابر بن عبد الله الانصاري وخالد بن سعيد بن العاص، وبلال الحبشي وعبد الله بن مسعود والزبير بن العوام^(١).

اجتماع النصوص الإلهية في علي عليه السلام

ومع اجتماع النصوص الإلهية المختلفة تكون المحصلة اجتماع النصوص الإلهية

في حق علي عليه السلام:

مثل: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُبَيِّنُونَ لَكُمُ الصَّلَاةَ وَزُكُوتَ الزَّكَاةِ وَهُمْ ذَاكِرُونَ» فيكون علي عليه السلام هو المولى وأولى الناس بأنفسهم. ومن الطبيعي أن يكون مولى المسلمين خليفة لهم، واستحالة ترؤس أفراد الأمة عليه. مثلما امتنع ذلك في النبي محمد صلى الله عليه وآله الذي منع الله تعالى من زعامة الناس عليه.

إذ قال الرسول صلى الله عليه وآله في وصيته للأمة الإسلامية في غدير خم «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي واحدهما أكبر من الآخر وأهل بيتي أعلم منكم فلا تتقدموهم فتهلكوا»^(٢). فكل من تقدم أهل البيت صلى الله عليه وآله هو في الآخرة من الخاسرين المهالكين وعلى رأس هؤلاء رجال السقيفة واعوانهم.

وقال النبي محمد صلى الله عليه وآله يوم الدار: علي وزيري وخليفتي ووصيي فيكم^(٣).

ومع اجتماع النصوص الإلهية القرآن والحديث في حق علي عليه السلام يظهر بأنه هو المولى والخليفة والوصي والوزير لرسول الله صلى الله عليه وآله.

(١) الاحتجاج، الطبرسي ١/١٠١، ٤٣/١، الخصال ٤٣٢، تاريخ أبي الفداء ١/١٥٩، الكشي واللقاب، ١٣/١، هذه هي الشيعة ٩٦، شرح النهج ١٩/١٧٤، البحار ٢٨/٢٠١، الكافي ١/٥١، كتاب سليم بن قيس تحقيق الانصاري ٤٨٣.

(٢) ينابيع المودة ٤٠، تاريخ بغداد ٧/٣٧٧، المعارف، ابن قتيبة ٢٩١، مقتل الخوارجي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١١٤.

(٣) شرح الأخبار، التعماني ١/٩٨، الميزان، الذهبي ١/٤١.

لكن الامور اختلفت عن ذلك المسار الالهي. إذ غير رجال الانقلاب مسير الامة ودفعوهم بقوة الحديد والنار للقبول بممثل الحزب القرشي. وقد كان هجوم عمر وجماعته على بيت فاطمة عليه السلام بأمر أبي بكر درساً لكل من تسول له نفسه معارضة رجال السلطة^(١).

فإذا كانت قوى الدولة تعامل أهل بيت النبوة بتلك الصورة المشينة وهم ابناء رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام زعيم بني هاشم فكيف ستعامل عامة الناس المعارضين لها.

وفي السقيفة كسر عمر أنف الحباب بن المنذر أحد زعماء الانصار المعارضين لبيعة العقبة ووطأ سعد بن عباد قائد الانصار^(٢).

ولما عارض بريدة بن الحصيب قضية بيعة أبي بكر وأيد بيعة علي عليه السلام كان مصيره النفي إلى خراسان كي يموت في ثغور الجهاد بعيداً عن عاصمة المسلمين، وفعلاً مات هناك ودفن في مرو^(٣).

ولما عارض خالد بن سعيد بن العاص (والي النبي صلى الله عليه وآله على اليمن ومن المسلمين القدماء) بيعة أبي بكر، ودعا لبيعة علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب نص العدير عزلته الدولة من قيادة حملة الشام^(٤)، ودعا عمر أبابكر بالسباح له في عقوبته فرفض أبو بكر مكتفياً بالعزل^(٥).

ونفت الدولة لاحقاً سعد بن عباد وقتلته في الشام^(٦) بل أنّ الدولة خيّرت

(١) تاريخ الطبري ٣/١٩٨، تاريخ أبي الفداء (المطبعة الحسينية بمصر).

(٢) شرح النهج ١/١٧٣، البحار ٢٨/٢٥٩، الفائق ١٨٠، العقد الفريد ٣/٦٢، تاريخ الطبري ٣/٢١٠، الإمامة والسياسة ١/١٩.

(٣) شرح الأخبار، النعماني ٢/٢٦٠.

(٤) شرح النهج، المعتزلي ٦/٣٢.

(٥) العقد الفريد، ٤/٢٤٧.

(٦) أنساب الأشراف، البلاذري، العقد الفريد ٤/٢٤٧، طبقات ابن سعد ٣/٤٥٨.

علي بن أبي طالب عليه السلام بين بيعة أبي بكر وبين الموت^(١).

فتسببت حالة الانقلاب إلى سيطرة رجال الحزب القرشي على السلطة متكرة لكل النصوص الالهية في الخلافة، ومعارضة للرغبة الشعبية في الانتخاب فكانت المحصلة ان حرّفت الدولة النصوص الدالة على خلافة علي بن أبي طالب عليه السلام، واخترعت نصوصاً لا واقع لها تؤيد بيعة أبي بكر، مثل صلاة أبي بكر بالناس في يوم الاثنين وغيرت كثير من القوانين الشرعية.

ومثل هذا الانقلاب حدث في زمن موسى عليه السلام يوم ذهب إلى ربه تاركاً هارون (نظير علي عليه السلام) في قومه.

فاقتعل قارون انقلاباً وسيطر على الأمر ودعا بني اسرائيل إلى عجل فعبده وتركوا هارون وصي موسى عليه السلام!^(٢)

وفي الانقلابات المحاصلة في دول العالم في القرن الحالي نجحت ميثاق الانقلابات في فرض سيادتها على البلدان بالحديد والنار وقضائها على الحكومات السابقة وابطالها آراء الشعب والانتخابات الشعبية، ورضوخ الناس لها! لكن الحكومات الانتقالية تختلف في مدة سيطرتها على الحكم باختلاف قدرتها الادارية في التصرف في شؤون الدولة.

وان الارادة الالهية التي تخلق ما تشاء لما تشاء هي التي ترتأي وتقرر وذلك وفق نظرية القضاء والقدر استمراراً للامتحان الالهي لبني الانسان في هذه الدنيا. والملاحظ لحكومات العالم على مدى التاريخ يجدها قد وصلت إلى السلطة بالغلبة والقوة المادية إلاّ النزر القليل.

ولما ترك الناس دون حديد ولا نار بعد مقتل عثمان توجهت جموع المسلمين

(١) شرح النهج ١/ ١٧٣، البحار ٢٨/ ٢٥٩، تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٩، ٢١٤، شرح الأخبار، النعماني ٢/ ٢٥٩ - ٢٦٥.

(٢) القصص ٧٦، الحدائق الناضرة، البحراني ٦/ ٢٦.

كالسيل الجارف لمبايعة علي بن أبي طالب عليه السلام صاحب نص الغدير، فلم يختلفوا فيه^(١)، ولم يشكوا في نص الغدير^(٢).

فالناس يختلف رأيهم في ظل وجود الحرية وعدمها، فلقد كتب عشرات الآلاف من سكان الكوفة يدعون الإمام الحسين بن علي عليه السلام للمجيء إلى الكوفة لمبايعته ومحاربة يزيد، وفعلاً التفت هذه الجموع حول سفير الحسين عليه السلام بن عقيل ولكنها تفرقت عنه اثر تهديدات عبید الله بن زياد بمجيء جيوش الشام ثم تحولت إلى عساكر محاربة للإمام الحسين عليه السلام فحاربوه وقتلوه!^(٣)

وذكر البيهقي بيعته الناس معاوية بالقوة: وأحضر الناس لبيعته وكان الرجل يحضر فيقول: والله يا معاوية إنني لا بايعك، وإنني لكاره لك، فيقول: بايع فإن الله جعل في المكروه خيراً كثيراً وبأبي الآخر فيقول: أعوذ بالله من شر نفسك ولما لم يبايع قيس بن سعد لمعاوية جثا معاوية على ركبتيه ثم أخذ بيده وقال: أقسمت عليك ثم صفق على كفه، ودخل إليه سعد بن مالك (بن أبي وقاص) فقال: السلام عليك أيها الملك فغضب معاوية، فقال: الا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين؟ قال: ذاك إن كنا أمرناك، وإنما أنت مُنْتَرٍ!^(٤)

(١) تاريخ الطبري ٥/ ١٥٢، ١٥٣، كنز العمال ٣/ ١٦١ ح ٢٤٧١، تاريخ ابن أعمش ٢/ ١٦٠ - ١٦١، الأنساب، البلاذري ٥/ ٧٠، المستدرک، الحاكم ٣/ ١١٤.

(٢) الفصول المختارة، المفيد ٢٢٨.

(٣) تاريخ الطبري ٦/ ٣٣٤، الارشاد، المفيد ٢/ ٣٧، البحار ٤٤/ ٣٦٤، تاريخ ابن عساكر ٧/ ٦٦٥، تاريخ الاسلام، الذهبي ٢/ ٣٤٥، تاريخ ابن كثير ٨/ ١٦٩.

(٤) تاريخ البيهقي ٢/ ٢١٦.

آية البلاغ وولاية الامام علي عليه السلام

قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ ﴾ (١).

وهي من سورة المائدة آخر سورة في القرآن الكريم، لان آية البلاغ نزلت في غدِير خم بعد عودة الرسول ﷺ من حجة الوداع، وقد أيد ذلك احمد بن حنبل والترمذي وابن مردويه والبيهقي عن ابن عمر والحاكم.

وقد ذكر البيهقي في سننه عن جبير بن نفير قائلاً: حججت فدخلت على عائشة فقالت لي: يا جبير: تقرأ المائدة؟ فقلت: نعم. فقالت: أما إنها آخر سورة نزلت فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه وما وجدتم من حرام فحرّموه (٢).
واخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله ﷺ في المسير في حجة الوداع وهو راكب على راحلته فبركت به راحلته من ثقلها (٣).

وآية البلاغ قد نزلت في الايام الأخيرة من حياة الرسول ﷺ وهي في السورة الاخيرة من القرآن الكريم... ودقيقاً أنها نزلت قبل ست واربعين آية باقية من القرآن الكريم، وفي يوم الغدير (١٨ ذي الحجة) قبل ثلاثة واربعين يوماً من وفاة النبي ﷺ (طبقاً لرواية ابن شهر آشوب في المناقب بان وفاته ﷺ في اليوم الثاني من صفر).

وبذلك يرد قول من قال: إن سورة المائدة قد نزلت في بداية البعثة النبوية لتحريف تفسيرها.

وعلى رأس القائلين إنها نزلت في مكة بداية البعثة هو ابو هريرة الوضّاع

الفصل الثاني: النظرية الاسلامية في الحكم

هل تطمس السقيفة النص الالهي؟

كان علي كرم الله وجهه ولمدة ستة أشهر بعد وفاة الرسول ﷺ يدعو الانصار الى بيعته مذكراً لهم حاثاً اياهم الى الالتزام بنص رسول الله له بالخلافة وبيعتهم له في الغدير، فلا بيعة على بيعة، ولا بيعة مخالفة لنص، ولا بيعة ناسخة لنص.
وكان يأخذ معه في مطالبته تلك فاطمة سيدة نساء العالمين والحسن والحسين سيدي شباب أهل الجنة، تلك المجموعة التي ذكرها الله سبحانه في القرآن: أهل البيت، آل ياسين، آل ابراهيم (١).

وهذه المطالبة الحقّة من اهل البيت ﷺ يشاركونهم فيها بنو هاشم تبين أن لا نسخ لنص بيعة، فالنص من الله سبحانه والبيعة من الناس وكلام الله تعالى فوق كلام الناس، وقد توضح في هذا الكتاب ان لا بيعة عامة في السقيفة بل بيعة خاصّة مدبرة ابطاها رجال عصابة قريش ليتداولوا السلطة فيما بينهم.

ذكر الطبري وابن الأثير في تاريخيهما والبخاري ومسلم في صحيحيهما: ان علياً لم يبايع مدة ستة اشهر، وفي هذه المدة الطويلة كان جليس بيته لا يشترك معهم في عمل ولا جمعة ولا جماعة وهو يدعو الانصار لبيعته ويذكرهم بعهده رسول الله ﷺ وذلك منه مطالبة باحياء نص لا تطمسه بيعة (٢).

(١) ذكره الثعلبي في تفسيره وأخرجه هاشم البحراني في غاية المرام ٣١٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦٧ / ٢، مروج الذهب ١ / ٤١٤، الإمامة والسياسة ١ /

١٢ - ١٤، وقعة صفين، نصر بن مزاحم ١٨٢.

(١) المائدة ٦٧.

(٢) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ / ٢٥٢.

(٣) الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٥٢.

الذي دخل الاسلام متأخراً طبقاً لروايته من أنه دخل الاسلام في السنة السابعة للهجرة النبوية.

وقد ادعى ابو هريرة قائلًا: كُنَّا إِذَا صَحَبْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ تَرَكْنَا لَهُ اعْظَمَ دُوْحَةٍ وَاظْلَمًا فَيَنْزِلُ تَحْتَهَا، فَتَنْزِلُ ذَاتَ يَوْمٍ تَحْتِ شَجَرَةٍ وَعَلَّقَ سَيْفَهُ فِيهَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَخَذَهُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مِنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اللَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْكَ ضَعْفُكَ السَّيْفِ فَوَضَعَهُ فَتَزَلْتُ ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ (١).

كما اخبر الترمذي وابو نعيم عن عائشة أنها قالت: كان النبي يُحْرَسُ حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿وَاللَّهُ يَعِصُكَ مِنَ النَّاسِ﴾.

فهذه الروايات تفيد أنها نزلت في بداية الدعوة والبعض يقول: إنها نزلت في عهد أبي طالب...

ولما كانت الأدلة تثبت أن السورة مدنية وآخر سورة في القرآن الكريم فبذلك تبطل تلك الاحاديث ويظهر زيفها.

وواضح من منطوق الآية انها نزلت في اواخر ايام الدعوة بقوله تعالى:

﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا تَلْعَلْ رِسَالَتَهُ﴾.

والظاهر ايضاً أهمية المطلب وخطورته وانه ليس مجرد حراسة كما حَرَّفَهُ الْأُمَوِيُّونَ أَبُو هُرَيْرَةَ...

والظاهر أن المطلب كان من الاهمية بمكان يجعله من اصول الدين، وأنه ان لم يبلغه كأنما لم يبلغ الاسلام كله....

والحراسة ليست تبليغاً بل طلب لواحد او اثنين من المسلمين أن يحرساه وما هي الرابطة بين حراسة النبي ﷺ في اواخر أيامه وتبليغ الإسلام كله الى المسلمين! اذاً لا يستقيم المطلب إلا مع تفسير انها نزلت في حق تبليغ خلافة وولاية

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٢ / ٢٩٨.

الامام علي بن ابي طالب عليه السلام للمسلمين.

وتبرز اهمية الموضوع من قوله ﷺ في ولاية الامام علي بن ابي طالب عليه السلام: اللهم وال من والاه وعاد من عاداه.

وهل يعقل ان الله تعالى لم يحرسه في ايام الشدة والمحنة وتبليغ الاسلام واخذ بحراسته قبل وفاته بثلاثة واربعين يوماً؟!

ان اليد الاموية وبواسطة الوضاع ابي هريرة وغيره قد حاولت تحريف فضائل ومناقب اهل البيت عليهم السلام بشتى الصور.

وبعدما فرغوا من البيعة في حر الحجاز الشديد نزلت آية:

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (١).

ونزلت في يوم الغدير ايضاً آية: ﴿وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَى فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ (٢).

والذين أيدوا نزول هذه الآيات في غدير خم كثير (٣).

وقد حاول رجال السقيفة تغيير كل ما يتعلق بيوم الغدير الذي اجتمع فيه

(١) المائدة ٣، تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي ٨ / ٢٨٩، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١، الملل والنحل للشهرستاني ٧٠، الصواعق المحرقة ٤٣، مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ٣٥٩.

(٢) الحج ٤٢ - ٤٤.

(٣) الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٢ / ٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ / ٨٦، والحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن ٨٦، والشهرستاني في الملل والنحل ٧٠، وابن سعيد السجستاني في كتابه الولاية، والحموي في كتابه فرائد السمطين ١ / ١٥٨، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠، والخوارزمي الحنفي في المناقب ١٣٥ ح ١٥٢، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٥٩، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٥ / ٢١٣، والألوسي في تفسير روح المعاني ٦ / ٦١، وابن كثير في تفسيره وذكره أيضاً علماء ومفسرون آخرون من أهل السنة والشيعة.

مائة ألف مسلم أو يزيدون قرب ذلك الماء بعد حجة الوداع فقالوا: إِنَّ الحديث يعني اخبار الناس بان علياً ناصرهم ومحبهم...!!
وعلى ضوء رأي هؤلاء يصبح قول الرسول ﷺ في حر الصحراء لغواً لا معنى له، فقولهم بان علياً ناصرهم؟! ناصرهم علي من؟ ولا ادري ماذا تخيل صانع التأويل، هل انه ناصرهم على المؤمنين والمتقين؟ ام على المنافقين، فان كان ناصرهم على الكافرين والمنافقين فهذا معروف وبديهي من مجموع حروبه.
وهكذا تتوضح سلامة تفسير الآيات النازلة في يوم الغدير التي فسرها ورواها ثقات اصحاب رسول الله ﷺ... (١).

تأويل النص الإلهي

لقد جاء في بيعة الغدير نص الهي واضح على ولاية الامام علي عليه السلام فقد قال النبي محمد ﷺ: مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ، فَهَذَا الْإِمَامُ عَلِيُّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مِنْ وَالَاهُ، وَعَادَ مِنْ عَادَاهُ، وَأَنْصُرْ مِنْ نَصْرِهِ، وَأَخْذُلْ مِنْ خَدَلِهِ (٢).

(١) الفخر الرازي في تفسيره الكبير ١٢ / ٥٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢ / ٨٦، والحافظ أبو نعيم في كتابه نزول القرآن ٨٦، والشهرستاني في الملل والنحل ٧٠، وابن سعيد السجستاني في كتابه الولاية، والحسيني في كتابه فرائد السمطين ١ / ١٥٨، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠، والخوارزمي الحنفي في المناقب ١٣٥ ح ١٥٢، والسيوطي في تفسيره الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٢ / ٢٥٩، وابن كثير الدمشقي في البداية والنهاية ٥ / ٢١٣، والألوسي في تفسير روح المعاني ٦ / ٦١، وابن كثير في تفسيره وذكره أيضاً علماء ومفسرون آخرون من أهل السنة والشيعة.

(٢) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨، سنن ابن ماجه ١٢، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٠٩، ٥٣٣، سنن النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٠٣، المعجم الكبير، الطبراني ٥ / ١٦٦ ح ٤٩٦٦٩، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤، تاريخ يعقوبي ٢ / ١١٢، أسد الغابة ٤ / ١٠٨،

وبعد ذلك تقدّم المبايعون وعلي رأسهم أبو بكر وعمر فقال كل واحد منهم لعلي عليه السلام: يخ يخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي، ومولا كل مسلم ومسلمة (١).

وقصد النبي ﷺ محمد في يوم الخميس، قبل وفاته بثلاثة أيام، كتابة الوصية (٢) بخلافة الإمام علي عليه السلام، ولكن عمر وأب بكر وآخرين منعوا من ذلك بقولهم: إن النبي ﷺ هاجر، وأكثروا الإختلاف فطردهم النبي ﷺ من منزله.
والنبي ﷺ الذي لم يتمكن من كتابة الوصية قال في يوم الخميس: علي مع القرآن والقرآن مع علي (٣).

فعمرو وجماعته، منعوا النبي ﷺ من كتابة الوصية في يوم الخميس، ثم أولوا ما أوصى به النبي ﷺ في يوم الغدير. وتمثل تأويلهم بأن النبي ﷺ أوصى بمحبته الامام علي عليه السلام. ولكن عمر اعترف في أيام خلافته، بخلافة الامام علي عليه السلام للنبي ﷺ، إذ رفض اعرابي قضاء الامام علي في حقه، بحكمه إياه، فنهزه عمر وقال: هذا مولاك ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه، فليس بمؤمن (٤).

وقد قال الرسول ﷺ: ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن من بعدي (٥).

ثم اعترف عمر بأن النبي ﷺ أراد في يوم الخميس أن يوصي إلى علي عليه السلام

(١) تفسير الرازي ١٢ / ٤٩، الدر المنثور ٣ / ١١٧، الإمامة والسياسة ١ / ٩٧، البداية والنهاية ٥ / ٢٣١، المناقب، الخوارزمي ١٦٠، ١٩٠، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١، الكافي، الكليني ١ / ٢٩٤، دعائم الإسلام، النعماني ١ / ١٦.

(٢) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢.

(٣) رواه أبو نعيم وذكره الثعالبي في كتابه (كتاب السبعين) في فضائل أمير المؤمنين ٥١٧.

(٤) الإصابة لابن حجر العسقلاني باب ٩ حديث ٤٠ ص ١٢٤ ط مكتبة القاهرة، وأخرجه الحاكم في المستدرک على الصحيحين وأخرجه الذهبي في تلخيصه مصرحاً بصحته.

(٥) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر ١٠٧.

(٥) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٧، النسائي في خصائصه ٢٤، مسند أحمد ٥ / ٣٥٦.

فتنعه من ذلك^(١).

كيف نسي الناس بيعتهم في الغدير؟

والسؤال الذي قد يحير البعض انه كيف سمع أكثر من مئة ألف مسلم في غدير خم قول الرسول ﷺ ببيعته للإمام علي عليه السلام وسماهم للآيات القرآنية النازلة في ذلك المكان ثم يغفلون عن بيعة الامام علي عليه السلام بعد الرسول ﷺ؟ وقد جاء:

﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^(٢).

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾^(٣).

وآية التحذير الالهي للمخالفين:

﴿ وَإِنْ يَكْذِبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾^(٤).

واجراء البيعة العملية للإمام علي عليه السلام وقولهم له: يخ يخ لك يا بن أبي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة. واخبار النبي ﷺ المسلمين بأنه على وشك الموت..^(٥)

لذلك يؤول البعض تلك الحادثة كي لا تصلح دليلاً ونصاً على إمامة علي عليه السلام.

والجواب: ان المسلمين لو تركوا وانفسهم في حرية تامة دون ضغوط ولا تهديد لباعوا الامام علياً عليه السلام ولاشك في ذلك، ولكنهم لم تسنح لهم الفرصة للتعبير عن ذلك بعد وفاة الرسول ﷺ، اذ حدث انقلاب سيطرت فيه مجموعة حزب قريش على النظام في فترة انشغال بني هاشم والمسلمين بمراسم دفن الرسول ﷺ.

وعادة ما تحدث الانقلابات العسكرية والمدنية في نصف الليل، في زمن نوم اعضاء الحكومة، أو فترة سفر السلطان الى خارج العاصمة او في الفترة الانتقالية بين زعيم وآخر....

وعملية وصول ابي بكر الى السلطة على حساب الوصي الشرعي الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام قد حدثت في الفترة الانتقالية بين النبي محمد ﷺ ووصيه ووارثه الامام علي ابن ابي طالب عليه السلام... وبالذات في فترة وفاته ﷺ وفي ساعات انشغال وصي المصطفى وقراءة الرسول ﷺ وصحابه بمراسم الغسل والتكفين والصلاة عليه. ثم استخدم الحزب القرشي كافة الوسائل لكسب بيعة المعارضين ورغم ذلك نادى الأنصار في السقيفة: لا نبايع إلا علياً^(١).

واستمرت الجماعة في تفويت الفرصة على المسلمين لاجراء البيعة العامة ليس فقط بعد وفاة الرسول ﷺ بل بعد وفاة ابي بكر وبعد وفاة عمر؛ اذ فعلوا نفس الامر السابق بتحويل البيعة عن قواعد الالهية والشعبية الى قاعدة الرئاسة القبلية والحزبية التناوبية^(٢). وقد اثبتت خطب الامام علي عليه السلام وخطب فاطمة الزهراء وصية الغدير^(٣).

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣ شرح النهج، المعتزلي ٢ / ٢٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٠.

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ١٥٢، ١٥٣، كنز العمال ٣ / ١٦١ ح ٢٤٧١، تاريخ ابن أعثم ٢ / ١٦٠ - ١٦١، الأنساب، البلاذري ٥ / ٧٠، المستدرک، الحاكم ٣ / ١١٤.

(٣) أسد الغابة ٣ / ٤٦٩، المعجم الكبير، الطبراني ح ٥٠٥٨، العلل، الدارقطني ٢ / ٢٢٥.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤.

(٢) المائدة ٦٧.

(٣) المائدة ٣.

(٤) الحج ٤٢ - ٤٤.

(٥) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢.

ولكن الانقلاب السريع الخطوات قد فوّت على الناس الفرصة ولما أُعطي المسلمون الفرصة في الانتخاب الحر والعام بعد ثورة المسلمين وقتلهم عثمان بن عفان نراهم لم يترددوا لحظة في مبايعة صاحب نص الغدير الامام علي تاركين وجوه الأنصار والمهاجرين من أمثال سهل بن حنيف وقيس بن سعد بن عباد (رئيس الخزرج) وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوام وغيرهم^(١). إذاً أكثرية المسلمين كانت مع نص الغدير عدا عصابة قريش وباقي المنافقين.

بيعة المسلمين في الغدير هل هي دينية ام سياسية ؟

يذكر بان عمران بن حصين و ابا بريدة قد ثبها ابا بكر على بيعة الغدير اذ قالوا لابي بكر: قد كنت يومئذ فيمن سلم على الامام علي عليه السلام بامرة المؤمنين فهل تذكر ذلك اليوم ام نسيته؟ قال: بل اذكره: فقال ابو بريدة: فهل ينبغي على احد من المسلمين ان يتأمر على أمير المؤمنين؟ فقال عمر: إن النبوة والامامة لا تجتمع في بيت واحد. فقال بريدة:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٢). فقد جمع الله لهم النبوة والملك.

وقال: فغضب عمر وما زلنا نعرف من وجهه الغضب حتى مات^(٣).

وقد هتأ أبو بكر وعمر الامام علياً عليه السلام ببيعته في غدير خم، اذ قال عمر: هتئناً لك يا ابن ابي طالب أصبحت وامسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة^(٤).

﴿الضوء اللامع، السخاوي ٢٥٦/٩، البدر الطالع، الشوكاني ٢٩٧/٢.

(١) تاريخ الطبري ١٥٢/٥، ١٥٣، كنز العمال ٣/١٦١ ح ٢٤٧١، تاريخ ابن أشم ٢/١٦٠ - ١٦١، الأنساب، البلاذري ٧٠/٥، المستدرک، الحاكم ٣/١١٤.

(٢) النساء ٥٤.

(٣) المناقب، ابن شهر آشوب ٢/٢٥٢.

(٤) الصواعق لابن حجر العسقلاني ٢٦، التمهيد في أصول الدين لأبي بكر الباقلاني ١٧١.

ونقل المحافظ ابو سعيد الخردگوشي النيسابوري المتوفى سنة (٤٠٧ هـ) في كتابه شرف المصطفى أن النبي ﷺ قال: هتئوني هتئوني إن الله تعالى خصني بالنبوة وخص أهل بيتي بالامامة فلقني عمر بن الخطاب امير المؤمنين علياً عليه السلام فقال: طوبى لك يا أبا الحسن أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).

فان بايع الناس الامام علياً عليه السلام على انه اولى بهم من انفسهم فيكون له بذلك حق الولاية الدينية والسياسية عليهم. شأن الامام في ذلك شأن الرسول ﷺ.

وان كانوا بايعوه على ان له البيعة السياسية كخليفة لرسول الله ﷺ فهو الامام المبايع من الامة والمفروض الطاعة....

واذا انتهينا من هذا نسأل على اي الأمرين بايع ابو بكر وعمر علياً عليه السلام؟ ظاهر الامر انهم مثل باقي المسلمين بايعوه على الولاية الدينية الشاملة للولاية السياسية طبقاً لقول الرسول ﷺ: ألتست أولى بالمؤمنين من انفسهم؟ قالوا: بلى قال ﷺ: فان هذا (علياً عليه السلام) مولى من أنا مولاة.

وفهم عمر بن الخطاب ذلك المعنى ايضاً لذا قال للاعرابي الذي لم يوافق بحكم وقضاء الامام علي عليه السلام عليه: ويحك؟ اما تدري من هذا؟ هذا مولاك ومولى كل مؤمن ومن لم يكن مولاة فليس بمؤمن^(٢). فيكون أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام قد احتفظ بمنصب مولى المؤمنين، بتنصيب نبي وبيعة شعبية.

وقد اعترف بذلك صريحاً نبي البشرية محمد ﷺ والصحابة ومنهم عمر امام جموع المسلمين في حر صيف صحراء الحجاز.

(١) الملل والنحل، الشهرستاني في كتابه المطبوع على الهامش ١، كتاب الفصل لابن حزم ١/

٢٠٢، ابن كثير أبو الفداء الشافعي المتوفى سنة ٧٧٤ بلفظ أحمد بن حنبل (البداية والنهاية ٥

/ ٢٠٩ - ٢١٠)، المقريزي المصري في الخطط ١/٢٢٣، وفي الفتوحات المكية لأحمد

زيني دحلان.

(٢) أخرجه الدارقطني في صواعق ابن حجر ١٠٧.

وإذا ثبت هذا فهل تصح بيعة أبي بكر وعمر وعثمان؟! وهل تنسخ بيعة أبي بكر بيعة صحيحة؟!
وكم هو خطير مطالبة المبايعين في غدیر خم البيعة ممن بايعوه وصدقوا على يده!

بيعة المسلمين للإمام في الغدير هل كانت الهية أم شعبية؟

إن النبي ﷺ بالإضافة إلى كونه رسولاً مبعوثاً من الله ومنصوصاً عليه قرآنياً، ومؤيداً بمعجز وكرامات خالدة فإنه قد عوّد المسلمين منذ البدء على البيعة بالتصويت الحر بلا ختل ولا دجل ولا تزوير ولا احتيال بل انتخابات حرّة ونزيهة.

والجزيرة العربية لم تكن متعوّدة على هذا النوع من التصويت الحر بل كانت مبتلاةً بالقيادة القبلية الموروثة أو المفروضة بحد السيف وبيعة الناس الحرّة للرسول تمتل في:

- ١- بيعة العقبة الأولى وقد اشترك فيها سبعة نفر من الخزرج.
- ٢- بيعة العقبة الثانية حيث اشترك فيها سبعون رجلاً مع امرأتين.
- ٣- بيعة الرضوان في الحديبية باشتراك الانصار والمهاجرين في السنة السادسة للهجرة.
- ٤- بيعة الطلقاء للرسول بعد فتح مكة في السنة الثامنة للهجرة.
- ٥- بيعة الغدير في غدیر خم حيث حصلت البيعة الجماهيرية الحرّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام في السنة العاشرة للهجرة في مائة وعشرين ألف شخص (١).

(١) سنن الترمذي ٢/ ٢٩٨، المرقاة في شرح المشكاة ١٠/ ٤٦٣ ح ٦٠٩١، سنن النسائي ٥/ ١٣٠ ح ٨٤٦٤، سنن ابن ماجة ١/ ٤٣ ح ١١٦٦، مسند أحمد ٥/ ٣٥٥ ح ١٨٠١١، مستدرک

فكانت بيعة الرسول ﷺ تصريحاً بتأييد النبي القائد. وبيعة الغدير تصريحاً بتأييد الوصي القائد. ومن خلال هذه البيعات أراد النبي ﷺ تعليم وتعويد المسلمين على هذا النوع من الانتخاب الرئاسي، وترك ونبذ نظرية السيف والحيلة والارث في تسلّم السلطة... والملاحظ استخدام النبي ﷺ لنظرية النص الالهي والتصويت الجماهيري جنباً إلى جنب، لتعليم الأمة على استخدام النص أولاً والبيعة ثانياً، وحيث لا نص اعتمدت على البيعة.

وقد تجتمع البيعة مع النص كما حصل للنبي ﷺ ولوصيه الامام علي عليه السلام وقد نفتقد الاثنان فلا بيعة شعبية ولا نص الهي كما حصل لأبي بكر وعمر وعثمان ومعاوية. وكانت بيعة الغدير دينية الهية وشعبية.

لو تعارض الحكم الالهي مع التصويت الشعبي من هو المقدم؟

قد تجتمع البيعة مع النص في شخص كما اجتمعا عند النبي محمد ﷺ بالنص القرآني ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (١). والبيعات الثلاث في العقبة والرضوان. وكأجتماعها عند الامام علي عليه السلام بالنص القرآني والبيعة ككونه نفس الرسول ﷺ:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾ (٢) و ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا

﴿الصحيحين ٣/ ١٠٩، ٥٣٣، شرح اصول الكافي ٨/ ١٣٥، المناقب ابن شهر آشوب ١/ ١٥٠،

حلية الابار، البحراتي ١/ ٩٣، البحار ١٥/ ٣٧٠.

(١) الفتح ٢٩.

(٢) آل عمران ٦١.

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿١﴾.

وینص الحديث: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله» (٢).

والبيعة هي بيعة الغدير باجتماع المسلمين عند عودتهم من مكة في حر الصحراء للدلالة على خطورة الامر، وانتخابهم الامام علياً عليه السلام (٣).

حيث قال له الصحابة واحداً واحداً: يخ يخ لك يا بن ابي طالب أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة.. (٤).

وهي أكبر بيعة اسلامية جامعة في ذلك الحين لعلي عليه السلام وبيعته الثانية بعد مقتل عثمان فامير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام ولي المسلمين بالنص الالهي والبيعة الجماهيرية..

والسؤال هو لماذا فعل النبي ﷺ البيعات الأربع له وهو نبي مرسل ومنصوص عليه من السماء؟

لقد فعل الرسول ﷺ ذلك لتعويد الناس وتربيتهم على البيعة والتصويت الحر اولاً وتأکید طاعة المسلمين له، والزامهم بالشرع وبما الزموا به انفسهم لان اصل

(١) المائدة ٥٥.

(٢) سنن الترمذی ٢ / ٢٩٨، سنن ابن ماجه ١٢، المستدرک، الحاکم ٣ / ١٠٩، ٥٣٣، سنن النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٠٣، المعجم الكبير، الطبراني ٥ / ١٦٦ ح ٤٩٦٩، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١١٢، أسد الغابة ٤ / ١٠٨، تفسير الرازي ١٢ / ٤٩، الدر المنثور ٣ / ١١٧، الإمامة والسياسة ١ / ٩٧، البداية والنهاية ٥ / ٢٣١، المناقب، الخرازمي ١٦٠، ١٩٠، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١، الكافي، الكليني ١ / ٢٩٤، دعائم الإسلام، النعماني ١ / ١٦٧.

(٣) سنن الترمذی ٢ / ٢٩٨، العرقاة في شرح المشكاة ١٠ / ٤٦٣ ح ٦٠٩١، سنن النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤، سنن ابن ماجه ١ / ٤٣ ح ١١٦، مسند أحمد ٥ / ٣٥٥ ح ١٨٠١١، مستدرک الصحيحين ٣ / ١٠٩، ٥٣٣.

(٤) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢.

الهداية من الله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ (١) و ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ (٢) و ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَلْقَبُ لَآتَفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ (٣).

والسؤال هو هل هناك حرية في قبول النص الالهي ورفضه؟

الجواب ان المسلم بقبوله الاسلام ودخوله فيه وانعقاد قلبه على اصوله ورضى نفسه بفروعه لا يمكن له رد نصوصه والارتداد عن اصوله ونكران فروعه. فالنص الالهي مقدم على البيعة الشعبية لان الباري اعرف بمصلحة البشر منهم وهذا ما لا شك فيه حيث قال سبحانه: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ (٤).

ومن هنا لا يمكن للمسلم عصيان النبي ﷺ او الوصي عليه السلام، لأن ذلك مخالف للاسلام، وقبوله بالاسلام مستلزم لقبول هذه النصوص...

ومن الطبيعي قبول الناس باختلاف مشاربهم ما انتخبه الله سبحانه ونص عليه لان الله سبحانه لا ينص إلا على شخص عادل وشجاع وشريف ومدبر وكريم الاخلاق ومتكامل الصفات وقد وجدنا ذلك في خاتم الانبياء محمد ﷺ ووصيه الامام علي عليه السلام...

وقد قال الرسول ﷺ: بُعثت لاتمم مكارم الاخلاق (٥)، وقد قال عمر بن الخطاب قبل وفاته لعلي عليه السلام: اما والله لئن وليتهم لتحملنهم على الحق الواضح

(١) القصص ٥٦.

(٢) النحل ١٢٥.

(٣) آل عمران ١٥٩.

(٤) البقرة ٢١٦.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب الكنية للصبي ٤ / ٥٥، صحيح مسلم، كتاب المساجد ١ / ٢٦٧، سنن أبي داود، كتاب الأدب ٤ / ٢٤٦.

والحجة البيضاء^(١).

والمعارضون لعلي عليه السلام من أمثال الوليد بن عقبة ومعاوية ومروان وعبد الله بن أبي سرح هم أعداء النبي مع آبائهم لذلك لعنهم عليه السلام وطردهم من المدينة. وقد قال بشير بن سعد للإمام علي عليه السلام يوم حاجتهم بحقه: لو سمع منك

الأنصار ذلك ما اختلف فيك اثنان وقالت الأنصار: لا نبايع إلاً علياً^(٢).

فالإمام علي عليه السلام الوصي والخليفة الشرعي يطالب بحقه بشكل قانوني شرعي ويرفض كل خروج على القانون، من قبل أي إنسان، كي لا تكون تلك المخالفة سنةً للأجيال يُعمل بها، فبالرغم من أنه وصي وخليفة شرعي إلا أنه رفض استخدام الوسائل غير الصحيحة للانتخاب والبيعة والوصول إلى السلطة.

وهكذا تبقى نظرية الإمام علي عليه السلام خالدة في التاريخ يجعلها الناس وتحترمها الأجيال من كافة الأمم والشعوب في حين تنظر الجماهير إلى بيعة السقيفة نظرة عدم احترام وعدم وقار حتى قال عمر بن الخطاب: من عاد لمثلها اقلوه^(٣). لأنها بيعة غير شرعية وغير صحيحة وغير لائقة.

هل كان الإمام يعرف ما سوف يدبر ضده؟

نعم كان الإمام علي عليه السلام يعرف ما سوف يدبر ضده فقد أخبره النبي عليه السلام بذلك، وكانت واقعة يوم الخميس كافية لمعرفة نيات تلك الجماعة، وازدادت شكوك بني هاشم والمسلمين يوم منع عمر وصحبه من دفن الرسول عليه السلام انتظاراً للحجاء أبي بكر من السنح.

وقال الرسول عليه السلام لعلي عليه السلام: إنك لن تموت حتى تؤمر، وتلاً غيظاً، وتوجد

(١) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ٢٥ / ١.

(٢) تاريخ الطبري ٤٤٣ / ٢، شرح النهج، المعتمزلي ٢٢ / ٢، تاريخ ابن الأثير ٢٢٠ / ٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤٤٦ / ٢، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ٢٢٥، مسند أحمد ٥٥ / ١.

من بعدي صابراً^(١). وقال عليه السلام: إن هذا (الإمام علي) لا يموت حتى يملأ غيظاً، ولن يموت إلاً مقتولاً^(٢). وقال عليه السلام لعلي عليه السلام: إن الأمة ستندرك بك بعدي^(٣).

لأن ذهابه عليه السلام وترك جثمان النبي عليه السلام مطروحاً يكون اعظم اهانة لخاتم الأنبياء عليه السلام، وعلى فرض اشتراك بني هاشم مع أهل السقيفة في ترك جهاز النبي عليه السلام فهذا يعني عدم الاهتمام بالنبي عليه السلام، وبالتالي تقديم غيره عليه، مثلما قال محمد بن عبد الوهاب المشبوه: عصاي هذه خير من محمد!^(٤)

وقال الرسول عليه السلام لعلي عليه السلام: ستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله، وتصبر على ظلم قريش^(٥). وقد كان العباس أيضاً يعرف ما يدبره هؤلاء، لذلك قال للإمام علي عليه السلام: أنت بعد ثلاث عبد المصا!^(٦)

بماذا تختلف البيعة الإسلامية عن البيعة الديمقراطية؟

الديمقراطية تعني حكم الشعب وتشريعه أي الشعب هو الذي يشرع القوانين ويغير فيها متى شاء من إضافة أو نقصان فلا محذور في هذا التغيير مادام التغيير حاصلًا بيد الشعب نفسه. والإسلام يعني حكم الله سبحانه الثابت، ونسخ القرآن يتم بالقرآن فلا اعتناء بما خالف القرآن الكريم.

والسنة النبوية هي قول النبي عليه السلام الكاشف عن قول الله تعالى والقرآن يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ ويقول تعالى أيضاً: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾

(١) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٣٣.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٣٣.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٤٥.

(٤) كشف الأرتياب ١٣٩.

(٥) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مستدرک الصحیحین، الحاكم ٣ / ١٣٩، مجمع الزوائد

٢٣٩ / ٦، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، كنز العمال ١١ / ٢٩٢.

(٦) مختصر تاريخ دمشق ١٨ / ٣٣.

لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿١﴾.

فالفارق بين الديمقراطية والاسلام بعيد لان الديمقراطية شرع الانسان والاسلام شرع الله تعالى. ولما كانت الديمقراطية حكم الانسان فانها تخوّل الشعب تعيين الحكام وتشريع القوانين بعيداً عن الدين. والدين عندها منفصل عن السياسة.

وبالتالي لا يوجد عندهم ما يوجد عندنا من نص الهي واتحاد الدين والسياسة. والنص الشرعي عندنا لا وجه لتخطيه ولا امكانية لردّه وصدّه.

والبيعتان شعبيتان إلا ان الاسلام يشترط شروطاً أكثر في الزعيم او الخليفة تتمثل في الفقاهاة والعلم والذكورة والشجاعة والعقل السالم والتدبير والعدالة. وقد لاحظنا أنّ انتخاب أبي بكر لم يكن بموجب نص إلهي ولا بيعة جماهيرية ولا وراثة قبلية. بل كان بموجب اتفاق جماعة وتنصيب خاص من قبل حزب قريش.

وهذه الطريقة كما قلنا يرفضها الامام علي عليه السلام رفضاً باتاً، بالرغم من انه صاحب الحق وكان المستعدون لبيعته اكثر من اتباع ابي بكر، وهم بنو هاشم وسلمان والمقداد وعمار وابو ذر والزبير والانصار. إذ قال اليعقوبي: وكان المهاجرون والأنصار لا يشكون في الامام علي (٢).

وهؤلاء مستعدون لمبايعته وهو في مكانه الى جنب الرسول صلى الله عليه وآله مشغول في جهازه بلا حاجة لاغراء وتخويف، إلا ان امير المؤمنين علياً عليه السلام رفض هذا الرأي واصرّ على البيعة العامة في المسجد النبوي الشريف!!

إن شروط البيعة الاسلامية تأخذ على عاتقها ايصال المؤمنين المخلصين المطيعين لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله والمراعين لحقوق الناس جميعاً.

بينما شروط البيعة الديمقراطية تأخذ على عاتقها ايصال الملحدين، المؤمنين

(١) الحاقّة ٤٤-٤٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٢٤ / ٢.

بفصل الدين عن السياسة، غير المراعين لحقوق الله تعالى.

الاعراف العشائرية في الانتخابات السياسية

العرف القبلي في جزيرة العرب يدل على انتخاب افضل الموجودين نسباً وشرفاً وجاهاً ونفساً وشجاعة وكرماً وحلماً. ولو رجعنا الى الوراء زمنياً لمقايسة شخصية أبي طالب بشخصية أبي قحافة والخطاب لوجدنا فارقاً كبيراً في العرف العربي فابو قحافة رجل مغمور وكذلك الخطاب.

لذلك قال عمرو بن العاص: لعن الله زماناً صرت فيه عاملاً لعمر، والله لقد رأيت عمر واباه على كل واحد منها عباءة قطوانية لا تجاوز مابض ركبتيه وعلى عنقه حزمة حطب (١). وكان عمر عبداً خادماً للوليد بن المغيرة في الجاهلية (٢).

وفي حياة الرسول صلى الله عليه وآله كانت قريش تحترم أبا طالب وتماهيه، وتخاف قتل محمد صلى الله عليه وآله، بينما كان المسلمون الفقراء وضعاف القبيلة يتعرضون لابتساع انواع التعذيب. وافضل شاهد على هذا عائلة عمار بن ياسر حيث عذبوها وقتلوا ياسر وسمية دون خوف من احد.

لذلك ارسل الله سبحانه للناس من هو افضل منهم صفة في سلّم الصفات القبلية والاجتماعية التي يعتقدون بها فسكتوا عندها وخسأوا وهذا الشخص هو محمد صلى الله عليه وآله. ولو كان النبي صلى الله عليه وآله من قبيلة هزيلة ومغمورة لفعلوا به الافاعيل...

والمجتمع العربي مجتمع قبلي يؤمن بالقبلية واعرافها، فجاءهم الله سبحانه بنبي تعجز قبائلهم عن ولادة مثله صدقاً ونسباً وشجاعة وحلماً وصبراً وكرماً وأخلاقاً فهو ابن هاشم وقصي واسماعيل وابراهيم لذلك احتاجوا لجمع قبائل عديدة لموازاة ذلك الشرف العظيم والمعجزات الباهرة، ولكن دون نتيجة!

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٥٨.

(٢) أقرب الموارد، مادة عسف، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١٢ / ١٨٣.

وأمر المؤمنين علي عليه السلام الذي نصّبته الله سبحانه وصيّاً للمصطفى يتحلّى بنفس صفات الرسول ﷺ نسباً وصدقاً وشرفاً وبطولة وكرماً تعجز العشرات عن ولادة مثله وتطأطي القبايل رؤوسها لذكوره.

قال الرسول ﷺ لعلي عليه السلام: «أي أخي فاخر العرب فأنت أكرمهم ابن عم، وأكرمهم أباً، وأكرمهم أخاً، وأكرمهم نفساً، وأكرمهم نسباً، وأكرمهم زوجة، وأكرمهم ولداً، وأكرمهم عمّاً، وأعظمهم عناءً بنفسك ومالك، وأتمهم حلماً، وأكثرهم علماً، وانت أقرأهم لكتاب الله، وأعلمهم بسنن الله، وأشجعهم قلباً، وأجودهم كفاً، وأزهدهم في الدنيا، وأشدّهم اجتهاداً، وأحسنهم خلقاً، وأصدقهم لساناً، وأحبهم إلى الله والي، وستبقى بعدي ثلاثين سنة تعبد الله، وتصبر على ظلم قريش، ثم تجاهد في سبيل الله إذا وجدت اعوانا تقاتل على تأويل القرآن (كما قاتلت على تنزيهه) الناكثين والقاسطين والمارقين من هذه الامة (١)، تقتل شهيداً وتخصب لحيتك من دم رأسك قاتلك يعدل عاقر الناقة في البغض إلى الله» (٢).

وقبائل قريش التي قبلت ورضيت بقيادة هاشم وعبد المطلب وأبي طالب من الطبيعي لها ان تسكت وترضى بقيادة النبي محمد ﷺ والامام علي عليه السلام.

لذلك لم يجد ابو سفيان عاراً عليه ان يندفع لمبايعة الامام علي بن ابي طالب عليه السلام قائلاً له: يا ابا الحسن هذا محمد ﷺ قد مضى إلى ربه وهذا تراثه لم يخرج عنكم فابسط يدك ابايعك فانك لها أهل.

قال الامام علي عليه السلام: يا ابا حنظلة هذا امر ليس يخشى فيه مغبة التريث

(١) الفوائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي، ٦٩، كنز العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

(٢) ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٦ / ٢٣٩، مستدرک الصحيحين ٣ / ١٣٩، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، كنز العمال ١١ / ٢٩٢، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

والتهمل.

ولم يجد العباس عيباً في مبايعة ابن اخيه الامام علي عليه السلام الجامع لصفات القيادة والزعامة رغم كونه اكبر سناً منه، وقال خالد بن سعيد بن العاص الأموي والي اليمن: أن ليس لها غير الامام علي عليه السلام (١)...

وهكذا الزبير بن العوام وابو ذر الغفاري وكذلك سعيد بن ابي وقاص الزهري (وهو أخو سعد بن أبي وقاص).

وكذلك قادة الانصار الذين يرون علوّ شرف عبد المطلب وهاشم عليهم واجتماع الصفات الفاضلة مع النص الالهي في الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

ولما قتل الامام علي عليه السلام عمرو بن عبد ود العامري بطل العرب قالت اخت عمرو بن عبد ود العامري:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله من لا يقاد به من كان يُدعى أبوه بيضة البلد (٢)

وروي ان معاوية انتبه يوماً من غفوة فاذا عبد الله بن الزبير عند قدميه يبتسم ويقول له: لو شئت أن افتك بك يا أمير المؤمنين لفعلت.

قال معاوية وهو لا يخفي تهكمه: لقد شجعت بعدنا. قال عبد الله: يباهي ويفتخر: وما الذي تنكره من شجاعتى وقد وقفت في الصف إزاء الامام علي بن ابي طالب. فرد العاهل الاموي وكأنما أدلع لسان سخريته: لا جرم إنه قاتلك وباك يسرى يديه وبقيت اليمنى يطلب من يقتله بها (٣).

فكانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب امام الامام علي بن ابي طالب عليه السلام، ولو في ضمن جيش لتحوز لنفسها الفخر والعزة مثلما افتخر عبد الله بن الزبير...

(١) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٢٦.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٣ / ٢٣٤، تاريخ الخميس، الديار بكرى ١ / ٤٨٨.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٧ / ٨٧.

في حين افتخرت اخت ابن عبد ود العامري بقتله بسيف بطل المسلمين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام... وهكذا مرحب بطل اليهود الذي قُتِل بيد الامام علي بن ابي طالب عليه السلام والعرب تعطي الشجاعة والنسب اهمية بالغة تصول الشعراء بها وتجول، فكيف لو اجتمع النسب مع الشجاعة والشرف والصدق والحلم والعفة والعلم والدين والوصية الالهية...!! وقد قال الامام علي عليه السلام لابي بكر: وإن كنت بالقربى حججت خصيمهم فغيرك اولى بالنبي واقرب وقال عليه السلام: نحن اولى بمحمد ﷺ حياً وميتاً لأننا أهل بيته وأقرب الخلق إليه، فإن كنتم تخافون الله فانصفونا^(١).

في حين واجه ابو بكر مشكلة كبيرة في اقناع القبائل برئاسة فابو سفيان والعباس بن عبد المطلب وخالد بن سعيد بن العاص وسعد بن عباد زعيم الخزرج وبريدة بن الحصيب وابو قحافة (والد ابي بكر) لا تقبل اعرافهم القبلية وجاهة ابي بكر على بني هاشم وبني أمية وبني المغيرة وغيرهم. لذلك رفض العباس خلافة ابي بكر بالرغم من اقتراح السلطة في مشاركته وبنيه في الحكم مقابل البيعة.

وابو سفيان اعلنها صرخة مدوية في رفضه زعامة ابي فصيل (أبي بكر) قائلاً لعلي عليه السلام ما بال هذا الامر في اقل حي من قريش. وقال: أغلبكم على هذا الأمر أذل بيت في قريش^(٢).

فأبو بكر لا يملك نسباً ربيعاً ولا زعامة قبلية ولا شجاعة معروفة بعد فراره في احد وخيبر وحنين كي يرضي ابا سفيان، ولولا الرشوة الكبيرة المعطاة له، والمتاملة بصدقات المسلمين التي جلبها معه، واقناعه بمشاركة بني امية في الحكم^(٣)

(١) الفتوح، ابن اعثم ١/ ١٣.

(٢) السقيفة، أبو بكر الجوهري ٣٧، ٦٤، المغازي النبوية، الزهري ١٤٨.

(٣) وفعلاً عيّنت السلطة ابنه يزيد بن أبي سفيان والياً على الشام ولما مات خلفت أخاه معاوية

لما بايع ولما سكت على هذا التنصيب المخالف للعرف القرشي والعربي والإسلامي. وبقي خالد بن سعيد بن العاص معارضاً لهذا التنصيب المخالف للوصية الحمديّة والاعراف القبلية بالرغم من بذل الدولة له ولاية الشام ولم يبايع أباً بكر طيلة حياته وقال الأمويون: سنة كاملة^(١).

أما سعد بن عباد الذي لاحظ ضياع الاعراف القبلية والاسلامية وتولي الزعامة من قبل تابع غير متبوع (كما قال) وضياع النصوص الدينية والبيعة الشعبية فقد اصراً على رفض بيعة ابي بكر وعمر متحملاً كل تبعات ذلك من مضايقات واهانات انتهت بنفيه وقتله^(٢).

وقد قال ابو قحافة متعجباً من تولي ابنه الخلافة: هل رضي بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم^(٣) (ولكن متى وافق بنو عبد مناف؟).

وقال ابو قحافة: ما منعهم من الامام علي؟ قال رسول ابنه: قالوا: هو حدّث وقد اكثر القتل من قريش وغيرها، وابو بكر أسن منه. قال ابو قحافة: ان كان الامر في ذلك بالسن فانا احق من ابي بكر واضاف: لقد ظلموا علياً وقد بايع له النبي ﷺ وامرنا ببيعته، ثم كتب اليه: من ابي قحافة الى ابي بكر: اما بعد فقد اتاني كتابك فوجدته كتاب احق ينقض بعضه بعضاً، فرة تقول خليفة الله ومرة خليفة رسول الله، ومرة تراضى لي الناس، وهو امر ملتبس، فلا تدخلن في امر يصعب عليك الخروج منه غداً ويكون عقباك منه الى الندامة وملامة اللوامة لدى الحساب

والياً عليها دون المؤمنين السابقين!! وهذا جزء من موثيق الدولة مع بني أمية لكسبهم... وامتداداً لتلك الموثيق فقد عيّنت الدولة عثمان خليفة على المسلمين... ولو وافق العباس على التعاون مع النظام والانفصال عن علي عليه السلام لحصل على جزء من تلك الأثمان له ولبنيه.

(١) تاريخ البعقوبي ٢/ ١٢٦، مختصر تاريخ دمشق ٧/ ٣٤٨، أسد الغابة ٢/ ٩٧.

(٢) أنساب الأشراف، البلاذري ٣/ ٤٠.

(٣) الصواعق لابن حجر، البداية والنهاية، ابن كثير ٧/ ٥٩.

يوم القيامة (١).

وكانت ردة بعض القبائل عن الاسلام او رفضها دفع الزكاة الى الدولة نابعة من رفضها بيعة ابي بكر...

ولما طالب ابو بكر الانتصار بمبايعته باسم القرابة والصحية من رسول الله ﷺ قال له الامام علي عليه السلام: احتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة، وقال ﷺ ايضاً: وا عجباً تكون الخلافة بالصحابة ولا تكون بالصحابة والقرابة (٢).

وفي الحقيقة ان ابا بكر وعمر و ابا عبيدة قد طالبوا الانتصار بالمنطق القبلي الحاكم في جزيرة العرب من وراثة العشيرة لافرادها.

وقيل بانهم حاججوا الانتصار بحديث الرسول ﷺ المشهور: الخلفاء بعدي اثنا عشر خليفة وهذا الحديث يرجح بني هاشم وآل البيت بالخصوص فهم سفينة نوح وباب حطة. وقد طالبوا بهذا الشيء في غياب بني هاشم. لانهم مشغولون بتفصيل النبي ﷺ وتكفينه والصلاة عليه ودفنه. وبعد ذكر البخاري ومسلم عدد الأئمة اثنا عشر ذكرهم الديار بكرى في تاريخ الخميس وأولهم الامام علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم الحسين ثم الامام علي بن الحسين ثم محمد بن علي الباقر ثم جعفر بن محمد الصادق ثم موسى بن جعفر الكاظم ثم علي بن موسى الرضا ثم محمد بن الامام علي الجواد ثم علي بن محمد بن علي الهادي ثم الحسن بن علي العسكري ثم محمد بن الحسن المهدي (٣).

ومع حضور عشيرة النبي ﷺ تكون الدعوة لهم ولصالحهم، لذلك استفاد القوم من عدم حضورهم الكلي في السقيفة لسلبهم حقهم القبلي والشرعي!
وثانياً ان قول النبي ﷺ: الخلفاء من بعدي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش

(١) كتاب الاحتجاج للطبرسي ١ / ٢٢٦، ٢٢٧.

(٢) نهج البلاغة شرح محمد عبده، شرح ابن أبي الحديد ١٨ / ٤١٦، الفتوح، ابن أعثم ١ / ١٣.

(٣) تاريخ الخميس ٢ / ٢٨٨.

تكلمته اولهم الامام علي عليه السلام وآخراهم المهدي عليه السلام (١).

ولما سأل ابو سفيان عن رسول الله ﷺ، قيل له مات، فقال: من ولي بعده؟ قيل: ابو بكر قال: ابو فضيل. قالوا: نعم. قال: ما فعل المستضعفان: علي والعباس؟ اما والذي نفسي بيده لارفعن لهما من اعضادهما (٢).

وفي زمن انتخاب عثمان قال ابو سفيان: كان هذا الامر في تيم واتي لتيم هذا الامر، ثم صار الى عدي فأبعد وابتعد ثم رجعت الى منازلها واستقر الامر قراره (اي في قبيلة معروفة كبنو أمية).

وذكر بانه قال للعباس والامام علي عليه السلام: غلبكم على هذا الامر اذل قريش في قريش أما والله لا ملأها خيلاً ورجالاً (٣).

ومما يدل على الروح القبلية في الجزيرة ما قاله ابو قحافة عند سماعه ارتفاع صوت ابنه فسأل وهو لا يرى ما يدور: على من يصيح ابني؟

فقيل: على ابي سفيان. فعجب وتحسس طريقه الى ابي بكر فلما قاربه، خاطبه منكراً عليه فعله: اعلى ابي سفيان تصيح وترفع صوتك يا عتيق.. قد عدوت طورك وجزت مقدارك. فرد الابن ضاحكاً وهو يقول: يا أبت: إن الله قد رفع بالاسلام قوماً وأذل به آخرين (٤).

أقول: كان أبو سفيان أحد رجال الصحيفة المعارضة لوصول علي عليه السلام إلى السلطة، وعثمان أحد رجال السقيفة فالأمويون متحالفون مع أبي بكر وعمر على تقسيم السلطة، إذن الروايات السابقة ضعيفة.

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٩ / ٨٤.

(٢) السقيفة وفدك، الجوهري ٣٧.

(٣) المغازي النبوية، الزهري ١٤٨.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٢٩٩.

الجماهير ومنها القبائل رشحت الامام للخلافة؟

قال ابو بكر في السقيفة: نحن اولياء الرسول ﷺ وعشيرته، وبهذه الحجة دحض حجة الأنصار. والسؤال هو: مَنْ هم اولياء الرسول ﷺ ومن هي عشيرته؟ اولياء الرسول ﷺ هو الامام علي بن ابي طالب، اذ قال ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». وقال القرآن الكريم ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ ذَاكِرُونَ﴾.

وهي نازلة في الامام علي بن ابي طالب^(١).

وقال النبي ﷺ يوم الدار لعشيرته: إن هذا (الامام علي) أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له واطيعوا^(٢).

وقال الله سبحانه في قرآنه بأنَّ علياً عليه السلام نفس الرسول ﷺ: ﴿وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٣).

والمعروف بين الناس ان عشيرة الرسول ﷺ هم بنو هاشم الذين حوصروا ثلاث سنين في شعب ابي طالب، وقريش لم تكن عشيرته بل هي عدوة عشيرته من يوم علقت صحيفة المقاطعة في المسجد الحرام لمنع كل القبائل من التعاطي مع عشيرة بني هاشم، ومن ضمن القبائل المعادية تم وعدي.

وكيف تكون قريش عشيرته والنبي ﷺ يعرض نفسه في كل موسم حج علي القبائل لقبول دعوته والدفاع عنه مقابل قريش؟ وكيف تدعي قريش أنها قبيلته،

(١) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨، مستدرک الصحيحين ٣ / ١٠٩، تفسير الفخر الرازي ١٢ / ٢٦، تفسير الدر المنثور ٣ / ١٠٤.

(٢) كنز العمال ٦ / ٣٩٢، تاريخ الطبري ٢ / ٣١٩، جامع الأحاديث، السيوطي ١٦ / ٢٥١.

(٣) مستدرک الصحيحين، الحاكم ٢ / ١٣١، سنن النسائي ٥ / ١٢٧، تفسير الكشاف، الزمخشري ٣ / ٥٥٩.

ومن قبائلها جاء رجال شداد لقتل رسول الله ﷺ في فراشه وتضييع دمه بين القبائل؟

اذن قريش ليست قبيلته بل قبيلته بنو هاشم الذين تعصبوا للدفاع عن دينه ونصروه يتيماً وشيخاً كبيراً. والامور المتعلقة بدية القتل تتحملها قبيلة القتال وليس قومه وكذلك المسائل المتعلقة بالتأثر والانتقام.

ولو ترك الانتخاب بعد وفاة رسول الله ﷺ ليم على المنطق القبلي الحاكم في جزيرة العرب لما عدوا الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

والله اعلم حيث يضع رسالته ووصيته من اجتماع صفات الخير فيه ﷺ على رأسها رفعة النسب وطهارة المولد وشهرة القبيلة لذلك طأطأت قبائل العرب رأسها لبني هاشم، ورضيت قبائل مثل طيء ومذحج والوس والخزرج اليمنية الشهيرة سيادتهم.

وقد عرف رجال السقيفة هذه الحال جيداً لذلك وقتوا لسقيفتهم زمناً خاصاً لا تحضره قبائل العرب للافلات من قوانينها واعرافها، فسمي عمر بيعة السقيفة بالفلنة التي يجب ان لا تتكرر بمنظور الدولة لان عمر قال: ومن عاد اليها فاقتلوه! فعمر عرف أن البيعة (الفلنة) الثانية ستكون ضدَّهم انتقاماً من السقيفة الاولى!..

والسؤال هو: لماذا يكون القتل من نصيب البيعة (الفلنة) الثانية والثالثة... ويستثنى فعلة الفلنة الاولى؟ وفق اي معايير!!

هل أوصى النبي ﷺ في يوم الخميس؟

لاحظنا بان الحث على الوصية قد جاء في كتب الصحاح الستة وذكرته كتب الاحاديث الاخرى على أن من لم يوص يكون نقصاً في مروءته، وبان الوصية تكون واجبة اذا كان عليه حقوق لله تعالى اول للناس.

واجمعوا (الشيعية والسنة) على جوازها في الشريعة الاسلامية. وبأنها

صحيحة في حالة مرض الموت وتصح الوصية كتابة ونطقاً مع الشهاد عليهما.

وبعد هذا كله هل يصح القول بعدم وصية النبي ﷺ؟ فهل يترك رسول الله ﷺ ما هو واجب؟ وهل يكون عمر الذي أوصى إلى ستة أفضل من النبي ﷺ عقلاً في ادراك أهمية الوصية، وأكثر منه طاعة للنصوص الدينية؟ وإذا كان أهل البيت والصحابة الاختيار قد اعترفوا بوصية رسول الله ﷺ، فمن قال انه ﷺ لم يوص؟ قالت عائشة: ما ترك رسول الله ﷺ ديناراً ولا بعيراً ولا شاة ولا أوصى بشيء (١). وقالت عائشة: توفي رسول الله ﷺ وليس عنده احد غيري (٢). وكذبت عائشة أقوالها لاحقاً عندما قتل معاوية أخوها عبدالرحمن ومحمد فقالت مات النبي ﷺ في حضن علي عليه السلام.

القائلون بالوصية:

عن طلحة قال: سألت ابن أبي أوفى أوصى رسول الله ﷺ؟ قال: لا قلت: كيف كتب على المسلمين الوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله (٣). وذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً فقالت متى أوصى إليه (٤).

وعن سعيد بن جبير قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بل دمه الحصى. فقلت يا ابن عباس وما يوم الخميس؟ قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه. فقال اتنوني اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي، فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع. قالوا: ما شأنه اهجر؟ استفهموه. قال ﷺ: «دعوني فالذي انا فيه خير اوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب واجيزوا الوفد بنحو ما

(١) صحيح أبي داود ٢ / ٥٥٣ رقم ٢٤٨٩.

(٢) صحيح النسائي ٢ / ٧٧٠ رقم ٣٣٨٨.

(٣) صحيح النسائي ٢ / ٧٦٩ ح ٣٣٨٣، سنن مسلم ٣ / ١٢٥٦ ح ١٦٣٤.

(٤) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٧ ح ١٦٣٦.

كنت أجيزهم» قال: وسكت عن الثالثة او قالها فأنسيتها (١).

وفي حديث ثانٍ من نفس طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس انه ﷺ قال: «اتنوني بالكتف والدواة (او اللوح والدواة) اكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً» فقالوا: إن رسول الله ﷺ يهجر (٢).

ومن طريق الزهري عن ابن عباس قال: لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب. فقال النبي ﷺ: هلم اكتب لكم كتاباً لا تضلون بعده. فقال عمر: إن رسول الله ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله. فاختلف اهل البيت. فاختصموا فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم رسول الله ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر. فلما اكثروا اللغو والاختلاف عند رسول الله ﷺ. قال رسول الله ﷺ: قوموا.

قال عبيد الله فكان عبد الله بن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين ان يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغظهم (٣). لقد ذكرنا بان الكثير من الفقهاء يوجبون الوصية مطلقاً استناداً إلى الآيات القرآنية والحديث النبوي: «من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية».

وذكرت أحاديث موضوعة بأن النبي ﷺ لم يوص. فرد الصحابة والتابعون: إذا كيف كتب على المسلمين الوصية؟ (٤)

ولتلافي هذا الاحراج قالوا للسائلين: ان النبي اوصى بكتاب الله (٥) أي انهم قالوا أولاً بعدم وصيته، ولما عارضتهم الصحابة أجمع صرحوا بنصف الجواب!

(١) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٨ ح ١٦٣٧.

(٢) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ ح ١٦٣٧.

(٣) صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٩ ح ١٦٣٧، المغازي النبوية لابن شهاب الزهري ١٣٦.

(٤) صحيح النسائي ٢ / ٧٦٩ ح ٣٣٨٣، صحيح مسلم ٣ / ١٢٥٦ ح ١٦٣٤.

(٥) المصدر السابق.

فحفذوا اهل بيته بينما أوصى النبي بكتاب الله واهل بيته^(١).

والحقيقة ان عمر واعوانه قد منعوا من جلب البيضاء والدواة لرسول الله ﷺ

كي يمنعوه من كتابة وصيته الالهية وقال عمر: حسبنا كتاب الله.

حدث هذا في يوم شهادته يوم الاثنين، وقال البعض يوم الخميس.

والكتابة احدى الوسائل لاثبات الوصية ولما منعها هؤلاء توجه

الرسول ﷺ الى النطق بها فقاها امام الحاضرين فاثبت بان تبليغ الاحكام

والوصايا الالهية واجب ولو وقف في طريقها المعارضون.

وكان رسول الله ﷺ قد ذكر في حجة الوداع وفي غدير خم مسألتين: الأولى

موته الوشيك والثانية وصيته بالتباعد القرآن واهل البيت^(٢).

ومعارضة عمر واتباعه لوصية رسول الله ﷺ لا تنسخ الواجب الالهي بين

لحظة واخرى.

والواجب الالهي الذي الزم محمداً ﷺ بقول هذا خليفتي ووصيي ووزيري

فيكم في يوم الدار هو نفس الواجب الذي الزم محمداً ﷺ بنطق خلافة الثقلين في

حجة الوداع وفي يوم غدير خم: «اني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي اهل

بيتي لن تضلوا ان تسكتم بها»^(٣).

وهو نفس الواجب الذي انطق محمداً ﷺ يوم الغدير بالقول: «من كنت

مولاه فهذا علي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

وهو نفس الواجب الذي من اجله انزل الله تعالى يوم الغدير آية:

(١) صحيح مسلم ٢٢ / ٥ - ٢٦ - ٢٤٠٨، سنن الترمذي ٥ / ٢٢٢ ح ٣٧٨٨.

(٢) الصواعق المحرقة ١٢٤، المستدرك، الحاكم ٣ / ١٠٩، ٥٣٣، صحيح مسلم ٥ / ٢٢ ح ٢٤٠٨.

(٣) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨، سنن ابن ماجه ١٢، مستدرك الصحيحين ٣ / ١٠٩.

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^(١)

وآية: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ

دِينًا ﴾^(٢).

فكيف يغير الله سبحانه كل هذه الوصايا والوقائع في يوم الخميس لاجل

معارضة عصابة صغيرة!؟

الادلة على وصية النبي ﷺ في يوم الخميس:

١- قال ابن حجر العسقلاني: وقبل ان يكثر اللغط عند النبي ﷺ اثر طلبه

ورقة ودواة لكتابة الوصية لعلي بن ابي طالب قال ﷺ: يوشك ان اقبض سريعاً

فينطلق بي، وقد قدمت اليكم معذرة اليكم الا اني مخلف فيكم كتاب الله ربي

عزوجل وعترتي اهل بيتي^(٣)، ثم اخذ بيد الامام علي بن ابي طالب فرفعها

فقال ﷺ: هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض

فاسألکم ان تخلفوني فيها^(٤).

(١) المائدة ٦٧.

(٢) المائدة ٣.

(٣) مستدرك الصحيحين ٣ / ١٣٤ ح ٤٦٢٨، كنز العمال ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢ ومن الذين ذكروا

تكرار هذا الحديث في مرض موته ﷺ: أبو بكر البزار في مسنده كما في كشف الاستار عن

زوائد البزار ٣ / ٢٢١، والعلامة الأزهرى في تهذيب اللغة ٩ / ١٧٨، وابن حجر العسقلاني

عن أم سلمة في صواعقه ٨٩. راجع الاحتجاج، الطبرسي ١ / ٢٥٥، البحار، المجلسي ٩٦ / ٤٢ - ٤٣، تفسير نور الثقلين ٥ / ٢٢٦.

(٤) ذكره ابن حجر العسقلاني في الصواعق المحرقة باب ٩ حديث ٤٠ ص ١٢٤ ط مكتبة

القاهرة. وأخرجه الحاكم في مستدرك الصحيحين، وأخرجه الذهبي في تلخيصه مصراً

بصحته. وأخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة ورواه عنه العصامي في سمط النجوم العوالي

٢ / ٥٠٢ رقم ١٣٦، وأخرجه أبو بكر البزار في مسنده بلفظ أوجز كما في كشف الستار عن

زوائد البزار ٣ / ٢٢١ رقم ٢٦١٢.

وقال العلامة الأزهرى في تهذيب اللغة ٩ / ٧٨ «روي عن النبي ﷺ أنه قال في مرضه الذي

- ٢- قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: سمعت ذلك (الوصية للثقلين ولعلي عليه السلام) من أبي في مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه.
- ٣- ذكروا عند عائشة أن علياً كان وصياً فقالت متى أوصى إليه (١). فكلمة ذكروا تعني معرفة معظم الناس بالوصية واعترافهم بها.
- ٤- عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه عليه السلام قال: أوصيكم بثلاث: أخرجوا المشركين من جزيرة العرب. واجيزوا الوفد بنحو ما كنت اجيزهم. وسكت عن الثالثة أو قالها فأنسيها (٢).
- فسعيد بن جبير الذي عاش في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي، وقتل على يديه يحتل بأنه قد خاف أن يذكر وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعدم اطمئنانه إلى المستمع أو أنها حذفت لأمر آخر والله العالم.
- ٥- عن طريق طلحة قال: سألت ابن أبي أوفى، أوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال: لا. قلت: كيف كتب على المسلمين الوصية؟ قال: أوصى بكتاب الله (٣).
- فالمجيب حاول أولاً أن يبنى الوصية أصلاً مثلماً تنفيها عائشة دفاعاً عن حكومة والدها. ولما أخرجها السائل بحجة وجوب الوصية واعتراف الصحابة بها اجابه بنصف جواب، فحذف أهل البيت وأبقى القرآن!
- ٦- لقد قال عمر لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الخميس: حسبنا كتاب الله (٤).

كلمات فيه: إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض . . .

ورواه ابن حجر المكي (العسقلاني) عن أم سلمة في مرضه. قالت وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ٨٩.

(١) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٧ ح ١٦٣٦.

(٢) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٨ ح ١٦٣٧.

(٣) صحيح النسائي ٢/ ٧٦٩، صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٦.

(٤) صحيح مسلم ٣/ ١٢٥٩، المغازي النبوية للزهري ١٣٦.

- وهذا يشهد بأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إني مخلف فيكم كتاب الله وعترتي أهل بيتي» (١)، وهذا بين لكل مطلع على لغة العرب.
- ٧- جاء في كتاب فتح الباري عن حادثة يوم الخميس: ماذا أراد أن يكتب صلى الله عليه وآله وسلم في يوم الخميس؟ قال عمر: تعيين الخليفة علي عليه السلام (٢).
- ٨- قال ابن عباس سألت أبي عما يدعي (الإمام علي عليه السلام) من نص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه؟ فقال: صدق (٣).
- ولكن عمر احتج على خلافة أهل البيت: فقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: حسبنا كتاب الله. قال جابر بن عبد الله الأنصاري: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: يا أيها الناس قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي (٤).
- إن حادثة يوم الخميس تحتاج لشيء من التدبر، وابتعاد المسلم عن عصبية واهوائه كي يفهمها ويعي شجونها واحزانها تلك الحادثة المتواترة الحدوث الواضحة الدلالة والخطيرة النتائج.
- فبني البشرية وبعد ثلاث وستين سنة حياة مع الصدق والامانة والاخلاص والوعظ والتقوى، وبعد ثلاث وعشرين سنة من تبليغ الاسلام بكل ما عاصره من أذى ومحرومية ومقاطعة وصعاب، وبعد ثمان وعشرين غزوة في سبيل الله تعالى
- (١) مستدرک الصحيحين ٣/ ١٣٤ ح ٤٦٢٨، كنز العمال ١١/ ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢، ومن الذين ذكروا تكرر هذا الحديث في مرض موته صلى الله عليه وآله وسلم: أبو بكر البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣/ ٢٢١، والعلامة الأزهري في تهذيب اللغة ٩/ ١٧٨، وابن حجر العسقلاني عن أم سلمة في صواعقه ٨٩. راجع الاحتجاج، الطبرسي ١/ ٢٥٥، البحار، المجلسي ٩٦/ ٤٢-٤٣، تفسير نور الثقلين ٥/ ٢٢٦.
- (٢) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ٨/ ١٣٢، شرح نهج البلاغة ٣/ ١٠٥، وقد نقلها عن تاريخ بغداد.
- (٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/ ١٠٥.
- (٤) صحيح الترمذي ٥/ ٦٢١.

بحرّها وبردها ومشقاتها ومخاوفها وسهرها يجابه بعض المسلمين بهذا الكلام النظم .
وقراءة مثل هذه النصوص الحساسة والحكم عليها يحتاج الى عناية الهية
تعصم الانسان من الزلل، وتتشله من امراض النفس ووساوس الشيطان وتراكم
الآثام.

وقبل يوم الاثنين المأساوي خطب النبي ﷺ محذراً المسلمين من الفتنة
القادمة فمنهم من اعتبر ومنهم من غفل وانا لله وانا اليه راجعون .

وقد قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم جرّت دموعه على
خديه - اشتد برسول الله ﷺ مرضه ووجعه، فقال: إيتوني بدواة وبيضاء أكتب لكم
كتاباً لا تضلون بعدي أبداً، فتنازعوا فقالوا: إن رسول الله يهجر، فاجعلوا يعيدون
عليه (يهجر، يهجر) (١).

وقال: ان النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله،
فاختلف أهل البيت (الحاضرون) فاخصموا، منهم من يقول: قرّبوا يكتب لكم
النبي كتاباً لن تضلوا بعده، ومنهم من يقول ما قال عمر، فلما اكثروا اللغو
والاختلاف عند النبي ﷺ قال لهم ﷺ: قوموا (٢).

ويذكر بان النبي ﷺ قد ذكر حديث الثقلين في يوم حجة الوداع في الكعبة
وعقد البيعة مع اصحابه في غدير خم وباب علياً يوم الدار مع قبيلته في مكة
واعلن البيعة اللفظية في يوم الخميس في المدينة واراد ان يتبعها بوصية خطية فنع
ذلك المتخلفون عن حملة اسامة وهم ابو بكر وعمر واتباعهم، ولو اصّر النبي ﷺ

(١) يهجر أي يتكلم بدون عقل ولا وعي أي يهذي ويخبط كالمجنون والسكران والعياذ بالله من
شرّ أذئاب وأعوان إبليس .

(٢) رواه أحمد بن حنبل في مسنده عن ابن عباس ١ / ٣٢٥، وأخرجه مسلم في آخر الوصايا
أوائل الجزء الثاني، السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري، صحيح البخاري باب جوائز الوفد
من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨، شرح نهج البلاغة ٣ / ١١٤ لابن أبي الحديد طبع مصر،
تاريخ الطبري ٢ / ٤٢٦، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٠.

على الكتابة لاصراً المخالفون على هجره، ولأثبتوا في كتب انصارهم انه ﷺ يخبط
ويهذي. ولا اعتبار لكتابه!

اما كيف عرف هؤلاء بان النبي ﷺ يريد كتابة الوصية لعلي عليه السلام فلأمور
عديدة منها انه قال ﷺ: لأكتب لكم كتاباً لا تضلون بعدي أبداً.

وهي نفس العبارة التي كررها ﷺ لولاية اهل البيت ﷺ في اكثر من مكان
قائلاً: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما ان تمسكتم بهما لن
تضلوا بعدي، واحدهما اكبر من الآخر، وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض
يوم القيامة، فن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله» (١).

وقد قال النبي ﷺ عبارة لن تضلوا بعدي أبداً في حجة الوداع ويوم غدير
خم ويوم الخميس (٢).

وبعد طلب الرسول ﷺ كتابة الوصية، اعترض عمر بن الخطاب على هذا
الطلب بدعوتين الاولى ان النبي ﷺ يهجر (٣) والعياذ بالله والثانية قوله: حسبنا
كتاب الله! اي ان كتاب الله تعالى وحده دون اهل البيت هو مرادهم!

فهؤلاء اعتقدوا بان من صلاحيتهم وحقهم تعيين خليفة، ومنع النبي ﷺ من
الوصية الإلهية، ودفع أهل البيت ﷺ عن مقامهم الذي وضعهم الله تعالى فيه ..

(١) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨، سنن ابن ماجه ١٢، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٠٩، ٥٣٣، سنن
النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٠٣، المعجم الكبير، الطبراني ٥ /
١٦٦ ح ٤٩٦٩، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤، تاريخ البيهقي ٢ / ١١٢، أسد الغابة ٤ / ١٠٨،
تفسير الرازي ١٢ / ٤٩، الدر المنثور ٣ / ١١٧، الإمامة والسياسة ١ / ٩٧، البداية والنهاية ٥
/ ٢٣١، المناقب، الخوارزمي ١٦٠، ١٩٠، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١، الكافي،
الكليني ١ / ٢٩٤، دعائم الإسلام، النعماني ١ / ١٦.

(٢) صحيح الترمذي ٢ / ٣٠٨، أسد الغابة ٢ / ١٢، الدر المنثور، السيوطي ٧ / ٣٤٩.

(٣) يهجر أي يتكلم بدون عقل ولا وعي أي يهذي ويخبط كالمجنون والسكران والعياذ بالله من
شرّ أذئاب وأعوان إبليس .

وذكر المسعودي الوصية ليزيد وغيره أخباراً عجيبة ومثالب كبيرة من شرب الخمر وقتل ابن بنت الرسول ولعن الوصي وهدم البيت وإحراقه^(١).

نظرية قريش : حسينا كتاب الله

لقد قال عمر هذه الجملة حسينا كتاب الله رداً على مقولة رسول الله ﷺ: «إني مخلّف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٢). إذ أراد رسول الله ﷺ أن يكتب وصيته لزعم أهل البيت عليه السلام فقال عمر: حسينا كتاب الله^(٣).

وقد أصّر عمر على إبعاد الامام علي عليه السلام خليفة أهل البيت عليه السلام عن الخلافة ليس بعد الرسول ﷺ فحسب ولا بعد أبي بكر فحسب بل لما بعد حياته إذ جاء بعثمان على أن يتولاها من بعده ابن عوف!

وعمر هو القائل في الامام علي عليه السلام لو تولاها لساير بكم على المحجة البيضاء، وبأنه ولي كل مؤمن ومؤمنة، وبأن النبي ﷺ قد أراد أن يذكر اسمه في يوم الخميس فنعتة!^(٤)

وانصافاً يحتاج ذلك الاصرار والعدا القريشي على إبعاد أهل البيت عن حقهم في الخلافة الى بحث وتفسير واستقصاء لمعرفة دوافعه.

والمنهج القائم على مقولة حسينا كتاب الله وإبعاد أهل البيت عليه السلام هو الذي

(١) مروج الذهب ٧٢ / ٣.

(٢) مستدرک الصحيحين ٣ / ١٣٤ ح ٤٦٢٨، كنز العمال ١١ / ٦٠٣ ح ٣٢٩١٢ ومن الذين ذكروا تكرار هذا الحديث في مرض موته عليه السلام: أبو بكر البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار ٣ / ٢٢١، والعلامة الأزهرى في تهذيب اللغة ٩ / ١٧٨، وابن حجر العسقلاني عن أم سلمة في صواعقه ٨٩. راجع الاحتجاج، الطبرسي ١ / ٢٥٥، البحار، المجلسي ٩٦ / ٤٢-٤٣، تفسير نور الثقلين ٥ / ٢٢٦.

(٣) الملل والنحل، الشهرستاني ١ / ٢٣، صحيح البخاري ١ / ٣٧.

(٤) فتح الباري على صحيح البخاري، ابن حجر ٨ / ١٣٢.

دفع مالك بن انس لاختلاق حديث: اني مخلّف فيكم كتاب الله وسنتي ممهداً السبيل لدفع أهل البيت عليه السلام عن ساحة التراث الاسلامي، ولكن: «وَمَا تَفْسَأُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ»^(١).

والذي افهم عمر بان النبي ﷺ ينوي كتابة الوصية لعلي عليه السلام بطلبه الكتف والدواة هو اجراء النبي البيعة العامة لعلي في غدیر خم حيث جمع كل المسلمين لاجراء صيغة البيعة، وبالتالي فهناك بيعة منعقدة بين الجانبين وقريبة العهد والفاصل الزمني بينهما شهران فقط، وما هذه الوصية إلا لتأكيد البيعة العملية في غدیر خم، مثلما كانت بيعة الرضوان تأكيداً لبيعة العقبة الثانية، فبيعة الغدير في ١٨ / ذي الحجة / ١٠ هـ ووفاة الرسول ﷺ في ٢٨ / صفر / ١١ هـ.

وعلى هذا الاساس قال اكثرية من حضر السقيفة من الانصار: لا نبايع إلا علياً لقرب عهدهم ببيعة الغدير^(٢).

وثالثاً قرينة مرض النبي ﷺ وقرب موته تثبت بان النبي ﷺ في معرض كتابة وصيته وقد فهمت قريش ذلك فقالوا: إن النبي ﷺ ليهجر! (٣) اي عجوز خرف لا معنى لكلامه!

وعرف الحزب القريشي اهتمام النبي ﷺ بالخلافة والرئاسة من خلال عدم تركه المدينة دون مسؤول ايام غزواته. فكيف يترك المدينة هذه المرة والدولة بأسرها دون رئيس.

ومن الادلة ايضاً وصفه عليه السلام لعلي عليه السلام في احاديثه بالوصي والخليفة والمولى، والمولى والوارث والاهم من ذلك وصف القرآن الكريم له عليه السلام بنفس النبي ﷺ

(١) المرسلات ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٣ شرح النهج، المعتزلي ٢ / ٢٢، تاريخ ابن الأثير ٢ / ٢٢٠.

(٣) يهجر أي يتكلم بدون عقل ولا وعي أي يهذي ويخبط كالمجنون والسكران والعباذ بالله من

شرّ أذناب وأعوان إبليس.

والولي والنبأ العظيم^(١).

فعلي عليه السلام هو نفس النبي ﷺ بنص القرآن عدا النبوة! فهل من دليل فوق ذلك... ولو عرّف شخص وكيلاً له قائلاً: كنفسى فهذا قانونياً في كل الدنيا وفقهياً في كل الشرائع تملكه لكافة صلاحية الموكل. فكيف لو كان النص قرآنيًا من الله سبحانه، إذ جاء:

﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢).

ولو كتب لنا الدهر معاتبة أبي بكر وعمر واعوانهم علي عظم رزيتهم في يوم الخميس لسألناهم علي أي معيار وشرط تسيرون في امكانية توصية الحاكم إلى خلفه؟

فان قالوا بان لا وصية من حاكم إلا اذا كان نبياً مرسلًا.

فمحمد ﷺ نبي مرسل فلم يسمحو له بالوصية إلى خلفه؟

وان قالوا بان لا حقّ بتاتا للحاكم بالوصية لشخص فلماذا أوصوا هم إلى خليفة.

وان قالوا ان لا وصية في مرض فلماذا ادعوا وصية أبي بكر لعمر وهو في حالة الغيبوبة، بحيث كتب الوصية عثمان، وأوصى عمر لعثمان وهو مجروح في ظل سكرات الموت.

وهكذا نراهم قد اخطأوا في سلب النبي ﷺ حقوقه واضفاء حقوق لا اساس

(١) المناقب، الخوارزمي ١٢٥، مستدرک الصحيحين ١٢٠ / ٢، كنز العمال ٦ / ٤٠٥، الصواعق، ابن حجر ٧٥.

(٢) آل عمران ٦١، تفسير الكشاف، الزمخشري ١ / ٤٣٤، تفسير الفخر الرازي ٨ / ٨٠، ٨١، الدر المنثور ٣ / ٣١١، تفسير الخازن ١ / ٢٤٣، الاستيعاب ٣ / ٣٥، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٨٨ ح ٤٨٠٢.

لها لأشخاصهم وبالتالي أضحت مناصبهم اعلى من منصب النبوة تشريعاً وحكماً والعياذ بالله.

وهذا الاجتهاد الخاطيء كان الخطوة الاولى في اقدام معاوية على جعل الحكم وراثياً يتوارثه هرقل عن هرقل كما قال سعد بن ابي وقاص.

ولما اعترض عبد الرحمن بن ابي بكر على وراثة يزيد لمعاوية أقدم معاوية على سبه ودفنه حياً^(١)!

وبينا نجد الكثير من عبيد الاهواء والعصبية يؤولون قول عمر واعوانه في يوم الخميس لتحريف الحادثة نجد الخليفة عمر يعترف بفعله ذاك في حوارته مع ابن عباس اذ قال عمر: كيف خلّفت ابن عمك؟ قال: فظننته يعني عبد الله بن جعفر قال فقلت له: خلّفته مع اترابه. قال عمر: لم اعن ذلك إنما عنيت عظيمكم اهل البيت. قال: قلت: خلّفته يمتح بالضرب وهو يقرأ القرآن، قال: يا ابا عبد الله عليك دماء البدن إن كنتمتنها، هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال: أيزعم أن رسول الله نصّ عليه؟ قال ابن عباس قلت: وأزيدك سألت أبي عمّا يدعي من نص رسول الله ﷺ عليه بالخلافة، فقال: صدق. قال عمر: قد كان من رسول الله في أمره ذرواً أي المكان المرتفع - من قول لا يشب حجة ولا يقطع عذراً، ولقد كان يريد يمتحن في امره وقتاً ما ولقد أراد أن يصرّح باسمه فنعته^(٢).

والحقيقة ان عمر قد منع النبي ﷺ من كتابة الوصية فقط ولم يتمكن من منع النبي ﷺ من النطق بها في يوم الخميس وفي حجة الوداع وفي بيعة الغدير. لكن المسلمين انقسموا الى قسمين شيعة وسنة منهم مع نظرية رسول الله ﷺ في كتاب الله وأهل البيت عليهم السلام ومنهم مع عمر وصحبه في حسبنا كتاب الله.

(١) الاستيعاب ٢ / ٣٩٣، أسد الغابة ٣ / ٣٠٦، الإصابة ٢ / ٤٠٠، المستدرک الحاكم ٣ / ٤٧٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للعلامة المعتزلي ٣ / ١٠٥.

وصي النبي ﷺ وخليفته

لقد ذكر القرآن والرسول آيات وأحاديث عديدة في حق الامام علي بن ابي طالب عليه السلام تنهر العقول من كثرتها ودلائها وصحتها وواقعيتها وقبول قلوب المؤمنين لها.

فقد جاء بانه نفس النبي ﷺ «وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ»^(١) وانه وزير النبي وخليفته قوله ﷺ: «انت مني مثل هارون من موسى إلا انه لا نبي من بعدي» وبانه وصيه وخليفته واخوه ووليه ووزيره قوله ﷺ: يوم جمع عشيرته: ايتكم ينتدب أن يكون أخي ووزير ووصي وخليفتي في أمي وولي كل مؤمن بعدي؟ فسكت القوم حتى اعادها ثلاثاً، فقال الامام علي عليه السلام: أنا يا رسول الله، فوضع ﷺ رأسه في حجره وتفل في فيه وقال: اللهم املأ جوفه علماً وفهماً وحكماً ثم قال لابي طالب: يا ابا طالب اسمع الآن لابنك واطع فقد جعله الله من نبيه بمنزلة هارون من موسى^(٢).

وقد وصف النبي ﷺ علياً بهذه المرتبة العالية في اماكن وازمان مختلفة في مكة والمدينة، في السلم والحرب اضافة الى الآيات القرآنية المباركة النازلة في حقه. فهل تحتاج تلك الآيات والأحاديث الكثيرة والواضحة والمبينة الى تفسير عند امة البلاغة فهو الوصي والخليفة والوزير والولي ونفس النبي ووارثه والولي.

خطب الحسن بن علي عليه السلام الناس عند قتل الامام علي عليه السلام فحمد الله واثنى عليه ثم قال: لقد قبض في هذه الليلة رجل لا يسبقه الا ولون بعمل ولا يدركه الآخرون، وقد كان رسول الله ﷺ يعطيه رايته فيقاتل وجبريل عن يمينه وميكائيل

(١) آل عمران ٦١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ١٧ / ٣١١، شواهد التنزيل ١ / ٥٤٢، الكامل في التاريخ ١ / ٤٨٧، كنز العمال ٦ / ٣٩٢، تاريخ الطبري ٢ / ٣١٩.

عن يساره، فما يرجع حتى يفتح الله عليه، وما ترك على اهل الارض صفراء ولا بيضاء إلا سبعمائة درهم، فضلت من عطائه اراد ان يبتاع بها خادماً لأهله (ثم قال): ايها الناس من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي، وانا ابن النبي وانا ابن الوصي^(١).

وقال الامام الحسين عليه السلام في يوم معركة كربلاء التي استشهد فيها:

اما بعد فانسبوني فانظروا من انا ثم ارجعوا الى انفسكم وعاتبوها، هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألسنت ابن بنت نبيكم ﷺ وابن وصيه وابن عمه واول القوم اسلاماً^(٢)؟

وقالت فاطمة سيدة العالمين في مرض موتها معاتبة نساء الانصار: فما حفظ لي الحق ولا رعيت مني الذمة ولا قبلت الوصية ولا عرفت الحرمة. وقال الامام علي عليه السلام: ايها الناس إني قد بثت لكم المواعظ التي وعظ الانبياء بها امهم وأديت اليكم ما أدت الاوصياء الى من بعدهم^(٣).

وقال عليه السلام ايضاً: ومالي لا اعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا يقتضون أثر نبي ولا يقتدون بعمل وصي... ولا يقاس بأل محمد ﷺ من هذه الامة أحد ولا يسوى من جرت نعمتهم عليه ابدأ، هم اساس الدين... ولهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة^(٤).

وقال طلحة بن مصرف لهذيل بن شرحبيل ان الناس يقولون: إن رسول

(١) المحب الطبري في ذخائره ١٣٨، مستدرك الصحيحين ٣ / ١٧٢، مجمع الزوائد ٩ / ١٤٦، ذخائر العقيل ١٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ط اوربا ٢ / ٣٢٩، تاريخ ابن الأثير ط اوربا ٤ / ٥٢، وذكر الخطبة ابن كثير ولكن حذف منها ما ذكره الإمام الحسين في وصف أبيه بالوصي وذكر بدلاً عنها وعلي أبي.

(٣) الخطبة ٨٢ من نهج البلاغة أو ١٨٢.

(٤) الخطبة ٨٨، من نهج البلاغة أو ٢ / ١٤.

الله ﷺ أوصى إلى الامام علي عليه السلام^(١).

وقال الامام علي عليه السلام في أهل البيت عليه السلام: وفيهم الوصية والوراثة^(٢).

وقال عليه السلام: وأديت اليكم ما أدت الاوصياء^(٣).

قال عبدالله بن عباس أمام معاوية: «أصننا قبله بسيد المرسلين وإمام المتقين^(٤) ورسول رب العالمين ثم بعده بسيد الأوصياء»^(٥) فلم ينكر معاوية ولم يعترض.

وروى نصر بن مزاحم في كتابه وقعة صفين: «ان الامام علياً عليه السلام في مسيره إلى صفين، عطش جيشه في صحراء، فانطلق بهم حتى أتى بهم على صخرة فاعانهم حتى اقتلعوها، وشرب الجيش حتى ارتووا، وكان بالقرب منهم دير، فلما اطلع صاحب الدير على هذا الأمر قال: ما بني هذا الدير إلا بذلك الماء وما استخراجة إلا نبي او وصي نبي^(٦).

وقال ابن العاص لمعاوية:

فبي حاربوا سيّد الأوصياء بقولي: دمّ طلّ من نعتل^(٧)
وكتب عمرو بن العاص إلى معاوية: فأما ما دعوتني إليه... وإعانتني إياك على الباطل، واختراط السيف في وجه الامام علي وهو اخو رسول الله ﷺ ووصيه

(١) السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٤٩.

(٢) نهج البلاغة ٢ / ١٤.

(٣) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام خ ١٨٢ / ٢٥، أو ٨٢.

(٤) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٧، كنز العمال ٣ / ١٥٧ / ٦، ١٥٧ / ٦، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩ / ١٢١، حلية الأولياء ١ / ٦٣ - ٦٤، تاريخ بغداد ١١ / ١١٢، ١٣ / ١٢٢، الإصابة، ابن حجر ٤ / ١٧٠ - ١٧١.

(٥) مروج الذهب، المسعودي ٢ / ٤٣٠.

(٦) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ط المدني بمصر ١٣٨٢ هـ، وتاريخ الخطيب البغدادي ١٢ / ٣٠٥.

(٧) فهرست المكتبة الخديوية بمصر سنة ١٣٠٧ / ٤ / ٣١٤.

ووارثه، وقاضي دينه ومنجز وعده وزوج ابنته...^(١)

وعن سلمان الفارسي قال قلت لرسول الله: إن لكل نبي وصياً فمن وصيِّك؟ فسكت عني فلما كان بعد رأني فقال: يا سلمان! فأسرعت إليه قلت: ليبيك قال: تعلم من وصيِّ موسى؟ قلت: نعم، يوشع بن نون قال: لم؟ قلت: لانه كان اعلمهم يومئذ قال: فإن وصيبي وموضع سري وخير من أترك بعدي وينجز عدتي ويقضي ديني علي بن ابي طالب^(٢).

وذكر الوصية الصحابي انس بن مالك اذ قال: إن النبي توضأ وصلى ركعتين وقال له: اول من يدخل عليك من هذا الباب امام المتقين وسيد المسلمين ويعسوب الدين وخاتم الوصيين...^(٣). فجاء الامام علي عليه السلام فقال ﷺ: من جاء يا انس؟ فقلت: علي، فقام اليه مستبشراً فاعتنقه^(٤).

وقال ابو الاسود الدؤلي:

احب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصيا^(٥)

قال عبد الله بن أبي سفيان بن الحرث بن عبد المطلب:

وصي النبي المصطفى وابن عمه فمن ذا يدانيه ومن ذا يقاربه؟^(٦)
وقال الفضل بن العباس بن عبد المطلب:

(١) مناقب الخوارزمي ١٢٥، مختصر تاريخ دمشق، ابن عساكر ١٨ / ٢٠.

(٢) رواه سبط ابن الجوزي في كتاب تذكرة خواص الأمة باب حديث النجوى وفي كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد عن الطبراني ٩ / ١١٣.

(٣) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٧، كنز العمال ٣ / ١٥٧ / ٦، ١٥٧ / ٦، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩ / ١٢١، حلية الأولياء ١ / ٦٣ - ٦٤، تاريخ بغداد ١١ / ١١٢، ١٣ / ١٢٢، الإصابة، ابن حجر ٤ / ١٧٠ - ١٧١.

(٤) تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٨٦، شرح نهج البلاغة، أبو الفرج الأصفهاني ط مصر الأولى ١ / ٤٥٠، حلية الأولياء ١ / ٦٣.

(٥) الكامل للمبرد ٢ / ١٥٢، وراجع الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، ط ساسي ٧ / ١٠.

(٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٤٧.

ألا ان خير الناس بعد محمد

وصي النبي المصطفى عند ذي الذكر (١)

وقال النعمان بن عجلان شاعر الانصار بعد وفاة النبي عليه السلام:

وكان هوانا في علي وإنه لاهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
وصي النبي المصطفى وابن عمه وقاتل فرسان الضلالة والكفر
وقد قال النعمان ذلك الشعر في جواب كلمة عمرو بن العاص التي انتقص فيها
الانصار بعد انتصاب ابي بكر لانحسار الانصار عن الخليفة (٢).

وقال خزيمه بن ثابت ذو الشهادتين في يوم الجمل يخاطب فيها عائشة:

وصي رسول الله من دون اهله وأنت علي ما كان من ذلك شاهد
وقال ايضاً:

يا وصي النبي قد أجلت الحر ب الأعداي وسارت الأظعان
واستقامت لك الامور من الشد ام وفي الشام يظهر الاذعان
حسبهم ما رأوا وحسبك منا هكذا نحن حيث كنا وكانوا
وقال عمر بن حارثة الانصاري في محمد بن الحنفية في يوم الجمل:

سمي النبي وشبهه الوصي ورايته لونها العندم
وقال رجل من الازد في يوم الجمل:

هذا علي وهو الوصي آخاه يوم النجوة النبي
وقال هذا بعدي الولي وعاه واع ونسي الشقي

فبالرغم من مرور ثلاث وعشرين سنة على وفاة النبي عليه السلام ما زال الناس
يذكرون وصية الرسول عليه السلام لعلي عليه السلام، وهذا شيء خطير، اذ لم تتمكن قوة السلطة
والفترة الزمنية الطويلة من طمر هذه الوصية الالهية:

(١) تاريخ الطبري ط اوربا ١ / ٣٠٦٤.

(٢) النعمان بن عجلان الزرقني الأنصاري شاعر الأنصار وقد استعمله الإمام علي والياً على البحرين، الاستيعاب ط حيدر آباد ١ / ٢٩٨، وأسد الغابة ٥ / ٢٦.

فقالها الشعراء والصحابة في ايام الرسول عليه السلام وبعد مماته واكثروا من ذكرها
بعد مقتل عثمان وفي معركة الجمل وفي معركة صفين وهلمَّ جرأً في ايام الدولتين
الاموية والعباسية، لتبقى الوصية خالدة في تاريخ الامم لا يلفها النسيان ولا يطويها
السلطان، وهذه ان دلت على شيء فانما تدل على بقاء الحق في الارض بقوة الله
تعالى!؟

فقد قال الامام علي عليه السلام في صفين بعد ان اعطى معاوية مصر لعمر وطمعة:

يا عجباً لقد سمعت منكراً كذباً على الله يشيب الشعرا
يسترق السمع ويغشي البصرا ما كان يرضي أحماً لو خبرا
ان يقرنوا وصيه والابترا شافي الرسول واللعين الاخزرا (١)
وقال حجر بن عدي الكندي:

يا ربنا سلّم لنا علياً سلّم لنا المهذب النقيا
المؤمن المسترشد المرضيّا واجعله هادي أمّة مهديّا
لا أخطل الرأي ولا غيبنا واحفظه ربّي حفظك النبيّا
فإنه كان له وليا ثم ارتضاه بعده وصيا (٢)

وقد كتب جرير بن عبد الله البجلي والي عثمان على احد الولايات الايرانية:

أتانا كتاب علي فلم نرد الكتاب بارض العجم
علياً عنيت وصي النبي نجالد عنه غواة الامم (٣)

وقال الاشعث بن قيس الكندي والي عثمان على اذربيجان بعد مقتل عثمان:

اتانا الرسول رسول علي فسرّ بمقدمه المسلمونا
رسول الوصي وصي النبي له الفضل والسبق في المؤمنينا
وزير النبي وذو صهره وسيف المنية في الظالمينا

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٣٨١.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ٣٨١.

(٣) وقعة صفين ١٥ - ١٨.

وقال أيضاً:

أنا رسول الرسول رسول الوصي
رسول الوصي وصي النبي
وزير النبي وذو صهره
علي المهذب من هاشم
وخير البرية من قائم
وخير البرية في العالم^(١)

وقال المنذر بن أبي حمضة الوادعي:

ليس منا من لم يكن في الـ له ولها يا ذا الولا والوصيه^(٢)

وقال المنذر بن عجلان الانصاري:

كيف التفرق والوصي امامنا
وذروا معاوية الغوي وتابعوا
لا كيف إلا حيرة وتخاذلا
دين الوصي تصادفوه عاجلا^(٣)

وقال ابن عباس:

سَبُّوا الاله وكَذَّبُوا بِمحمد
احياؤهم خزي على امواتهم
والمرتضى ذلك الوصي الطاهر
والميتون فضيحة للغابر^(٤)

وقد اعتزلت الانصار عن ابي بكر فغضبت قريش واحفظها ذلك فتكلم
خطباؤها وقدم عمرو بن العاص، فقالت له قريش: قم فتكلم بكلام تنال فيه من
الانصار، ففعل ذلك، فقام الفضل بن العباس فرد عليهم، ثم صار الى الامام
علي عليه السلام فاخبره وانشده شعراً قاله، فخرج الامام علي مغضباً حتى دخل المسجد
فذكر الانصار بخير ورد على عمرو بن العاص قوله، فلما علمت الانصار ذلك سرها
وقالت ما نبالي بقول من قال مع حسن قول الامام علي عليه السلام واجتمعت الى حسان
بن ثابت الذي قال:

جزى الله خيراً والمجزاء بكفه
أبا حسنٍ عتاً ومن كأي حَسَن

(١) وقعة صفين ٢٠ - ٢٤ .

(٢) وقعة صفين ٤٣٦ .

(٣) وقعة صفين ٣٦٥ .

(٤) ابن شهر آشوب في مناقبه ٢١ / ٣ .

سبقت قريشاً بالذي انت أهله
تنتت رجالاً من قريش أعزّة
فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
مكاتك هيات الهزال من السمن
حفظت رسول الله فينا وعهده
إليك ومن أولى به منك من ومن!
ألسنت أخاه في الهدى ووصيته
وأعلم فهر بالكتاب وبالسنة

وقال ابو مخنف: ولما بلغ حذيفة بن اليمان أن علياً قد قدم ذي قار،
واستنفر الناس، دعا أصحابه فوعظهم وذكرهم الله وزهدهم في الدنيا، ورغّبهم في
الآخرة وقال لهم: الحقوا بامير المؤمنين وصيبي سيد المسلمين فإن من الحق أن
تنصروه^(١).

وقد قال عبد الفتاح عبد المقصود المصري: وما نحسب الذين نادوا بعلي امير
المؤمنين بعد مقتل عثمان، إلا قد فعلوا وفي بالهم وصية النبي ﷺ بتأمره وإن تأخر
بها عليهم الزمن، وإن تعلقت عندئذ بجزية الضرورات التي املتها الحوادث وان
نظرية الوصية هي اول نظرية سياسية لنظام الحكم في الاسلام والاصل الذي لا
اصل قبله ولا اصل غيره^(٢).

وقال عبد الفتاح عبد المقصود المصري: ولا نعني بهذا أننا نهدر الوصية او
نذهب مذهب الذين يقولون بان وصية محمد ﷺ الى ابن عمه لم تكن وصية
بالخلافة، وإن ذرائع انتخاب ابي بكر يوم السقيفة لشغل منصب الخلافة يمكن ان
تكون نفس الذرائع التي قد تساند أي امرئ سواه.

ولقد اعترف عمر بن الخطاب باحقية الامام علي بن ابي طالب بالخلافة من
غيره إذ قال لابن عباس: لقد كان علي فيكم أولى بهذا الامر مني ومن ابي بكر، وفي
لفظ آخر: أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالامر بعد وفاة رسول الله ﷺ^(٣).
وقد قال النبي ﷺ لكل نبي وصي ووارث، وإن وصيي ووارثي علي بن ابي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٣٥ .

(٢) السقيفة والخلافة، عبد الفتاح عبد المقصود ١٤٥ .

(٣) شرح نهج البلاغة ٢ / ١٣٤ .

طالب وقد قرنه الرسول ﷺ بالوارث لانه وارث العلم والمنزلة^(١).
والوصي يعني من يخلف الامر لشخص في دولة او مؤسسة او عائلة والذي
يدير الامور وقد اجتمعت في الامام علي عليه السلام صفات الوصي والوارث والمولى
والخليفة والوزير والسيد (سيد المسلمين) والامام (امام المتقين).
ولا يمكن اجتماع هذه الصفات في رجل عادي بل تجتمع في الخليفة القائم
بالامر بعد الرسول ﷺ ..

ولا يجوز لعاقل ومنصف تأويل كل هذه الاوصاف تأويلات خيالية لا يقبلها
عقل ولا منطق ولا وجدان....

ولو كانت هذه الاوصاف لا تصل الى المراد اذاً ماذا يقول النبي ﷺ .
حتى يصل الى المراد، وهل توجد في اللغة العربية غير هذه الاوصاف!
قال ابو الهيثم وهو يدري:

كنا شعاع نيينا وديتاره يَفديه منا الروح والابصار
إن الوصي إمامنا ووليئنا بَرَح الخفاء وباحت الاسرار
وقال غلام خرج من جيش عائشة في وقعة الجمل:

نحن بنو ضبة أعداء علي ذلك الذي يُعرف قديماً بالوصي
وفارس الخيل على عهد النبي ما أنا عن فضل علي بالعمي
لكنني أنعى ابن عفان التقي إن الولي طالب تأر الولي^(٢)
وقال المأمون:

ألام على جبي الوصي ابا الحسن وذلك من غر اعاجيب الزمن^(٣)
وقال الحميري:

ابي أدين بما دان الوصي به يوم النخيلة من قتل المحلينا^(١)
وقال ايضاً:
والله من عليهم بمحمد وهداهم وكسا الجنوب واطعما
ثم انبروا لوصيه ووليه بالمنكرات فجر عوه العلقما^(٢)
واستمر تعصب الانصار لحق الامام علي بن ابي طالب عليه السلام فقد قال الشاعر
ابو القاسم المغربي الازدي:

افنحن أولي بالخلافة بعدة أم عبد تيم حاملو الاوزار
ما الأمر إلا أمرنا ويسعدنا زُفَّت عروسُ الملك غير نوار
لكننا حسد النفوس وشحها وتذكر الأذحال والاوتار
افضى الى هرج ومرج فانبرت عشواء خابطةً بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو حَسَن لقلت لومت من استار
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة جاف ومن ذي لوتة خوَار
ثم ارتدى المحروم فضل رداها فغلت مراجل إحنة ونفار
فتأكلت تلك الجذى وتلمظت تلك الظبا ورقى اجييح النار
تالله لو القوا إليه زمامها لمشي بهم سُجْحاً بغير عثار
ولو أنها حلت بساحة مجده بادي بدا سكنت بدار قرار
ثم امتطاها عبد شمس فاغتدت هزواً وبُذِل رُبْحها بخسار
وتنقلت في عصية أموية ليسوا باطهار ولا أبرار
ما بين مأفون الى مترنق ومداهني ومضاعف وجمار^(٣)

النبي ﷺ ممنوع من كتابة وصيته

(١) الكامل للمبرد ٢ / ١٧٥ ، الأغاني ط ساسي ٧ / ٢١ .

(٢) الأعلام للزركلي ١ / ٣٢٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ / ١٧ .

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣ / ٥ ، الرياض النضرة ٢ / ١٧٨ ، تذكرة خواص الأمة ، سبط بن

الجوزي باب حديث النجوى عن كتاب الفضائل لأحمد بن حنبل .

(٢) فجر الإسلام أحمد أمين ٣٦٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٢ .

إن النبي ﷺ العظيم المتصل بالسماء ممنوع من كتابة الوصية رغم القول الإلهي ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى﴾

بواسطة عمر واعوانه، بينما عمر له الحق في تعيين من يشاء وبأي طريقة وصية او مجلس ستة لا هي شورى ولا هي تعيين لتصبح نظرية انتخاب الحاكم الاسلامي غير واضحة المعالم لا هي شورى ولا هي وصية بين بين مثل سفينة ضائعة في بحر هائج... ولو عاش عثمان مدة أطول ومات طبيعياً فالله أعلم ما كان يطرح من نظرية في هذا المجال...!!

وفي سياق هذا الوضع المجهول نرى معاوية قد اعطى لنفسه الحق في ان يقرر ما يشاء في هذا السبيل لانه حاكم ومن صلاحياته تقرير ما يشاء... فاذا بنا نراه يتنزع من مخيلته نظرية الحكم الوراثي الهرقلية كما قال سعد بن ابي وقاص - والكسروية.

فكيف يكون من حق ابي بكر وعمر ومعاوية تعيين خليفة ولا يحق لسبي السماء ﷺ تعيين خليفة خاصة وانه ﷺ قال: لا كتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده ابداً^(١).

وقد عرف ابو بكر وعمر واتباعهما هدف الرسول ﷺ من ذلك لانه قد قال ايضاً في خطبة الوداع سابقاً حول تركه الثقلين للمسلمين كتاب الله وعترتي اهل بيتي، وانها لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، ولن تضلوا ان تمسكنم بها ابداً^(٢).

وبمجرد ادراك عمر وجماعته رغبة النبي ﷺ في كتابة وصية الامام علي بن ابي طالب عليه السلام عمر للقول: ان النبي يهجر^(٣).

محتجاً بمرض النبي ﷺ وخروجه عن ساحة العقلاء والعياذ بالله في حين ان

(١) صحيح الترمذي ٢/٣٠٨، صحيح مسلم ٥/٢٢ ح ٢٤٠٨.

(٢) مستدرک الحاكم ٣/١٠٦.

(٣) يهجر أي يتكلم بدون عقل ولا وعي أي يهذي ويخبط كالمجنون والسكران والعياذ بالله من شرّ أذئاب وأعوان إبليس.

وصيته ﷺ للثقلين لم تكن في مرضه بل كانت في واقعة الغدير وحجة الوداع اذاً المحجة ليست في مرض النبي ﷺ بل في رغبة القوم في قبول ثقل واحد وترك الآخر، ولكن اي اجتهاد هذا والنبي ﷺ حي امامهم، انه ضلال واضلال وليس اجتهاد وهو معارضة صارخة لقول الله تعالى!

وفي رزية يوم الخميس وعندما قال عمر ان النبي ﷺ ليهجر حسبنا كتاب الله يهجر، قال اعوانه: إن الرسول ﷺ ليهجر القول ما قال عمر، فهنا سؤال يفرض نفسه من هم حزب عمر الحاضرون في غرفة الرسول ﷺ والمواجهون للنبي.

طبعاً على رأس الحاضرين ابو بكر وعائشة وحفصة وسودة والمغيرة وابن عوف وعثمان وخالد بن الوليد وأبو هريرة وسالم مولى ابي حذيفة ومعاذ بن جبل وابن الجراح.

ومن خلال قصة احداث يوم الخميس نفهم بان جماعة عمر كانت مصممة على تطبيق ما تؤمن به وما اتفقت عليه.. واذا عدنا الى الوراة قليلاً نرى بان هذه المجموعة هي نفسها (مع آخرين) قد منعت حملة اسامة بن زيد، وسوف نجد بان هذه المجموعة من الرجال قد أخرجت دفن الرسول ﷺ ولم تشترك في جهازه وهي التي صنعت مسرحية السقيفة. وهي نفسها التي حملت الحطب لحرق منزل أهل البيت عليه السلام^(١). والاحراق وسيلة غير صحيحة في علاج الامور لان القرآن ذكرها عن ام جميل: ﴿وَأَمْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾^(٢)

فكيف يتحرك مسلم لاحراق اهل بيت النبوة ومهبط الرسالة بعدما فشلت ام جميل في احراقهم.

ولا ادري لماذا استخدم ابو بكر وعمر وسيلة الحرق لما لا يجوز مثل الحديث النبوي وأهل البيت عليه السلام والفتنة وقد اعتذر ابو بكر عن عمليتي الاحراق الثانية

(١) تاريخ أبي الفداء ١/١٦٤، العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤/٢٥٩، تاريخ الطبري ٣/١٩٨، انساب

الأشراف، البلاذري ١/٥٨٦.

(٢) المسد: ٥.

والتالفة وسكت عن الأولى!

جاء في كتاب فتح الباري لابن حجر (١) عن حادثة يوم الخميس ماذا اراد ان

يكتب عليه السلام في يوم الخميس؟

قال عمر: تعيين الخليفة علي عليه السلام (٢).

وقال عمر: لقد أراد عليه السلام أن يصرّح باسمه فنتعته (٣).

وقال عمار في مكة: لو قد مات الخليفة عمر بايعت الامام علي بن ابي

طالب (٤).

ثم قال عمر في المدينة: إن فلاناً (عماراً) يقول: إنه لو قد مات امير المؤمنين قد بايعت فلاناً (علياً) فلا يفترن امرؤ ان يقول: إن بيعت ابي بكر كانت فلتة، وقد كانت كذلك إلا ان الله وقى شرها.... فن بايع رجلاً عن غير مشورة من المسلمين فإنه لا يتابع هو ولا الذي بايعه تغرة ان يقتلا (٥).

وسوف تبقى أجيال المسلمين تتأسف على فعل جماعة الحزب القرشي الذين منعوا رسول الله عليه السلام من كتابة وصيته الإلهية وراحوا هم يوصون لمن يحبون فقتل عمر: أبا بكر قبل أن يوصي واختلق وصية على لسانه! أوصى عمر لعثمان وكتب عثمان وصية لعبد الرحمن بن عوف وأوصى عمر بإبقاء عماله سنة في عملهم، وأوصى بتعيين سعد بن أبي وقاص على الكوفة وتعيين الأشعري على البصرة أربع سنوات. ثم أوصى معاوية ليزيد وأوصى يزيد لمعاوية، ثم أوصى مروان لابنه عبد الملك وأوصى عبد الملك لابنيه الوليد وسليمان.

(١) فتح الباري ٨/ ١٣٢.

(٢) فتح الباري، ابن حجر ٨/ ١٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٣/ ١٠٥، ١١٤.

(٤) المغازي لابن شهاب ١٣٩.

(٥) المغازي للزهري ١٣٩، ١٤٣، كنز العمال ٣/ ٢٣٢٣، مسند أحمد ١/ ٥٥، تاريخ الطبري

٢/ ٤٤٦، تاريخ ابن الأثير ٢/ ٣٢٥.

الباب الثاني:

علاقة الإمام علي مع عمر وعثمان

الفصل الأول : علاقة الامام علي عليه السلام - عمر اعترافات الخليفة عمر بنصوص إلهية في ولاية علي

عليه السلام

لقد ذكر عمر بن الخطاب نصوصاً عديدة وإعترافات حميدة في ولاية الامام علي عليه السلام ومنزلته وهي جديرة بالذكر، إذ اخرج المحب الطبري عن عمر، وقد جاء اعرابيان يختصمان، فقال لعلي عليه السلام: إقض بينهما يا أبا الحسن، فقضى الامام علي عليه السلام بينهما. فقال أحدهما: هذا يقضي بيننا؟

فوثب إليه عمر وأخذ بتليبيه وقال: ويحك ماتدري من هذا؟ هذا مولاي ومولى كل مؤمن، ومن لم يكن مولاه، فليس بمؤمن^(١).

وحكم علي عليه السلام مرة على أعرابي بحكم، فلم يرض بحكمه، فتليبه عمر بن الخطاب، وقال له: ويلك إثم مولاك ومولى كل مؤمن ومؤمنة^(٢).

وعن عمر وقد نازعه رجل في مسألة فقال: بيني وبينك هذا الجالس، وأشار إلى الامام علي بن أبي طالب فقال الرجل: هذا؟ فنهض عمر من مجلسه وأخذ بتليبيه، حتى شاله من الأرض، ثم قال: أتدري من صغرت؟ هذا مولاي ومولى كل مسلم. وقيل لعمر بن الخطاب: إنك تصنع بعلي شيئاً (أي تعظمه) لا تصنعه مع أحد

(١) ذخائر العقبين ٦٨، الصواعق المحرقة ١٠٧، الرياض النظرة، الحافظ ابن سلمان ٢ / ١٧٠.

(٢) الفتوحات الإسلامية ٢ / ٣٠٧.

من أصحاب النبي ﷺ فقال: إنّه مولاي (١).

وأخرج ابن الأثير حديث المناشدة في الرجعة قائلاً: وقد روى مثل هذا البراء بن عازب، وزاد فقال عمر بن الخطاب: يا ابن أبي طالب، أصبحت اليوم ولي كل مؤمن (٢).

وأخرج المير سيد علي الهمداني عن البراء بن عازب عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ﴾ (٣).

أي بلِّغ من فضائل الامام علي انها نزلت في غددير خم. فخطب رسول الله ﷺ وقال: من كنت مولاه فهذا الامام علي مولاه.

فقال عمر: يخ يخ لك يا علي، أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة (٤). وقالوا لعمر: لو عهدت فقال: كنت أجمع بعد مقاتلي لكم، أن أولي رجلاً أمركم، يحملكم على الحق، وأشار إلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، ثم رأيت ان لا أعمله حياً وميتاً (٥).

وأخرج القندوزي الحنفي عن البراء قال: كنّا مع رسول الله ﷺ في سفر، فنزلنا في غددير خم، ونودي فينا لصلاة جامعة، فصلى ﷺ الظهر وأخذ بيد الامام علي، فقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟

قالوا: بلى. قال: ألستم تعلمون أني أولى بكل مؤمن من نفسه. قالوا: بلى، أخذاً بيد الامام علي.

فقال لهم: من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

(١) شرح المواهب، الزرقاني المالكي ١٣، الفتوحات الإسلامية، أحمد زيني دحلان (مفتي مكة) ٢ / ٤٧٠.

(٢) أسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ / ٢٨.

(٣) المائدة ٦٧.

(٤) رواه أبو نعيم وذكره التعالبي في كتابه (كتاب السبعين في فضائل أمير المؤمنين ٥١٧).

(٥) الفتوحات الإسلامية، أحمد زيني دحلان ٢ / ٤٢٧.

قال فلقية عمر بن الخطاب قال هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة (١).

وأخرج في النهاية في غريب الحديث عن البراء بن عازب: كنّا عند النبي ﷺ، فنزلنا بغدير خم فنودي فينا: الصلاة جامعة وكسح لرسول الله ﷺ تحت شجرة فصلّى الظهر، وأخذ بيد الامام علي، وقال: ألستم تعلمون أني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟ قالوا: بلى.

فأخذ بيد الامام علي وقال: اللهم من كنت مولاه، فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. قال فلقية عمر بعد ذلك، وقال: هنيئاً لك يا ابن أبي طالب، أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة (٢).

وروى أبو حامد محمد بن محمد الغزالي في كتابه، في باب ترتيب الخلافة والمملكة: قوله ﷺ: من كنت مولاه فعلي مولاه. فقال عمر: يخ يخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي، ومولى كل مؤمن (٣).

فهذا تسليم ورضى وتحكيم. ثم بعد هذا غلب الهوى الحبّ الرياسة، وحمل عمود الخلافة، وعقود النبوة، وخفقان الهوى في قعقة الرايات، واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، وسقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأول، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً (٤).

ومن صراحة سعد بن عباد ما جاء عن طريق أبي بكر احمد بن عبد العزيز: ذكر سعد بن عباد يوماً علياً بعد يوم السقيفة فذكر أمراً من أمره نسيه أبو الحسن

(١) بتاييع المودّة ١ / ٣٠.

(٢) عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩، وعن زيد بن أرقم مثله.

(٣) تاريخ الإسلام، الخطيب ٢٣٢.

(٤) رواه الترمذي والنسائي والإمام أحمد بن حنبل في مسنده وابن ماجه عن همام سزّ

العاملين ١٣ / ١.

يوجب ولايته.

فقال له ابنه قيس: أنت سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا الكلام في الامام علي

بن أبي طالب؟^(١)

وأخرج الخطيب البغدادي عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة، أنه قال: من صام يوم ثمان عشرة من ذي الحجة، كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم، لما أخذ النبي ﷺ بيد الامام علي بن أبي طالب فقال: ألتست أولى بالمؤمنين قالوا: بلى يارسول الله. قال: من كنت مولاه فعلي مولاه.

فقال عمر بن الخطاب: يخ يخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم. فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾^(٢).

وقال عمر أمام علي عليه السلام ومجموعة من المسلمين: أما والله لقد أردك الحق، ولكن أبي قومك^(٣). وقال عمر لابن عباس عن رزية يوم الخميس: لقد أراد رسول الله أن يصرح باسمه فنتعته^(٤).

وقال عمر لعبد الله بن عباس لعلك ترى صاحبك (علياً) لها أهلاً. قلت: وما يمنعني عن ذلك مع جهاده وسابقته وقرابته وعلمه.

قال صدقت ولكنك أمرؤ فيه دعاة. ثم بدأ عمر بوصف الامام علي عليه السلام: إن أحرهم أن يحملهم على كتاب ربهم، وستة نبيهم لصاحبك، والله لتن وليها، ليحملنهم على المحجة البيضاء والصرائط المستقيم^(٥).

وروى أبو بكر الأنباري في أماليه: أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد،

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦ / ٤٤.

(٢) شواهد التنزيل ١ / ١٥٧، عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩، المائدة ٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٤، ١١٥.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١١٤.

وعنده ناس. فلما قام، عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب.

فقال عمر: حقّ لثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأئمة، وذو سابقتها، وذو شرفها^(١).

لقد كانت مواقف عمر في بداية سلطته ضدّ الامام علي عليه السلام، ثمّ تحسّنت، واستمرت في مدّ وجزر وهي مثل نار تحت رماد، ولكن صراحة عمر البدوية استمرت دون انقطاع. وعمر الذي اعترف بولاية الامام علي عليه السلام، واحقيقته في الخلافة نراه يبرّر سلطته منه بأمور ليس لها أساس.

مثلاً يصف الامام علي عليه السلام بصغر السن، في حين كان عمره يوم مات النبي ﷺ ثلاثين سنة. ويصفه بالدعاة، وهو أبعد الناس عنها. ويصفه بحبّ قومه، وعدالته معروفه، وثابته قبل خلافته وبعدها.

ومن هذه المواقف المعادية لعلي عليه السلام: قال عمر لسعيد بن العاص إنني لم أقتل أباك وإنما قتله علي عليه السلام. إلا أن سعيداً قال له: إنّه قتل على الباطل^(٢).

وكان خالد وأبان إبن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية من المؤيدين لبيعة الامام علي عليه السلام، بعد وفاة النبي ﷺ.

وجاء في الإصابة: قتل الامام علي عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس في معركة بدر كافرأ^(٣).

وروي عن ابن عباس قوله: دخلت على عمر يوماً، فقال يا ابن العباس: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نخلته رياء؟ قلت من هو؟ فقال: هذا ابن عمك يعني علياً.

قلت: وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٥.

(٢) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٣٥٤، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٩٠، مغازي الواقدي ١ / ٩٢.

(٣) الإصابة، ابن حجر العسقلاني ٢ / ٣٩١.

بالخلافة.

قلت: وما يصنع بالترشيع؟! قد رشحه لها رسول الله ﷺ فصرفت عنه.
قال: إنه كان شاباً حدثاً فاستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن، ألم تعلم أن
الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين.
قلت: يا أمير المؤمنين أما أهل الحجى والنهى، فإنهم ما زالوا يعدونه كاملاً
منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنهم يعدونه محروماً مجدوداً^(١).
وعن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعمر
على بعل، وأنا على فرس فقراً (عمر) آية فيها ذكر الامام علي بن أبي طالب فقال:
أما والله يابني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي
بكر. فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أقتله. فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟
وأنت وصاحبك وثبتا وافرغتا الأمر منّا دون الناس؟ فقال: إليكم يا بني عبد
المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب، فتأخّرت وتقدّم هنيهة. فقال سير
لاسرت، وقال أعد علي كلامك. فقلت: إنما ذكرت شيئاً فرددت عليه جوابه، ولو
سكتت سكتنا. فقال: إننا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة، ولكن استصغرناه،
وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش، لما قد وترها، قال: فأردت أن أقول:
كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها، فلم يستصغره، أفستصغره أنت
وصاحبك؟ فقال: لاجرم فكيف ترى؟ والله ما تقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى
نستأذنه^(٢)، لقد قال عمر ذلك بعد استقرار الحكم السياسي.

وقال الألويسي في تفسيره في آية ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُؤُونَ﴾^(٣)

وقد ذكر الآراء فيها: وأولى هذه الأقوال، أن السؤال عن العقائد والأعمال

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٥.

(٢) الراغب في محاضراته ٧ / ٢١٣.

(٣) الصافات ٢٤، موسوعة الامام علي، رى شهرى ٤ / ٣١.

ورأس ذلك لا اله إلا الله ومن أجله ولاية الامام علي كرم الله تعالى وجهه^(١).
وروي عن الإمام علي عليه السلام أنه قال: جعلت الموالات أصلاً من أصول الدين،
وقال: أصول الاسلام ثلاثة لا ينفع واحد منها دون صاحبه: الصلاة والزكاة
والموالات.

وذكر البيهقي عن المحافظ الحاكم النيسابوري، باسناده عن رسول الله ﷺ،
إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنم، لم
يجزها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية الامام علي بن أبي طالب^(٢).

وقال عمر: يا ابن عباس: أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد
رسول الله ﷺ إلا أنا خفناه على إثنين.
فقلت: وماها يا أمير المؤمنين؟

قال: خفناه على حدائث سنّه، وحبّه بني عبد المطلب^(٣).

وقال عمر: كانت لأصحاب محمد ﷺ ثمان في عشرة سابقة، فخصّ الامام علي
منها، بثلاث عشرة، وشركنا في خمس^(٤).

وكان الصحابة يرجعون اليه (أي الإمام علي) في أحكام الله، ويأخذون عنه
الفتاوى، كما قال عمر بن الخطاب في عدّة مواطن: لولا علي هلك عمر^(٥).

وذكر ابن أبي الحديد، حدّثني الحسين بن محمد السبيني قائلاً: «قرأت على
ظهر كتاب، أن عمر نزلت به نازلة، فقام لها وقعد وترخ لها وتقطر، وقال لمن عنده:
معشر الحاضرين ما تقولون في هذا الأمر؟ فقالوا: يا أمير المؤمنين: أنت المفرع

(١) تفسير الألويسي ٢٣ / ٧٤.

(٢) البيهقي، محبّ الدين الطبري في الرياض ٢ / ١٧٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٠.

(٤) مقتل الحسين، الخوارزمي ١ / ٤٥.

(٥) ينابيع المودة ٧٠.

والمترع، فغضب وقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ (١)
ثم قال: أما والله إنِّي وإياكم لنعلم أين نجدتها والخير بها. قالوا: كأنك أردت
ابن أبي طالب؟

قال: وأني يعدل بي عنه، وهل طفحت حره مثله؟ قالوا: فلو دعوت به يا
أمير المؤمنين؟ قال: هيهات إنَّ هناك شيخاً من بني هاشم، واثرة من علم ولحمة من
رسول الله ﷺ. يؤتى ولا يأتي، فامضوا بنا إليه، فاقصفوا نحوه، وافضوا إليه، فألقوه
في حائط له عليه تبان، وهو يتوكَّل على مسحاته ويقرأ ﴿ أَيْحَسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ
سُدًى ﴾ (٢).

إلى آخر السورة، ودموعه تهمني على خدي، فاجهش الناس لبكائه، فبكوا
ثم سكت وسكتوا. فسأله عمر عن تلك الواقعة فأصدر جوابها.

فقال عمر: أما والله لقد أراذك الحقُّ، ولكن أباي قومك، فقال عليه السلام: يا أبا
حفص: خَفِّضْ عليك من هنا ومن هنا، إنَّ يوم الفصل كان ميقاتاً. فوضع عمر
إحدى يديه على الأخرى، وأطرق إلى الأرض، وخرج وكأنما ينظر في رماد (٣).

ومن الإنصاف القول: إنَّ صراحة عمر نادرة وجيدة. ولو عمل بما صرَّح به
في حقِّ الامام علي عليه السلام لكان أفضل.

وحدَّثنا أبو زيد عمر بن شُبَّه باسناد رفعه إلى ابن عباس، قال: إنِّي
لأماشي عمر في سكك من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يا ابن عباس، ما أظن
صاحبك إلا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أمير المؤمنين،
فاردُّدُ إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي، ثم مرَّ بهم ساعة ثم وقف، فلحقته فقال
لي: يا ابن عباس، ما أظنَّ القوم منهم من صاحبك إلا أنَّهم استصغروه، فقلت في

(١) الاحزاب ٧٠.

(٢) القيامة ٣٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ٣ / ١١٤، ١١٥.

نفسى: هذه شرُّ من الأولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة
براءة من أبي بكر (١).

وقال عبادة بن الصامت الخزرجي: بايعنا رسول الله ﷺ على السمع
والطاعة في عسرناء ويسرناء ومنشطنا ومكارهنا، وعلى أن لا ننازع الأمر أهله،
وعلى أن نقول بالعدل أين كنَّا، لا نخاف في الله لومة لائم (٢). والأمر هو الخلافة.
ومن بطولات عبادة بن الصامت أنَّه جاهد معاوية بلسانه، فأخرجه معاوية
من الشام إلى المدينة. وفي المدينة أعاده عمر إلى الشام، بعد أن كتب إلى معاوية، أن
لا إمرة لك على عبادة بن الصامت (٣).

ولمَّا ادَّعت امرأتان إينا وتكرَّرتا لبنت، لم يستطع عمر ولا شرح القاضي حل
هذه المشكلة، فجاء إلى الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، فوزن الامام عليه السلام حليب كل
واحدة منها، واعطى الابن لصاحبة الحليب الثقيل الوزن.
وقال عليه السلام لعمر: أما علمت أنَّ الله تعالى حطَّ المرأة عن الرجل في ميراثها،
فكذلك كان لبنها دون لبنة.

فقال عمر: لقد أراذك الحقُّ يا أبا الحسن، لكنَّ قومك أبوا (٤).

ويقصد عمر بقومك نفسه وأبا بكر وباقي رجالات قريش، الرافضين
لخلافة الامام علي عليه السلام. فقد اعترف بأنَّه منع النبي ﷺ من كتابة الوصية لعلي في
يوم الخميس. ومن الانصاف القول إنَّ صراحة عمر لا يملكها الكثير من المسلمين.
وقال عمر: وكيف لي بعثمان؟ فهو رجل كلَّف بأقاربه؟ وكيف لي بطلحة وهو
مؤمن الرضا كافر الغضب؟ وكيف لي بالزبير وهو رجل ضبَّس (سئ الخلق)، وإن

(١) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٦ / ٤٥.

(٢) سنن النسائي ٣ / ٨٧١ ح ٣٨٧٢.

(٣) أسد الغابة، ابن الأثير، موضوع عبادة بن الصامت.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي ١ / ٢٧٣.

أخلفهم أن يحملهم على المحجة البيضاء الأصلع - يعني علياً عليه السلام^(١).
وقال لابن عباس: إنَّ علياً ابن عمك لأحقَّ الناس بها، ولكنَّ قريشاً لا
تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمزَّ الحق^(٢).
وبالرغم من أحمية الامام علي عليه السلام للخلافة واغتصاب أبي بكر وعمر لها فقد
سلك الامام علي عليه السلام معها سلوكاً متَّصفاً بالنصح والمساعدة وحفظ بيضة الإسلام،
وعدم انتهاج أي مشروع يتسبب في إسقاط الدولة الإسلامية، وهذا يعني صبره
على سلب حقِّه في الخلافة والولاية. وبسبب ذلك فقد إطمأن أبو بكر وعمر إليه مما
دفعها للإعتراف بحقِّه وبيان أفضليته وأعلميته^(٣).

اعتراف عمر بأعلمية علي وجهالة رجال الحزب القرشي

كان الامام علي عليه السلام أعلم الناس بعد النبي فقال عنه رسول الله ﷺ:
أنا مدينة العلم وعلي بابها^(٤)

(١) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ط دار الفكر، النهاية في الغريب ٣ / ٧٣، أنساب
الأشراف، البلاذري ٥ / ١٩، منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٤ / ٤٢٩.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٨، ١٥٩.

(٣) المستدرک، الحاكم ٤ / ٥٣٤، كنز العمال ١٠ / ٤٣٥، المعجم الكبير، الطبراني ١٢ / ٢٧،
الصواعق المحرقة ١٨٦، كنوز الحقائق ١٥٣، الرياض النضرة ٢ / ٢٠٨، الإمامة والسياسة ١
/ ١٣، شرح النهج ٢ / ١١٩، الوافي بالوفيات ٥ / ٢، العقد الفريد ٤ / ٢٥٩، تاريخ الطبري ٣
/ ١٩٨، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، الملل والنحل، الشهرستاني ١ / ٥٦، مناقب آل أبي
طالب ٣ / ٤٠٧، المعارف ٩٣، سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٩، كفاية الطالب ٤١٣، لسان
الميزان، ابن حجر ٥ / ٢٤٦، ميزان الاعتدال، الذهبي ١ / ١٣٩، إثبات الوصية، المسعودي
١٢٣، أعلام النساء ٤ / ١١٤، أعيان الشيعة ٤٢ / ١٢٣، الخطط، المقرئ ٢ / ٣٤٦.

(٤) الجامع الصغير، السيوطي ١ / ٤١٥، كنز العمال ١٣ / ١٤٨، فيض القدير، المناوي ١ /
٤٩، كشف الخفاء، العجلوني ١ / ٢٠٣، تاريخ بغداد ١١ / ٤٩، اللآلئ المصنوعة ١ / ٣٣٤،
فضائل الخمسة في الصحاح الستة ٢ / ٢٨١ - ٢٨٣، شواهد التنزيل، الحكساني ١ / ١٠٤،
للح

في حين تولى الحكم رجال بعيدون عن العلم والحضارة. عن قتادة قال:
سُئِلَ عمر بن الخطاب عن رجل طَلَّقَ امرأته في الجاهلية تطليقتين وفي الإسلام
تطليقة؟ فقال: لا أمرك ولا انهاك.

فقال عبد الرحمن: لكنِّي أمرك ليس طلاقك في الشُّرك بشي^(١).

فقول عمر: لا أمرك ولا أنهاك تعني: لا أعرف.

ومن مأثورات عمر الشهيرة التي وقفت ضد ما وضعتها يد القصاصين في
زمن بني أمية قوله: كلُّ الناس أفتقه منك يا عمر، وفي لفظ: حتَّى العجائز يا عمر^(٢).

وكلُّ الناس أفتقه من عمر حتَّى ربَّات الحجال^(٣).

كلُّ واحد أفتقه منك يا عمر^(٤).

كلُّ أحد أعلم من عمر^(٥).

كلُّ الناس أفتقه من عمر حتَّى المخدَّرات في البيوت^(٦).

بينما لم نلاحظ هذه الصراحة المشهودة عند أبي بكر ولا عثمان لبيان حالها.

وقال العلاء بن زياد: إنَّ عمر كان في مسير فتغنى فقال: هلاً زجرتموني إذ

للح وصحيح الحاكم النيسابوري ٣ / ٣٢٧، مسند أبي يعلى ٢ / ٥٨، صحيح البخاري، المغازي
باب غزوة تبوك ٤٤١٦، صحيح مسلم ٢٤٠٤، صحيح الترمذي في المناقب ٣٧٣١،
المعجم الكبير ١١ / ٥٥.

(١) كنز العمال ٥ / ١٦١.

(٢) الفتوحات الإسلامية ٢ / ٤٠٨، نور الأبصار ٦٥، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه، وأبو
يعلى في مسنده الكبير، وابن الجوزي في سيرة عمر، وابن كثير في تفسيره ١ / ٤٦٧،
والسيوطي في الدر المنثور ٢ / ١٣٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ / ٦١.

(٤) تفسير القرطبي ٥ / ٩٩، تفسير النيسابوري ج ١ سورة النساء، تفسير الخازن ١ / ٣٥٣،
الفتوحات الإسلامية ٢ / ٤٧٧.

(٥) تفسير القرطبي ١٤ / ٢٧٧، تفسير الكشاف ٢ / ٤٤٥.

(٦) أخرجه الرازي في أربعينه ٤٦٧.

لغوت^(١).

وقرأ عمر على المنبر: ﴿ فَأَتَيْتُنَا فِيهَا حَبًّا وَعَيْبًا وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا وَخَدَائِقَ غُلْبًا وَقَاكِمَةً وَأَبًّا ﴾^(٢). فقال كل هذا عرفناه فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده فقال: هذا لعمر الله هو التكلف، فما عليك أن تدري ما الأب، إتبعوا ما يُبَيِّنُ لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، ومالم تعرفوه فكلوه إلى ربِّه^(٣).

وحدثت مناقشات علمية وقضائية كثيرة زمن عمر والأمام علي عليه السلام فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب. وقال: لولا علي لهلك عمر^(٤).

وقال: عجزت النساء أن يلدن مثل علي بن أبي طالب.

وقال: اللهم لا تبقي لمعضلة ليس لها ابن أبي طالب^(٥).

وقال: ردُّوا قول عمر إلى الامام علي، لولا علي لهلك عمر^(٦). وقال: لولا

علي لضلَّ عمر^(٧). وقال: لولاك لأفضحننا^(٨).

وقال: أبا حسن لا أبقاني الله لشدة لست فيها، ولا في بلد لست فيه^(٩).

(١) كنز العمال ٧ / ٣٣٥.

(٢) عيس ٢٦ - ٣١.

(٣) المستخرج، أبو نعيم، وشعب الإيمان للبيهقي، المستدرک للحاكم ٢ / ٥١٤، تفسير ابن جرير ٣٠ / ٣٨. وقد دافع ابن حجر عن عمر بطريقته الخاصة فقال: إنَّ الكلمة (الأب) غير عربية.

(٤) ينابيع المودة ٧٠، الاستيعاب، ابن عبد البر ٣ / ١١٠٣.

(٥) أخرجه سبط بن الجوزي.

(٦) أخرجه الخوارزمي في مناقبه ٥٧، السنن الكبرى، البيهقي ٧ / ٤٤١، كتاب العلم لأبي عمر ٢ / ١٨٧، ذخائر العقبى ٨١.

(٧) تمهيد الباقلائي ١٩٩.

(٨) صحيح البخاري، باب كسوة الكعبة، سنن ابن ماجه ٢ / ٢٦٩، فتح الباري ٣ / ٣٥٨.

(٩) كتاب الأذكياء، ابن الجوزي ١٨، كنز العمال ٣ / ١٧٩، ذخائر العقبى ٨٠، مناقب الخوارزمي ٦٠.

وقال: لا أبقاني الله بارض لست فيها يا أبا الحسن^(١). ونحن نعرف بأنَّه يندر في الناس من يصرِّح بفضل غيره على نفسه او يجمله في العلوم.

ولكنَّ عمر بعد استقرار الأوضاع السياسية، وسيطرة الدولة على بلدان كثيرة، وانتصارها على أكبر دولتين في ذلك الزمن، وهما الدولتان الفارسية والرومية، وانخفاض التوتر بين الدولة وبني هاشم بدأت تصرِّحاته الكثيرة ولسجيتته بقيت أمور أخرى دون تصرِّح منه بواقعها لعل نعرفها.

وروي «لَمَّا ولي امير المؤمنين عمر بن الخطاب الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا: يا عمر أنت وليُّ الأمر بعد محمد ﷺ وصاحبه، وأنا نريد ان نسألك عن خصال إن اخبرتنا بها علمنا أن الإسلام حق وأن محمداً كان نبياً، وإن لم نخبرنا بها، علمنا أن الإسلام باطل وأن محمداً لم يكن نبياً، فقال: سلوا عما بدا لكم، قالوا: اخبرنا عن اقفال السموات ما هي؟ واخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي؟ واخبرنا عن قبر سار بصاحبه ما هو؟ واخبرنا عن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس، واخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا في الارحام؟ واخبرنا ما يقول الدراج في صياحه؟ وما يقول الديك في صراخه؟ قال: فنكس عمر رأسه في الارض ثم قال: لا عيب بعمر إذا سُئِلَ عما لا يعلم أن يقول: لا أعلم.

فوثبت اليهود وقالوا: نشهد أن محمداً لم يكن نبياً وأن الإسلام باطل، فوثب سلمان الفارسي وقال لليهود: قفوا قليلاً، ثم توجه نحو الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه فقال: يا أبا الحسن أغث الإسلام. فقال عليه السلام: وما ذاك؟ فأخبره الخبر، فاقبل يرفل في بردة رسول الله، فلما نظر إليه عمر وثب قائماً فاعتنقه، وقال: يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى. فدعا علي كرم الله وجهه اليهود

(١) مستدرک الحاكم ١ / ٤٥٧، سيرة عمر، ابن الجوزي ١٠٦، عمدة القاري، العيني ٤ / ٦٠٦، الجامع الكبير، السيوطي ٣ / ٣٥.

فقال: سلوا عما بدا لكم؛ فإن النبي علمني الف باب من العلم، فتشعب لي من كل باب الف باب، فسألوه عنها فقال الامام علي كرم الله وجهه: إن لي عليكم شريطة إذا اخبركم بما في توراتكم دخلتم في ديننا وآمنتم. فقالوا: نعم. فقال: سلوا عن خصله خصله.

قالوا: أخبرنا عن أفعال السموات ما هي؟ قال: أفعال السموات الشرك بالله؛ لأن العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرتفع لها عمل.

قالوا: فأخبرنا عن مفاتيح السموات ما هي؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون: صدق الفقي. قالوا: فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟ فقال: ذلك الحوت الذي التقم يونس بن متى، فسار به في البحار السبعة.

فقالوا: أخبرنا عن أنذر قوم لا هو من الجن ولا هو من الانس؟

قال عليه السلام: هي نملة سليمان بن داود قالت: يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون.

قالوا: فأخبرنا عن خمسة مشوا على الأرض ولم يخلقوا في الارحام؟ قال: ذلك آدم وحواء وناقاة صالح وكبش ابراهيم وعصى موسى....

فسر عمر لذلك أعظم السرور وأسلم اليهود^(١).

وقال عمر: أقضانا علي^(٢). فعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: خطبنا عمر فقال: علي أقضانا.

وعن سعيد بن المسيب قال: كان عمر يتعوذ بالله من معضلة ليس فيها أبو

حسن^(٣).

(١) العرائس، أبو اسحاق التلعلي ٢٣٢ - ٢٣٩.

(٢) الاستيعاب بهامش الإجابة ٣/ ٣٨ - ٣٩، تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٧.

(٣) مقتل الحسين، الخوارزمي ٤٥ / ١.

قال عمر بن الخطاب: متعتان كانتا على عهد رسول الله أحرمهما وأعاقب عليهما^(١).

وكانت أقوال عمر أحياناً في غاية الصراحة غير خائف من أحد في الأرض، فهو بجانب سلطة قوية وجيش قوي قادر على هزيمة الجيوش الفارسية والرومية.

اعتراف عمر بأحقية الامام في الخلافة

قال خالد محمد خالد في كتابه الديمقراطية أبداً: لقد ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعت إلى ذلك المصلحة فلجأها، فبينما يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظاً من الزكاة ويؤديه الرسول، ويلتزمه أبو بكر، يأتي عمر فيقول: إنا لا نعطي على الإسلام شيئاً، فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر^(٢). فمصرح بمخالفته النصوص الدينية بشكل ملفت للنظر. ولكن جاء بعده رجال وضعوا تصريحاته تحت عناوين مختلفة مثل الاجتهاد وغير ذلك؟! قال الهرمزان لعمر ايدن لي أصنع طعاماً للمسلمين؟ قال: إنني أخاف أن تعجز، قال: لا. قال: فدونك.

قال: فصنع لهم ألواناً من حلو وحامض، ثم جاء إلى عمر وقال: قد فرغت فأقبل.

فقام عمر وسط المسجد فقال: يا معشر المسلمين أنا رسول الهرمزان اليكم فاتبعه المسلمون، فلما انتهى إلى بابه قال للمسلمين: مكانكم، ثم دخل فقال: أرني ما صنعته، ثم دعا بانطاع فقال: ألق هذا كله عليها واخلطوا بعضه ببعض. فقال الهرمزان: إنك تفسده، هذا حلو وهذا حامض.

(١) البيان والتبيين ٢ / ٢٢٣، أحكام القرآن للجصاص ١ / ٣٤٢، ٣٤٥، تفسير القرطبي ٢ / ٣٧٠، زاد المعاد ١ / ٤٤٤، تفسير الفخر الرازي ٢ / ١٦٧، كنز العمال ٨ / ٢٩٣.

(٢) الديمقراطية أبداً ١٥٥.

فقال عمر: أردت ان تفسد علي المسلمين، ثم أذن للمسلمين فدخلوا فأكلوا. لقد كان عمر يشكك في نوايا الهرمزان، ففعل معه هكذا؟! وقال رجل لابن عمر: يا خير الناس او ابن خير الناس، فقال ابن عمر: ما أنا بخير الناس، ولا ابن خير الناس، ولكنني عبد من عباد الله^(١) والملاحظ أن السبب الذي دعا عمر بن الخطاب للصراحة أحياناً هو المنطق البدوي الحاكم في جزيرة العرب يومذاك. فكان بعض الناس يصرّحون بما في قلوبهم بجلء أفواههم.

ومن المعروفين بالصراحة، ولكن بدرجة أقل من عمر، معاوية بن أبي سفيان؛ فقد ذكر في رسالته لمحمد بن أبي بكر: كنتُ وابوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا مبروراً علينا... فكان أبوك وفاروقه أول من ابتزّه حقه، وخالفه على أمره، على ذلك إتفقا واتسقا^(٢).

ومن صراحة عمر قوله لعلي عليه السلام في يوم الغدير: يخ يخ لك يا ابن أبي طالب، أصبحت مولاي ومولى كل مسلم ومسلمة^(٣). وقال عمر لعلي عليه السلام أمام مجموعة من المسلمين: «أما والله لقد أردك الحق، ولكن أبي قومك»^(٤).

وروي عن ابن عباس قال: طرقتي عمر بن الخطاب بعد هداة من الليل، فقال: اخرج بنا نحرس نواحي المدينة، فخرج وعلى عنقه درّته حافياً، حتى أتى بقيع الغرقد، فاستلق على ظهره، وجعل يضرب اخصص قدميه بيده وتأوه صعداء فقلت له: يا أمير المؤمنين ما أخرجك الى هذا الأمر؟ قال: أمر الله يا ابن عباس.

(١) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر، ابن منظور ١٣/ ١٦٧.

(٢) مروج الذهب، المسعودي ٣/ ١٢.

(٣) شواهد التنزيل ١/ ١٥٧، عمدة الأخبار في مدينة المختار ٢١٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣/ ١١٤، ١١٥.

قال: قلت: إن شئت أخبرتك بما في نفسك؟ قال: غص يا غواص ان كنت لتقول فتحسن. قال: قلت: ذكرت هذا الأمر بعينه والى من تصيره. قال: صدقت. قال: فقلت: له ابن انت عن عبد الرحمن بن عوف. فقال: ذلك رجل ممسك، وهذا الامر لا يصلح إلا لمعط في غير سرف، ومانع في غير اقتار. قال: قلت: سعد بن أبي وقاص.

قال: مؤمن ضعيف. قال: فقلت طلحة بن عبد الله. قال: ذاك رجل يناول للشرف والمدح، يعطي ماله حتى يصل الى مال غيره، وفيه بأو وكبر. قال: قلت فانزير بن العوام فهو فارس الإسلام. قال: ذاك يوماً انسان ويوماً شيطان وعفة نفس ان كان ليكادح على المكيلة من بكرة الى الظهر حتى تفوته الصلاة. قال: فقلت: عثمان بن عفان. قال: إن ولي حمل بني أبي معيط، وبني أمية على رقاب الناس، وأعطاهم مال الله، ولئن ولي ليفعلن، والله لئن فعل لتسيرن العرب إليه حتى تقتله في بيته، ثم سكت. قال: فقال: امضها يا ابن عباس أترى صاحبكم لها موضعاً؟ قال: فقلت وأين يبتعد من ذلك مع فضله وسابقته وقرابته وعلمه.

قال: هو والله كما ذكرت، ولو وليهم لحملهم على منهج الطريق فأخذ المحجة الواضحة، إلا ان فيه خصالاً، الدعابة في المجلس، واستبداد الرأي، والتسكيت للناس مع حداثة السن^(١).

قال: قلت: يا أمير المؤمنين هلا استحدثتم سنة يوم الخندق اذ خرج عمرو ابن عبد ود، وقد كعم عنه الأبطال، وتأخرت عنه الاشياخ، ويوم بدر اذ كان يقط الأقران قطعاً، وهلا سبقتموه بالإسلام؟

(١) المحلى، ابن حزم ١/ ٤٧، نيل الأوطار، الشوكاني ٨/ ٥٠، الغارات، الكوفي ١/ ٣١٨،

شرح النهج ١/ ١٤٧، الكافي، الكليني ٢/ ٦٦٣، معاني الأخبار، الصدوق ١٦٤، الايضاح ٨٥، الأمالي، المفيد ٦٣، الأمالي، الطوسي ١٣١، الاحتجاج، الطبرسي ٢٦٩/ ١، مناقب

آل أبي طالب ٢٢٦/ ١.

فقال: إليك يا ابن عباس، أتريد أن تفعل بي كما فعل أبوك و علي بأبي بكر يوم دخلا عليه. فكرهت ان اغضبه فسكت.

فقال: والله يا ابن عباس إن علياً ابن عمك لأحق الناس بها، ولكن قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذهم بمر الحق لا يجدون عنه رخصة، ولئن فعل لينكثن بيعته ثم ليحاربن^(١). وقال عمر: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر^(٢).

وقد وقعت مناقشة أخرى بين عمر وابن عباس حول نفس الموضوع جاء فيها: «قال عمر: أتدري يا ابن عباس ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: لكتي أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟

قال: كرهت قريش ان تجتمع لكم النبوة والخلافة فتجحفوا الناس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاخترت ووقفت فأصابته.

فقال ابن عباس: أبيض أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء.

قال: أما قول أمير المؤمنين إن قريشاً كرهت، فإن الله تعالى قال لقوم:

﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴾^(٣).

وأما قولك إنا كنا نجحف فلو جحفتنا بالخلافة جحفتنا بالقرابة، ولكن قوم

اخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله الذي قال الله فيه

﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤) وقال له: ﴿ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ

الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٥).

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٩، طبعة لندن.

(٢) محاضرات الأدباء ٤ / ٤٧٨.

(٣) محمد ٩.

(٤) القلم ٤.

(٥) الشعراء ٢١٥.

وأما قولك: فإن قريشاً إختارت فإن الله تعالى يقول:

﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ ﴾^(١).

وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو

نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوقت وأصابته.

فقال عمر: علي رسلك يا ابن عباس: أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في

أمر قريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين لا تنسب قلوب بني هاشم الى الغش؛

فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه، وهم أهل البيت الذين قال

الله لهم:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾^(٢) وأما

الحقد فكيف لا يحقد من غضب شيؤه، ويراه في يد غيره؟

فقال عمر: ما أنت يا ابن عباس؟ فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به

فتزول منزلتك عندي!

قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ أخبرني به، فإن يك باطلاً فنلي أماط الباطل

عن نفسه، وإن يك حقاً فإن منزلي عندك لا تزول به! قال: بلغني أنك لا تزال

تقول: أخذ هذا الأمر حسداً وظلماً.

قال (ابن عباس): أما قولك يا أمير المؤمنين حسداً، فقد حسد إبليس آدم

فأخرجه من الجنة، فنحن بنو آدم المحسود.

وأما قولك: ظلماً فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو! ثم قال: يا أمير

المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله واحتجت قريش على سائر

العرب بحق رسول الله، فنحن أحق برسول الله من سائر قريش.

(١) القصص ٦٨.

(٢) الأحزاب ٣٣.

فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك.

فقام، فلماً ولَّى هتف به عمر: أيها المنصرف، إني على ما كان منك لراع حقا، فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى المسلمين حقاً برسول الله، فمن حفظه فحق نفسه حفظ، ومن أضاعه فحق نفسه أضاع، ثم مضى. فقال عمر لجلسائه: واهأ لابن عباس! ما رأيته لا حتى (نازع) أحداً قط إلا خصمه (غلبه) (١).

نلاحظ في هذا النص قدرة فائقة عند ابن عباس على تشخيص علّة همّ عمر. يقابلها اهتمام عمر بحفظ أقوال النبي ﷺ في الزبير وسعد بن أبي وقاص وابن عوف وعثمان بن عفان فعرف قتل الناس لعثمان والامام علي عليه السلام، الأول لحملة آل أمية وبني أبي معيط على رقاب الناس وأخذهم مال الله دون حق. والثاني لأخذه الناس بمؤ الحق.

ولكن رغم اعتراف عمر بمنهجية الامام علي عليه السلام المستقيمة إلا أنه وصف الإمام علياً عليه السلام (لغرض سياسي) بأوصاف لا يمت إليها بصلة، فقد وصفه بمحاذنة السن، وعمره يومذاك أكثر من أربعين سنة!

ووصفه بالدعابة في المجلس، ولم تقرأ في كتاب ما يؤيد ذلك! ووصفه باستبداد الرأي وهو تلميذ محمد ﷺ، الذي أمره الله سبحانه بمشاورة الناس ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾.

كما وصفه بالتبكيك (٢). ولم نسمع برجل شكى من الامام علي عليه السلام، ولكن عمر فسّر قاطعية الامام علي عليه السلام في الحق أمام الكفار والمنافقين بالتبكيك!

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١٠٧، تاريخ الطبري ٥ / ٣٠، قصص العرب ٢ / ٣٦٣، الكامل في التاريخ لابن الأثير ٣ / ٦٣، ٢٨٨.

(٢) قال الأصمعي أن يستقبل الرجل بما يكزّه، وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ تسأل تبكيكاً لوأيدها (لسان العرب، ابن منظور ٢ / ١١).

وصرّح عمر بمخالفة قريش (وهو منهم) للنص، وذلك بكرههم اجتماع النبوة والخلافة لبني هاشم. ولكنّه وصف عملهم المخالف لأمر الله تعالى بالصواب والموقفيّة.

وكان ردّ ابن عباس في موضعه إذ قال:

﴿وَرَبِّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (١).

وعندما اشتدّ النقاش قال ابن عباس مقولته الشهيرة: «كيف لا يحقد من عُصَبِ شَيْئِهِ». وصرّح عمر لابن عباس عن رزيّة يوم الخميس قائلاً: لقد أراد رسول الله ﷺ أن يصرّح بإسمه (الامام علي عليه السلام) فنعتته (٢). ومن صراحته النادرة قوله في بيعة أبي بكر: إنهما كانت فلتة وفي الله المسلمين شرّها (٣).

ومن صراحته السياسية قوله في أبي بكر: إنّه أحسد قريش (٤).

وقوله لابن عباس: إنّ المانع من بيعة الناس لعلي هو حسد قريش لإجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم.

ومن صراحته المشهودة قوله: الامام علي مولى كل مؤمن ومؤمنة، ومن لم يكن مولاه فليس بمؤمن (٥).

ومن صراحته السياسية قوله في عبد الرحمن بن عوف: انه فرعون هذه الأمة، لكنّه قدمه على الامام علي عليه السلام والمسلمين! ومن صراحته قوله للمغيرة: أما والله ليعورن بنو أمية الإسلام، كما أعورّت

(١) القصص ٦٨.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ٢٩.

(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ٣١ - ٣٤، المسترشد، محمد بن جرير الطبري.

(٥) الصواعق المحرقة، ابن حجر ١٠٧.

عينك هذه، ثم ليعميته^(١). ثم سعى لإعطاء الحكم لبني أمية!!!

وقوله في الزبير: إنه يوم إنسان ويوم شيطان^(٢).

وعندما اقترح عليه رجل (أبو موسى الأشعري) التوصية إلى ابنه عبد الله، قال له عمر: قاتلك الله، والله ما أردت الله بهذا، وبجك كيف استخلف

رجلاً عجز عن طلاق امرأته؟^(٣)

ولكن أبا موسى استمر في منحاها إذ طالب بالبيعة لعبد الله بن عمر في حادثة

التحكيم. فأهانته علي عليه السلام وعبد الله بن عمر؟!

ومن صراحة عمر قوله: كانت لي بنت فأردت وأدها، فأخذتها معي،

وحفرت لها حفرة فصارت تنفض التراب عن لحيتي، فدفنتها حية^(٤). فقلب عمر

قاس كالصخر لا تؤثر فيه دموع ابنته الصغيرة.

ومن صراحته الملفتة للنظر قوله: حسبنا كتاب الله^(٥)، حاذفاً أهل

البيت عليه السلام الثقل الثاني بعد القرآن! معارضاً للنص الإلهي.

وهذه الصراحة ما فوقها صراحة في نفي نصف ما أوصى به النبي عليه السلام.

ومن صراحته العملية أقدمه على حرق أحاديث النبي عليه السلام في ملأ عام من

المسلمين^(٦). في حين قال النبي عليه السلام مشيراً إلى فمه والله ما خرج منه إلا حق^(٧).

ومن صراحته النادرة دعوته لترك القرآن بلا تفسير ومعاقبه من سأل عن

(١) الموفقيات، الزبير بن بكار.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٥٩ / ٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٦٥ / ٣.

(٤) عبقرية عمر، العقاد ٢١٤.

(٥) الملل والنحل، الشهرستاني ٢٢ / ١، صحيح البخاري ٣٧ / ١، وباب قول المريض قوموا عتي.

(٦) طبقات ابن سعد في ترجمة محمد بن أبي بكر ١٤٠ / ٥.

(٧) تفسير المنار، رشيد رضا ٧٦٦ / ١٠.

تفسير الآيات.

ومن صراحته وصفه المغيرة بالفاجر^(١) لكنه ولأه على البحرين والبصرة

والكوفة وأعطاه أسراراً وكان مرآة له فأصبح عمر المغيرة والمغيرة عمر.

وذكر الحديث النبوي القادح في عدالة بني أمية^(٢) لكنه ولاهم على الشام

والجزيرة والطائف! ومن صراحة عمرو بن العاص قوله لمعاوية:

وحيث رفعتك فوق الرؤوس نزلنا إلى أسفل الأسفل

وإننا وما كان من فعلنا لفي النار في الدرك الأسفل

وإنّ علياً غداً خصمنا ويعتز بالله والمرسل^(٣)

ومن صراحة العرب: جاء شاب من أهل الكوفة فجلس فقال: يا

أبا هريرة، أنشدك الله اسمعت من رسول الله عليه السلام يقول لعلي بن أبي طالب: اللهم وال

من والاه وعاد من عاداه؟ فقال: اللهم نعم.

قال: فاشهد بالله لقد واليت عدوة وعاديت وليه، ثم قام عنه^(٤) ولكن يد

التحريف الخائنة حذف هذا النص في الطبقات الجديدة.

ودعا علي عليه السلام على أنس قائلاً: فضربك الله بيضاء لا تواربها العمامة^(٥).

ولعبت يد التحريف في كتاب ابن قتيبة، فأضافت إلى ذلك النص المشهور في

الطبقات الجديدة «قال أبو محمد: ليس لهذا اصل»!

وروى أنس بن مالك (بعد أن أصابته دعوة الامام علي عليه السلام) ذاك (الامام

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤١ / ٢.

(٢) تفسير الدر المنثور.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٢٢ / ٢، فهرست المكتبة الخديوية بمصر سنة

١٣٠٧، ٤ / ٣١٤.

(٤) كتاب المعارف، ابن قتيبة، طبعة مصر سنة ١٣٥٣ هجرية.

(٥) المعارف ٢٥١، شرح نهج البلاغة ٣٨٨ / ٤، أنساب الأشراف، البلاذري، الصواعق

المحرقة ٧٧.

علي عليه السلام (رأس المُتَّقِينَ يوم القيامة ، سمعته والله من نبيكم ^(١) .

ومن صراحة عمر بن عبد العزيز قوله ليزيد بن عمر بن مورك: ممن أنت؟ قلت: من قريش. قال: من أي قريش؟ قلت: من بني هاشم. قال: فسكت فقال: من أي بني هاشم؟ قلت: مولى الامام علي؟ قال: من علي؟ فسكت، قال: فوضع يده على صدره فقال: وأنا والله مولى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، ثم قال: حدثني عدة منهم سمعوا النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، ثم قال يا مزاحم كم تُعطي أمثاله؟ قال: مائة أو مائتي درهم. قال: اعطه خمسين ديناراً. وقال ابن أبي داود: ستين ديناراً لولايته الامام علي بن أبي طالب ^(٢) .

ثناء عمر على الامام علي عليه السلام

اعترف عمر بمعارضته للرسول في يوم الخميس، قائلاً: إن رسول الله صلى الله عليه وآله أراد أن يذكر الامام علياً صلى الله عليه وآله للأمر في مرضه، فصددته عنه الخ ^(٣) . أي منع عمر النبي صلى الله عليه وآله من الوصية للامام علي عليه السلام في مرضه الذي مات فيه ولا يمنع من ذلك الا الشيطان.

فالشيطان هو الوحيد الذي يتجرأ على مخالفة الانبياء .

وكان اعتراف عمر واضحاً في أيام خلافته أن النبي صلى الله عليه وآله أراد ان يصريح باسمه (علي عليه السلام) فنعتته! إذ سألوا عمر: ماذا أراد أن يكتب النبي صلى الله عليه وآله في يوم الخميس؟

(١) شرح نهج البلاغة ١ / ٣٦١ .

(٢) حلية الأولياء ، الحافظ أبو نعيم ٥ / ٣٦٤ .

(٣) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤ .

قال عمر: تعيين الخليفة علي ^(١) .

فعمر فهم هدف النبي صلى الله عليه وآله بطلبه دواة وصحيفة، أنه يريد كتابة الوصية، وفهم من قوله: لأكتب كتاباً لن تزلوا بعده أبداً، ولاية علي بن أبي طالب عليه السلام . لأن النبي صلى الله عليه وآله في غد يرخم وعندما بايع علياً صلى الله عليه وآله ذكر ذلك النص: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره، واخذل من خذله، إن تمسكتم به لن تزلوا بعده أبداً ^(٢) ، وقال صلى الله عليه وآله أيضاً: « وإني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله وعترتي أهل بيتي، ما إن تمسكتم بهما، لن تزلوا أبداً » ^(٣) .

فأصبح معروفاً تلازم أهل البيت صلى الله عليه وآله مع عدم الضلال، وتلازم علي عليه السلام مع عدم الضلال .

لذلك اعترف الخليفة عمر لابن عباس لاحقاً قائلاً: أراد الرسول صلى الله عليه وآله أن يصريح باسمه في يوم الخميس، فنعتته ^(٤) .

وقال عمر بن الخطاب: لقد أوتي ابن أبي طالب ثلاث خصال لأن تكون لي واحدة منها أحب إلي من حمر النعم: زوجة رسول الله ابنته وولدت له، وسد

(١) فتح الباري على صحيح البخاري ، ابن حجر ٨ / ١٣٢ .

(٢) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨ ، سنن ابن ماجة ١٢ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٠٩ ، ٥٣٣ ، سنن النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٠٣ ، المعجم الكبير ، الطبراني ٥ / ١٦٦ ح ٤٩٦٩ ، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١١٢ ، أسد الغابة ٤ / ١٠٨ ، تفسير الرازي ١٢ / ٤٩ ، الدر المنثور ٣ / ١١٧ ، الإمامة والسياسة ١ / ٩٧ ، البداية والنهاية ٥ / ٢٣١ ، المناقب ، الخوارزمي ١٦٠ ، ١٩٠ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١ ، الكافي ، الكليني ١ / ٢٩٤ ، دعائم الاسلام ، النعماني ١ / ١٦ .

(٣) مسند أحمد ٤ / ٢٨١ ، تفسير الفخر الرازي ٣ / ٦٣٦ ، الصواعق المحرقة ، ابن حجر

٢٦ ، التنبيه والإشراف ، المسعودي ٢٢١ ، صحيح الترمذي ٥ / ٦٢١ .

(٤) شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤ .

الأبواب إلا بابه في المسجد، وأعطاه الراية يوم خيبر^(١).
وقال عمر أمام علي عليه السلام ومجموعة من المسلمين: أما والله لقد أراذك الحق،
ولكن أبا قومك^(٢).

وقال عمر لابن عباس عن رزية يوم الخميس: لقد أراد رسول الله أن
يصرح باسمه فننعت^(٣).

ولا ينزع الأنبياء من أفعالهم إلا الطغاة والفراعنة لانهم رسل الله تعالى
وافعالهم وأقوالهم منه تعالى الله قال الباري عز وجل عن رسوله الكريم: «ان هو الا
وحي يوحى».

وقد وقف عمر ضد التبليغ النبوي في مكة والمدينة قبل وبعد اعلانه الاسلام
فبدأ حياته مهاجراً للاسلام وختم أيامه بطرد النبي صلى الله عليه وآله له من داره في يوم وفاته بعد
منعه النبي من الوصية الالهية لعلي وقوله له يهجر^(٤).

وقال عمر لعبد الله بن عباس لعنك ترى صاحبك (علياً) لها أهلاً.

قلت: وما ينعه عن ذلك مع جهاده وسابته وقربته وعلمه.

قال صدقت ولكنك امرؤ فيه دعاة.

ولما لم يجد عمر جواباً لابن عباس اضطر للافتراء على الامام علي عليه السلام لانه
كان بعيداً عن الدعاة والمزاج وأوصى ذلك في أقواله وحكمه الرائعة.

ثم بدأ عمر بوصف علي عليه السلام: إن أحرأهم أن يحملهم على كتاب ربهم، وسنة
نبيهم لصاحبك، والله لئن وليها، ليعملنهم على المحجة البيضاء والصراف

(١) الصواعق المحرقة، ابن حجر، الفصل ٣ الباب ٩، وروى ذلك عبدالله بن عمر بن الخطاب، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٢٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٤، ١١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٤.

(٤) صحيح البخاري باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير ٢ / ١١٨.

المستقيم^(١).

وروى أبو بكر الأنباري في أماليه: أن علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد،
وعنده ناس. فلما قام، عرض واحد بذكره ونسبه إلى التيه والعجب.

فقال عمر: حقّ لثله أن يتيه، والله لولا سيفه لما قام عمود الإسلام، وهو بعد
أقضى الأئمة، وذو سابقتها، وذو شرفها^(٢).

لقد كانت مواقف عمر في بداية سلطته الى نهايتها ضد الامام علي عليه السلام،
واستمرت في مدّ وجزر وهي مثل نار تحت رماد، ولكن صراحة عمر البدوية
استمرت دون انقطاع. وعمر الذي اعترف بولاية علي عليه السلام، واحقيقته في الخلافة نراه
يبرّر سلطتهم للسلطة منه بامور ليس لها أساس.

مثلاً يصف الامام علي عليه السلام بصغر السن، في حين كان عمره يوم مات
النبي صلى الله عليه وآله ثلاثين سنة. ويصفه بالدعاة، وهو أبعد الناس عنها. ويصفه بحبّ قومه،
وعدائه معروفه، وثابته قبل خلافته وبعدها.

ومن هذه المواقف المعادية لعلي عليه السلام: قال عمر لسعيد بن العاص إنني لم أقتل
أباك وإنما قتله علي عليه السلام. إلا أن سعيداً قال له: إنّه قُتل على الباطل^(٣).

جاء في الإصابة: قتل علي عليه السلام العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد
شمس في معركة بدر كافرأ^(٤).

وكان الامام قد قتل العاص الاموي في معركة بدر الذي امتنع من قتل عمر
لمعرفته بحقيقته.

اذ أرسل طغاة مكة عمر لقتل النبي محمد صلى الله عليه وآله فهو في مهمة قرشية خطيرة لم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ١١٤.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١١٥.

(٣) البداية والنهاية، ابن كثير ٣ / ٣٥٤، سيرة ابن هشام ٢ / ٢٩٠، مغازي الواقدي ١ / ٩٢.

(٤) الإصابة، ابن حجر العسقلاني ٢ / ٣٩١.

يتمكن من إنجازها الا في السنة الحادية عشرة للهجرة .

وروي عن ابن عباس قوله: دخلت على عمر يوماً، فقال يا ابن العباس: لقد أجهد هذا الرجل نفسه في العبادة حتى نخلته رياءً!
قلت من هو؟

فقال: هذا ابن عمك يعني علياً.

قلت: وما يقصد بالرياء يا أمير المؤمنين؟ قال: يرشّح نفسه بين الناس بالخلافة.

قلت: وما يصنع بالترشّيح؟! قد رشّحه لها رسول الله ﷺ فصرفت عنه.

قال: إنّه كان شاباً حدثاً فاستصغرت العرب سنّه، وقد كمل الآن، ألم تعلم أنّ الله تعالى لم يبعث نبياً إلا بعد الأربعين.

قلت: يا أمير المؤمنين أمّا أهل الحجى والنهى، فإنّهم ما زالوا يعدونه كاملاً منذ رفع الله منار الإسلام، ولكنّهم يعدونه محروماً مجدوداً^(١).

وعن ابن عباس قال: كنت أسير مع عمر بن الخطاب في ليلة، وعمر على بغل، وأنا على فرس فقراً (عمر) آية فيها ذكر علي بن أبي طالب فقال: أما والله يا بني عبد المطلب لقد كان علي فيكم أولى بهذا الأمر مني ومن أبي بكر.

فقلت في نفسي: لا أقالني الله إن أفلته. فقلت: أنت تقول ذلك يا أمير المؤمنين؟ وأنت وصاحبك وثبتا وافرغتا الأمر متّادون الناس؟

فقال: إليكم يا بني عبد المطلب أما إنكم أصحاب عمر بن الخطاب، فتأخّرت وتقدّم هنيئة. فقال سير لاسرت، وقال أعد عليّ كلامك. فقلت: إنّما ذكرت شيئاً فرددت عليه جوابه، ولو سكت سكتنا. فقال: إنّنا والله ما فعلنا الذي فعلنا عن عداوة، ولكنّ استصغرناه، وخشينا أن لا يجتمع عليه العرب وقريش، لئلا قد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١١٥ .

وترها، قال: فأردت أن أقول: كان رسول الله ﷺ يبعثه فينطح كبشها، فلم يستصغره، أفتستصغره أنت وصاحبك؟

فقال: لاجرم فكيف ترى؟ والله ما تقطع أمراً دونه، ولا نعمل شيئاً حتى نستأذنه^(١)، لقد قال عمر ذلك بعد استقرار الحكم السياسي.

وقال الألويسي في تفسيره في آية ﴿ وَقَفَّوْهُمُ إِنَّهُمْ مَسْؤُلُونَ ﴾^(٢)

وقد ذكر الآراء فيها: وأولى هذه الأقوال، أنّ السؤال عن العقائد والأعمال ورأس ذلك لا اله إلا الله ومن أجله ولاية علي كرم الله تعالى وجهه^(٣).

وروي عن الإمام علي عليه السلام أنّه قال: جعلت الموالات أصلاً من أصول الدين، وقال: أصول الاسلام ثلاثة لا ينفع واحد منها دون صاحبه: الصلاة والزكاة والموالات. وذكر البيهقي عن المحافظ الحاكم النيسابوري، باسناده عن رسول الله ﷺ، إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط على جسر جهنم، لم يجزها أحد إلا من كانت معه براءة بولاية علي بن أبي طالب^(٤).

وقال عمر: يا ابن عباس: أما والله إن صاحبك هذا لأولى الناس بالأمر بعد رسول الله ﷺ إلا أنا خفناه على إثنين.

فقلت: وماهما يا أمير المؤمنين؟

قال: خفناه على حدائث سنّه، وحبّه بني عبد المطلب^(٥).

وقال عمر: كانت لاصحاب محمد ﷺ ثمان عشرة سابقة، فخصّ علي منها، بثلاث عشرة، وشركنا في خمس^(٦).

(١) الراغب في محاضراته ٧ / ٢١٣ .

(٢) الصافات ٢٤ .

(٣) تفسير الألويسي ٢٣ / ٧٤ .

(٤) البيهقي، محب الدين الطبري في الرياض ٢ / ١٧٢ .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ / ٢٠ .

(٦) مقتل الحسين، الخوارزمي ١ / ٤٥ .

وكان الصحابة يرجعون إليه (أي الإمام علي) في أحكام الله، ويأخذون عنه الفتاوى، كما قال عمر بن الخطاب في عِدَّة مواطن: لولا علي هلك عمر^(١).
وقال ابن عباس: إنَّ علياً ابن عمك لأحقَّ الناس بها، ولكنَّ قريشاً لا تحتمله، ولئن وليهم ليأخذنهم بمِرِّ الحق^(٢).
وبالرغم من أحييَّة علي عليه السلام للخلافة واغتصاب أبي بكر وعمر لها فقد سلك الامام علي عليه السلام معها سلوكاً متصفاً بالنصح والمساعدة وحفظ بيضة الإسلام، وعدم انتهاج أي مشروع يتسبب في إسقاط الدولة الإسلامية، وهذا يعني صبره على سلب حقِّه في الخلافة والولاية. وبسبب ذلك فقد إطمأن أبو بكر وعمر إليه مما دفعهما للإعتراف بحقِّه وبيان أفضليته وأعلميته.

عمر يذكر فضائل علي عليه السلام

عن أبي سعيد الخدري قال: حججنا مع عمر بن الخطاب، فلمَّا دخل الطواف استقبل الحجر، فقال: إني أعلم إنك حجر لا تضرُّ ولا تنفع ولولا إني رأيت رسول الله ﷺ قبلك ما قبلتك ثمَّ قبله.
فقال له الامام علي بن أبي طالب: بلى يا أمير المؤمنين إنَّه يضرُّ وينفع.
قال: بيم؟ قال: بكتاب الله عزَّ وجل:
﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِمَّن ظَهَّرِهِم دُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ﴾^(٣).

خلق الله آدم ومسح على ظهره فقرره بأنه الرب، وأنهم العبيد، وأخذ عهودهم ومواثيقهم، وكتب ذلك في رق، وكان لهذا الحجر عينان ولسان.

(١) يتابع الموهبة ٧٠.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٨، ١٥٩.

(٣) الأعراف ١٧٢.

فقال له: إفتح فاك، ففتح فاه، فالقمه ذلك الرق. فقال: إشهد لمن وافاك بالموافاة يوم القيامة، وإني أشهد لسمعت رسول الله ﷺ يقول: يؤقُّ يوم القيامة بالحجر الأسود وله لسان ذلق، يشهد لمن يستلمه بالتوحيد. فهو يا أمير المؤمنين يضرُّ وينفع. فقال عمر: أعود بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن^(١).

وعن حذيفة بن اليمان قال: إنَّه لقيَ عمرُ بن الخطاب فقال له عُمرُ: كيف أصبحت يا ابن اليمان؟ فقال: كيف تريدني أصبح؟
أصبحت والله أكره الحقَّ، وأحِبُّ الفتنَةَ، وأشهد بما لم أره، وأحفظ غير المخلوق، وأصلي على غير وضوء، ولي في الأرض ما ليس لله في السماء.
فغضب عمر لقوله، وإنصرف من فوره وقد أعجله أمر، وعزم على أذى حذيفة لقوله ذلك، فبينما هو في الطريق إذ مرَّ بعلي بن أبي طالب؟ فرأى الغضب في وجهه فقال: ما أغضبك يا عمر؟

فقال: لقيت حذيفة بن اليمان فسألته: كيف أصبحت؟
فقال: أصبحت أكره الحقَّ. فقال: صدق بكره الموت وهو حق.
فقال: يقول وأحِبُّ الفتنَةَ. قال: صدق بحبِّ المال والولد وقد قال الله تعالى
﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾^(٢).
فقال يا علي: يقول: وأشهد بما لم أره.
فقال: صدق يشهد الله بالوحدانية والموت والبعث والقيامة والجنَّة والنار والصراط ولم ير ذلك كله.
فقال: يا علي: وقد قال: إني أحفظ غير المخلوق. قال صدق يحفظ كتاب الله تعالى القرآن، وهو غير مخلوق.

(١) الجامع لشعب الإيمان ٧ / ٥٩٠.

(٢) التغابن ١٥.

قال: ويقول: أصلي على غير وضوء. فقال: صدق يصلي على ابن عمي رسول الله ﷺ على غير وضوء، والصلاة عليه جائزة.

فقال: يا أبا الحسن، قد قال أكبر من ذلك. فقال: وما هو؟

قال إنه قال: إن لي في الأرض ما ليس لله في السماء. قال: يصدق له زوجة وولد. فقال عمر: كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب.

وقال المحافظ الكنجي: هذا ثابت عند أهل النقل، ذكره غير واحد من أهل السير^(١). وذكر المحب الطبري عن عمر وقد ذكر عنده الامام علي عليه السلام فقال: ذلك صهر رسول الله ﷺ، نزل جيريل فقال يا محمد إن الله يأمرك ان تزوج فاطمة ابنتك من علي^(٢).

وعمر هو أول من قال: أطال الله بقاءك.. قاله لعلي، وأول من قال: أيديك الله.. قاله لعلي^(٣).

اعترافات معاوية الخطيرة

أما عن رسالة محمد بن أبي بكر إلى معاوية وجوابها فنقتصر هنا على جواب معاوية له لما فيها من صراحة خطيرة:

من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر أمّا بعد: فقد أتاني كتابك، فتذكر فيه ما الله أهله في عظمته وقدرته وسلطانه، وما اصطفي به رسول الله ﷺ مع كلام كثير لك فيه تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضائل ابن أبي طالب، وقديم سوابقه وقربته إلى رسول الله ﷺ ومواساته إيّاه في كل هول وخوف، فكان احتجاجك عليّ وعيبك لي بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد رباً

سرف هذا الفضل عنك، وجعله لغيرك، فقد كُتِّ وأبوك فينا نعرف فضل ابن أبي طالب، وحقه لازماً لنا، مروراً علينا، فلمّا اختار الله لنبية عليه الصلاة والسلام ما عنده وأتمّ له ما وعده، واظهر دعوته، وأبلغ حُجَّتَه، وقبضه الله إليه صلوات الله عليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتره حقّه، وخالفه على أمره، على ذلك إتّفقوا وإتّسقا، ثمّ إنّهما دَعَوَاهُ إلى بيعتهما، فأبطأ عنها وتلکّا عليها، فهبّا به الهموم وأراداه به العظيم، ثمّ إنّّه بايع لهما وسلّم لهما، وأقاما لا يشركانه في أمرهما، ولا يطلعانه على أمرهما، حتّى قبضهما الله، ثمّ قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما وسار بسيرهما، فعبته أنت وصاحبك، حتّى طمع فيه الأفاصي من أهل المعاصي، فطلبنا له العوائل وأظهرنا عداوتكما فيه، حتّى بلغت في مناكما، فخذ حذرک يا ابن أبي بكر، وقس شبرک بفترک، يقصر عنه أن توازي وتساوي من يزن الجبال بحمله، لا يلين عن قسّر قناته، ولا يدرك ذو مقال أناته، أبوك مهّد مهاده وبنى للملكه وساده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً، فأبوك استبدّد به ونحن شركاؤه، ولولا ما فعل أبوك من قبل، ما خالفنا ابن أبي طالب، ولسلمنا إليه، ولكنّا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا، فأخذنا بمثله، فعب أباك بما بدالك أو دَعُ ذلك، والسلام على من أناب^(١).

وفي هذه الرسالة إعراف واضح وصراحة شاملة بسلب أبي بكر وعمر الخلافة من الامام علي بن أبي طالب عليه السلام. وقد اضطرّ إليها معاوية في ردّ حجة محمد بن أبي بكر، وردعه عن مواصلة دعم الامام علي عليه السلام.

وبين معاوية إتّفاق الاثنین على سلب الخلافة من الامام علي عليه السلام، وعملهما المشترك لانزال أفسى العقوبات به لا جباره على البيعة، إذ قال: فهبّا به الهموم وأراداه به العظيم^(٢).

(١) مروج الذهب للمسعودي ١٢/٣.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ١٢/٣.

(١) نهاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب ٢١٨ - ٢١٩.

(٢) ذخائر العقبين في مناقب ذوي القربى ٣١.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٣٧.

اعترافات يزيد المهمة

روى البلاذري قاتلاً: لما قُتل الحسين كتب عبد الله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: «أما بعد... فقد عظمت الرزية وجلت المصيبة، وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم قتل الحسين.

فكتب إليه يزيد: أما بعد يا أحمق، فإننا جئنا إلى بيوت مجددة، وفرشٍ مهَّدة، ووسائد منضدة، فقائلنا عنها، فإن يكن الحقُّ لنا فعن حقنا قاتلنا، وإن كان الحقُّ لغيرنا، فأبوك أول من سنَّ هذا، واستأثر بالحقِّ على أهله» (١).

وفي هذه الرسالة إقرار واضح من يزيد بن معاوية بتسلط عمر وأبي بكر على منصب الخلافة ظلماً، وأخذها من أهلها الشرعيين. وقد أرسل يزيد جملته إرسال المسلمات!

مدرسة القانون واللاقنون تظهر في قضية فدك

مدرسة الألقانون هي مدرسة السقيفة والحزب القرشي.

كانت فدك لرسول الله ﷺ خاصة لانه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب (٢) وانه منحها في السنة السابعة للهجرة الى الصديقة الطاهرة، وبذلك تكون خارجة عن الارث، وتصرفت بها الزهراء مدة ثلاث سنين كاملة.

وكانت ادلة فاطمة عليه السلام في اثبات ملكية فدك تتمثل في:

١- تسلط اليد... فيد فاطمة عليه السلام مسلطة على فدك منذ السنة السابعة للهجرة اي منذ أن فتحها الرسول ﷺ بدون حرب، ونظرية سلطة اليد من الناحية الفقهية والقانونية الدولية ثابتة مالم يثبت الطرف الثاني ملكيته لها، و ابو بكر لم يمكنه اثبات عكس ذلك، وبذلك تتمكن فاطمة عليه السلام من أن تثبت فقهيًا ملكيتها لفدك... وعامة

(١) الطرائف، ابن طاووس ٢٤٧، شجرة طوبى، الحائري ٢ / ٤٣٣.

(٢) شرح ابن ابي الحديد ٦ / ٢١٠، فتوح البلدان ٣٦، السقيفة وفدك ٩٧.

المسلمين كانوا يعرفون بتسلط فاطمة عليه السلام عليها.

٢- اقامة البيئة: لقد قلب ابو بكر وعمر القضية (وكانها سقيفة) فجعلوا فاطمة عليه السلام مدعية و ابا بكر مدعى عليه، وهذا هو العجب لفقدانهم البينة. ومع ذلك جاءت فاطمة عليه السلام بالبينة التي تثبت ملكيتها لفدك، اذ شهد لذلك أمير المؤمنين الامام علي عليه السلام وأُمُ أُمِين وأُمُ سلمة (١).

ولكن ابا بكر رفض شهادة الامام علي عليه السلام لكون فاطمة عليه السلام زوجته، وهذا اكثر عجباً من الاول اذ من قال ببطان شهادة الزوج لزوجته؟!

٣- الآيات القرآنية الواضحة التي تثبت توريث الأنبياء لأبنائهم حيث جاء: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ (٢).

وقال زكريا عليه السلام: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي﴾ (٣).

وكما هو ثابت شرعاً وعقلاً ببطان كل حديث يخالف القرآن يكون حديث ابي بكر: «نحن معاشر الانبياء لا نورث» لا اساس له من الصحة، و امام هذه الادلة الثقلية والعقلية يسهل على كل متشرع وعاقل الحكم في ذلك الموضوع واثبات بطلان حكم ابي بكر، وكذب الحديث الوارد في ذلك السياق (نحن معاشر الانبياء لا نورث ما تركناه صدقة).

والأعجب في هذه القضية ان ابا بكر قد نقل نفسه من جهة المدعى الى جهة المدعى عليه، فلم تنفعه شيئاً اذ قوله واضح البطلان امام القرآن والبيئة وتسلط يد فاطمة عليه السلام على فدك ولأجل الفوز بتلك الجولة (مثلاً فاز في الجولتين الماضيتين، وهما السقيفة واقتحام منزل فاطمة عليه السلام) فقد جعل نفسه قاضياً في تلك الدعوى، ومدعى عليه!

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٤٨، السيرة الحلبي ٣ / ٣٦٣، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٣٤، ٢٣٥.

(٢) النمل ١٦.

(٣) مريم ٦٠٥.

واين هذا الموقف من موقف النبي محمد ﷺ يوم طلب (في اخريات ايام حياته) من كل مظلوم ظلم عمداً أو سهواً بسببه الاقتصاص منه فلم ينهض احدٌ ولم يدع شخص مظلومية له في هذا المجال^(١).

وفي هذه القضية جعل ابو بكر نفسه حاكماً، وردَّ شهادة الامام علي عليه السلام لفاطمة، وعلي مع الحق والحق مع علي عليه السلام كما قال محمد ﷺ. وكذَّب فاطمة عليه السلام وهي الصديقة وسيدة نساء العالمين، كما قال النبي ﷺ وكذَّب أم المؤمنين ام سلمة واسماء المجتمعية وأمّ ايين، وردَّ القرآن بحديث لم يسمعه إلا هو من العالمين! وكيف رفض شهادة الزوج لزوجته، وقبل شهادة البنت (عائشة) لابيها! وفي هذه القضية يقف القرآن والامام علي وفاطمة عليه السلام واسماء وأم سلمة وأمّ ايين في جانب وابو بكر وعمر وعائشة وحفصة في الجانب الآخر^(٢).

وكان عمر بن عبد العزيز اول من حكم في هذه القضية حكماً يبتأ لا غبار عليه ألا وهو اعطاء الحق لفاطمة الزهراء عليه السلام وارجاع فذك لاحفادها! لقد قال عمر بن عبد العزيز لما استخلف: ايها الناس إنني قد رددت عليكم مظالمكم واول ما ارد منها ما كان في يدي من فذك علي ولد رسول الله وولد الامام علي، فكان اول من ردّها.

وروي انه ردها بغلاتها منذ ولي فليل له: نعمت علي ابي بكر وعمر فعلتها، فطعنن عليهما ونسبتهما الى الظلم والنصب، وقد اجتمع عنده في ذلك قريش ومشايخ اهل الشام من علماء السوء، فقال عمر بن عبد العزيز: قد صحَّ عندكم ان فاطمة بنت رسول الله ﷺ ادّعت فذكاً، وكانت في يدها، وما كانت لتكذب علي رسول الله ﷺ، مع شهادة الامام علي عليه السلام وأمّ ايين وأمّ سلمة. وفاطمة عندي صادقة فيما تدّعي، وان لم تقم البيّنة، وهي سيدة نساء اهل

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٣٣، ٤٣٤.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ١ / ١٢٢.

الجنة، فانا اليوم اردها علي ورستها، اتقرب بذلك الى رسول الله، وارجوان تكون فاطمة والحسن والحسين ممن يشفعون لي في يوم القيامة، ولو كنت بدل ابي بكر، وادعت فاطمة كنت اصدقها علي دعواها، فسلمها الى محمد بن علي الباقر عليه السلام^(١).

عمر لم يرد فذكاً في خلافته

جاءت ام ايين الى ابي بكر فقالت له: انشدك الله الست تعلم ان رسول الله ﷺ قال: ام ايين امرأة من اهل الجنة فقال: بلى. فقالت: فاشهد ان الله عزوجل اوحى الى رسول الله ﷺ ﴿وَأْتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ﴾

فجعل ﷺ فذكاً لفاطمة طعمة بامر الله، فجاء الامام علي عليه السلام فشهد بمثل ذلك فكتب لها كتاباً ودفعه اليها، فدخل عمر فقال: ما هذا الكتاب؟ فقال: ان فاطمة عليه السلام ادعت في فذك وشهدت لها أم ايين وعلي عليه السلام فكتبته لها. فأخذ عمر الكتاب من فاطمة فنقل فيه ومزقه، فخرجت فاطمة عليه السلام تبكي... فجاء الامام علي عليه السلام فقال: يا ابا بكر تحكم فينا بخلاف حكم الله في المسلمين، قال: لا. قال: فان كان في يد المسلمين شيء يملكونه ثم ادعيت انا فيه من تسأل البيّنة؟ قال: اياك أسأل، فما بال فاطمة سألتها البيّنة علي ما في يديها؟ وقد ملكته في حياة رسول الله ﷺ وبعده!^(٢)

ورواية ارجاع عمر فذكاً لعلي عليه السلام ليس له صحة، إذ لم يسلب عثمان فذكاً من الامام علي عليه السلام، بل أخذها من بيت المال واعطاها مروان بن الحكم. لقد اخذ ابو بكر وعمر فذكاً، ثم اخذها عثمان واقطعها مروان بن الحكم^(٣).

(١) السقيفة وفذك، أبو بكر الجوهري ١٤٦، المأخوذ من كتاب شرح نهج البلاغة.

(٢) الاحتجاج للطبرسي ١ / ١٢٢.

(٣) سنن البيهقي ٦ / ٣٠١، الغدير ٧ / ١٩٥.

ولما ولي الامام علي عليه السلام الخلافة تركها للمسلمين متنازلاً عن حقه لها، ولما ولي الحكم معاوية أقطع مروان بن الحكم ثلثها، وأقطع عمر بن عثمان بن عفان ثلثها، واقطع يزيد بن معاوية ثلثها، ثم خلصت كلها لمروان فوهبها لابنه عبد العزيز، فوهبها هذا لابنه عمر، فلما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة ردّها الى صاحبها الامام علي بن الحسين عليه السلام، ثم أخذها يزيد بن عاتكة.

وردّها ابو العباس السفاح على أهل البيت، واغتصبها المنصور، وردّها المهدي، وقبضها موسى بن المهدي، وردّها المأمون، واغتصبها المتوكل مقطوعاً ايها الى عبد الرحمن بن عمر البازيار^(١).

وقد استهدف ابو بكر وعمر من اخذها فذكاً سلب القدرة الاقتصادية والقدرة السياسية من أهل البيت عليه السلام.

والفضل الاكبر في اعادة فدك الى أهلها يعود الى عمر بن عبد العزيز، الذي خرج عن المذهبية والقبلية، وسلك مسلك المتخلصين في حكمه على الحوادث^(٢).

مطالبة أمير المؤمنين بالخلافة

هناك أدلة كثيرة تبين مطالبة الامام علي عليه السلام بحقه في الخلافة وهي رد علي من انكر ذلك منها:

قال أمير المؤمنين علي عليه السلام: لقد ظلمت عدد الحجر والمدر.

إن لنا حقاً إن نعطه نأخذه، وإن نمنعه نركب أعجاز الابل، وإن طال السرى.

(١) السقيفة للجوهري ١٠٤.

(٢) الشافي ٤ / ٦٩ - ٧٢، البحار ٢٩ / ٢١٧، الأمالي، المفيد ٤ / ٨، بلاغات النساء، ابن طيفور ١٢، شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢١٢ - ٢١٣، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير ٤ / ٧٣، مروج الذهب ٢٠ / ٣١١.

فصبرت وفي الخلق شجراً، وفي العين قذى^(١).

اللهم إني استعديك على قريش فإنهم ظلموني حقاً وغصبوني إرثي.

وقال الامام علي عليه السلام أيضاً: اما ورب السماء (ثلاثاً) انه لعهد النبي الامي اليّ لتغدرن بك الأمة من بعدي^(٢).

ثم ان علياً عليه السلام حمل فاطمة عليها السلام على حمار وسار بها ليلاً الى بيوت الانصار يسألهم النصرة وتساألهم فاطمة الانتصار لها فكانوا يقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو كان ابن عمك سبق الينا ابا بكر ما عدلنا به، فقال الامام علي: أفكنت أترك رسول الله ﷺ ميتاً في بيته لم أجهزه، واخرج الى الناس انازعهم في سلطانه، فقالت فاطمة عليها السلام: ما صنع ابو الحسن إلا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله سبحانه حسيبهم عليه^(٣).

لذلك قال معاوية في رسالة له للامام علي عليه السلام: واعهدك امس تحمل قعيدة بيتك ليلاً على حمار ويداك في يدي ابنيك الحسن والحسين يوم يبيع ابو بكر فلم تدع احداً من اهل بدر السوابق إلا دعوتهم الى نفسك، ومشيت إليهم بامرأتك، واذللت اليهم بابنيك، واستصرتهم فلم يجيبك منهم إلا اربعة او خمسة...^(٤)

وقال عليه السلام: نحن أولى بمحمد ﷺ حياً وميتاً، لأننا أهل بيته، واقرّب الخلق إليه، فإن كنتم تخافون الله فانصفونا واعرفوا لنا في هذا الأمر ما عرفته لكم الأنصار. ولما قال له عمر: إنك لست بمتروك أو تبايع كما بايع غيرك فقال الامام علي عليه السلام: إذأ

(١) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

(٢) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد، السقيفة وفدك، أبو بكر الجوهري ٦٩.

(٣) السقيفة وفدك لأبي بكر الجوهري، شرح ابن أبي الحديد ٦ / ٢٨، الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١٢.

(٤) شرح النهج لابن أبي الحديد المعتزلي ٢ / ٦٧، كتاب وقعة صفين لنصر بن مزاحم ١٨٢، مروج الذهب ١ / ٤١٤، الإمامة والسياسة ١ / ١٢ - ١٤.

لا أقبل منك ولا أبايع من أنا أحق بالبيعة منه^(١).

ومن الأدلة الاخرى على مطالبة الامام علي عليه السلام بحقه في الخلافة كتكليف شرعي، انه لما بويع ابو بكر في السقيفة وتجددت له البيعة خرج الامام علي عليه السلام فقال: أفسدت علينا امورنا ولم تستشر، ولم ترع لنا حقاً فقال ابو بكر: ولكني خشيت الفتنة^(٢).

وقال اليعقوبي في تاريخه: واجتمع جماعة الى الامام علي بن ابي طالب يدعونه للبيعة فقال لهم: اغدوا عليّ محلقى الرؤوس فلم يغد عليه إلا ثلاثة نفر^(٣).

وكان الامام علي عليه السلام قد قال (عند المجيء به لابي بكر): انا احق بهذا الامر منكم لا ابايعكم وأتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الامر من الانصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي ﷺ وتأخذونه منا أهل البيت غضباً، ألستم زعمتم للانصار انكم اولي هذا الامر لما كان محمد منكم، فاعطوكم المقادة وسلموا اليكم الامارة، وانا احتج عليكم بمثل ما احتججتم به على الانصار. نحن اولي برسول الله حياً وميتاً، فانصفونا إن كنتم مؤمنين وإلا فبوءوا بالظلم وأتم تعلمون.

فقال عمر: إنك لست متروكاً حتى تباع، فقال له الامام علي عليه السلام: احلباً حلباً لك شطره اشد له اليوم امره يردده عليك غداً، الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمد ﷺ في العرب عن داره وقعر بيته الى دوركم وقعور بيوتكم، ولا تدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحق الناس به، لانا اهل البيت ونحن احق بهذا الامر ما كان فينا إلا القارئ لكتاب الله الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله المظطلع بأمر الرعية، المدافع عنهم الامور السيئة، القاسم بينهم بالسوية، والله إنه لفينا، فلا تتبعوا الهوى فضلوا عن سبيل الله

(١) الفتوح، ابن أعثم ١٣ / ١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٤١٤ / ١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ١٠٥ / ٢، شرح ابن أبي الحديد ٤ / ٢، صفين، نصر بن مزاحم ١٨٢.

فتزدادوا من الحق بعداً^(١).

واظهر الامام علي عليه السلام غضبه على فعل قريش في السقيفة قائلاً: اللهم إني استعديك على قريش ومن أعانهم، قد قطعوا رحمي، واكفأوا إنياني، واجمعوا على منازعتي حقاً كنت أولى به من غيري، ثم قالوا ألا إن في الحق أن تأخذه وفي الحق ان تمنعه، فاصبر مغموماً او مت متأسفاً، فنظرت فاذا ليس لي رافد ولا ذاب ولا مساعد إلا أهل بيتي، فضننت بهم عن المنية فأغضيت على القذئ وجرعت ربي وصبرت من كظم الغيظ على أمر من العلقم وآلم للقلب من حز الشفار^(٢).

وكان النبي موسى عليه السلام قد أمر هارون حين استخلفه في قومه، إن ضلوا فوجد اعواناً ان يجاهدهم بهم، وان لم يجد اعواناً ان يكف يده ويحقق دمه ولا يفرق بينهم^(٣).

واستمر الامام علي عليه السلام في منحاه الساعي لاثبات حقه في الخلافة اذ قال: فوالله ما زلت مدفوعاً عن حقي مستأثراً علي منذ قبض نبيه حتى يوم الناس هذا. وفي رسالة معاوية لمحمد بن ابي بكر اعتراف منه بفضل الامام علي عليه السلام اذ قال: كنتا في زمن الرسول ﷺ انا وابو بكر وعمر ننظر الى ابن ابي طالب كالنجم في الثريا^(٤).

(١) المستدرک، الحاكم ٤ / ٥٣٤، كنز العمال ١٠ / ٤٣٥، المعجم الكبير، الطبراني ١٢ / ٢٧، الصواعق المحرقة ١٨٦، كنوز الحقائق ١٥٣، الرياض النضرة ٢ / ٢٠٨، الإمامة والسياسة ١ / ١٣، شرح النهج ٢ / ١١٩، الوافي بالوفيات ٥ / ٢، العقد الفريد ٤ / ٢٥٩، تاريخ الطبري ٣ / ١٩٨، أنساب الأشراف ١ / ٥٨٦، الملل والنحل، الشهرستاني ١ / ٥٦، مناقب آل أبي طالب ٣ / ٤٠٧، المعارف ٩٣، سيرة ابن دحلان ٢ / ٥٩، كفاية الطالب ٤١٣، لسان الميزان، ابن حجر ٥ / ٢٤٦، ميزان الاعتدال، الذهبي ١ / ١٣٩، إثبات الوصية، المسعودي ١٢٣، أعلام النساء ٤ / ١١٤، أعيان الشيعة ٤٢ / ١٢٣، الخطط، المقرئ ٢ / ٣٤٦.

(٢) نهج البلاغة ٣٦٥ الطبع القديم، طهران، الإمامة والسياسة، ابن قتيبة ١ / ١٣.

(٣) السقيفة لسليم بن قيس ٧٣.

(٤) مروج الذهب، المسعودي ٣ / ١١.

قول علي عليه السلام في أبي بكر عمر

قال الإمام علي عليه السلام في الخطبة الشقشقية يصف أبا بكر وعمر:
 فيا عجبا! بينا هو يستقبلها في حياته، إذ عقدها لآخر بعد وفاته، لشد ما
 تشظرا ضرعها! فصيرها في حوزة خشناء يغلظ كلمها، ويخشن مسها، ويكثر
 العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة، إن أشنق لها خرم، وإن
 أسلس لها تقخم، فني الناس لعمر الله بجنب وشماس وتلون واعراض، فصبرت
 على طول المدّة وشدة المحنة، حتى إذا مضى لسبيله جعلها في جماعة، زعم أنني
 أحدهم، فيا لله وللشورى متى اعترض الرّيب في مع الأول منهم، حتى صيرت أقرن
 إلى هذه النظائر، لكنني أسفت إذ أسقوا وطرت إذ طاروا^(١).
 وقال الامام علي عليه السلام لابي بكر: أن إئتنا ولا يأتنا أحد معك، كراهية لمحضر
 عمر^(٢).

وقال الامام علي عليه السلام لعثمان: أمّا الفرقة، فعاذ الله أن أفتح لها باباً، وأسهل
 إليها سبيلاً، ولكنني أنهارك عمّا ينهارك الله ورسوله عنه، وأهديك إلى رشدك، وأمّا
 عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذنا ما جعله رسول الله صلى الله عليه وآله لي فأنت أعلم بذلك
 والمسلمون^(٣).

وقال الامام علي عليه السلام لعمر واصفاً سعيه لبيعة أبي بكر: إحلب حلباً لك
 شطره، توليه أنت اليوم ليردها عليك غداً^(٤).

وقال الامام علي عليه السلام لعثمان: «أمّا التسوية بينك وبينها، فلست كأحدهما
 إنهما وليا هذا الأمر فظلفا أنفسهما (أي كفاً) واهلها عنه، وعمت وقومك عوم

(١) نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام ك ١٣٤ .

(٢) صحيح البخاري ٥ / ٢٥٢ ح ٧٠٤ باب ١٥٥ غزوة خيبر .

(٣) شرح نهج البلاغة ٩ / ١٥ .

(٤) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١١ / ١ .

السابع في اللجة.

وفي أيام خلافة الامام علي بن أبي طالب عليه السلام، وصف عليه السلام أيام ما بعد
 الرسول صلى الله عليه وآله، والظلم الذي حلّ بأهل البيت عليه السلام قائلاً: حتى إذا قبض الله رسوله،
 رجع قومٌ على الاعقاب، وغالتهم السُّبُل^(١) واتكلموا على الولاة^(٢)، ووصلوا غير
 الرّجيم^(٣)، وهجروا السَّبَب الذي أمروا بمودته^(٤)، ونقلوا البناء عن رصّ أساسه
 فبنوه في غير موضعيه.

معادن كلّ خطيئة، وأبواب كلّ ضاربٍ في غمرةٍ. قد ماروا في الحيرة،
 وذهلوا في السكرة، على سنة من آل فرعون، من منقطع إلى الدنيا راكبين أو مُقارقي
 للدين مباينين^(٥).

اتفاقات المشاركة في السلطة وتناوبها

لقد كثرت الاتفاقات والعهود حول تناوب السلطة واقتسامها، بين رجال
 السقيفة، وهذه عادة تتّصف بها الانقلابات الرئاسية، وهي غير موجودة في
 الحركات الاصلاحية والوصايا النبوية.
 وقد وصلت إلينا أخبار المساومة السياسية بين مجموعة أبي بكر وعمر وابن
 الجراح والمغيرة مع العباس ورفض الأخير ذلك^(٦).

(١) أهلکم اختلاف الآراء والأهواء

(٢) جمع وليجة وهي البطانة .

(٣) أي غير رحم الرسول صلى الله عليه وآله .

(٤) يعني أهل البيت عليه السلام: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ الشورى ٢٣ .

(٥) قد يكون في أهل الضلال من هو مفارق للدين مباين، وليس براكبي إلى الدنيا ولا منقطع
 إليها، كما نرى كثيراً من أبحار النصارى وربهانهم، الخطبة ١٥٠، نهج البلاغة للإمام علي بن
 أبي طالب عليه السلام، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد المعتزلي ٩ / ١٣٤ .

(٦) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١٥ / ١ .

اتفاق تناوب السلطة بين أبي بكر وعمر

ورأى المسلمون بأم أعينهم في السقيفة تناوب السلطة بين أبي بكر وعمر. وقد قال أمير المؤمنين علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر: ولولا خاصّة بينه وبين عمر، وأمر كانا رضياها بينهما، لظننت أنه لا يعدله عني^(١). وقال الإمام علي عليه السلام لعمر: احلب حلباً لك شطره، واشدد له اليوم أمره يردده عليك غدأ^(٢).

لماذا باع أبو بكر وعمر الشام والطائف لأبي سفيان؟

ومن دلائل اتفاق رجال السقيفة مع أبي سفيان حول تناوب الخلافة واقتسامها ما جاء عن عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده، أن أبا سفيان دخل على عمر بن الخطاب فعزاه عمر بابنه يزيد، فقال: آجرك الله في ابنك يا أبا سفيان.

فقال: أي بني يا أمير المؤمنين؟

فقال (عمر): يزيد.

قال (أبو سفيان): فمن بعثت على عمله؟

قال (عمر): معاوية أخاه، ابنان مصلحان، وإنه لا يحل لنا أن ننزع مصلحاً^(٣). فتبين من هذا النص الاتفاق مع أبي سفيان على إعطاء الشام طعمة له ولأولاده مقابل اعترافه بخلافة أبي بكر.

وظهر تعلق الأمويين بالشام وإهتمامهم بها بالخصوص معاوية، في استمرار ولايته عليها في زمن عمر وعثمان. أي في الوقت الذي كان بإمكان معاوية أن يصبح

(١) كشف المحجبة لثمره المهجعة ١٧٣ - ١٨٩.

(٢) الإمامة والسياسة، ابن قتيبة، ١١ / ١.

(٣) كنز العمال ٦٠٦ / ١٢ ح ٢٧٥٤٩.

والياً على العراق وإيران أو مصر وأفريقيا. ثم استمر معاوية في هذا المنحى حينما اختار الشام مقرّاً لحكومته.

والولاية الثانية التي شملها الاتفاق كانت الطائف، إذ عين أبو بكر وعمر عتبة بن أبي سفيان والياً عليها^(١).

ولمّا أصبح معاوية ملكاً على الدولة الإسلامية الشاملة لمناطق واسعة من آسيا وأفريقيا أستمّر تعلق بني أمية بالطائف وإليك ما يثبت ذلك:

كان معاوية وليّ عنبسة (أخاه) الطائف، ثم نزعها وولاهها عتبة، فدخل عليه (عنبسة) فقال: يا أمير المؤمنين أما والله ما نزعني من ضعف ولا خيانة.

فقال معاوية: إن عتبة بن هند. فولى عنبسه وهو يقول:

كُنَّا لِحَرْبٍ صَالِحًا ذَاتُ بَيْنِنَا جَمِيعًا فَأَضَحَّتْ فَرَّقَتْ بَيْنَنَا هِنْدُ^(٢)

فعبسة وعتبة أخوان لمعاوية، ولكن عتبة شقيق معاوية من أمه هند فضله على عنبسة. فيظهر من هذه الحادثة إهتمام معاوية وعتبة وعنبسة بالطائف إهتماماً كبيراً.. فعاد عتبة والياً على الطائف في زمن معاوية، مثلما كان والياً عليها من قبل أبي بكر وعمر. أي أعطى أبو بكر وعمر الطائف طعمة لبني أمية.

كما حصل عتاب بن أسيد الأموي على ولاية مكة، وحصل سعيد بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط على منصب الولاية^(٣)!

فيكون الأمويون قد حصلوا على عدّة ولايات إضافة إلى الخلافة والوزارة، وهذا ما لم تحصل عليه بقية قبائل قريش!

وقد أيّد معاوية بن أبي سفيان وجود اتفاق بين أبي بكر وعمر على غضب

(١) أسد الغابة، ابن الأثير ٣ / ٥٦٠.

(٢) النسب، لأبي عبيد القاسم بن سلام ٢٠١، ط دار الفكر، جمهرة النسب، الكلبي ٤٩ طبع مكتبة النهضة العربية.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢٩ / ٩، تاريخ الطبري ٣ / ٣١١.

الخليفة، قائلاً: علي ذلك اتفقا واتسقا^(١).

اتفاق عمر - عثمان السري

وعن اتفاق عمر مع عثمان عليه السلام على تناول السلطة بينها:

قال عمرو بن يحيى بن سعيد الأموي عن جده:

أن سعيد بن العاص أتى عمر يستزيده في داره التي بالبلاط وخطط أعمامه

مع رسول الله ﷺ.

فقال عمر: صلّ معي الغداة وغبش ثم اذكرني حاجتك.

قال: ففعلت حتى إذا هو انصرف قلت: يا امير المؤمنين حاجتي التي أمرتني

أن أذكرها لك. قال: فوثب معي ثم قال: أمض نحو دارك حتى انتهيت إليها، فزادني

وخطّ لي برجله.

فقلت يا امير المؤمنين زدني، فإنه نبئت لي نابتة من ولد وأهل، فقال: حسبك،

واختبى عندك أن سبلي الأمر بعدي من يصل رحمك ويقضي حاجتك!!

قال: فمكثت خلافة عمر بن الخطاب حتى استخلف عثمان، وأخذها عن

شورى ورضى، فوصلني وأحسن، وقضى حاجتي، واشركني في أمانته، قالوا: ولم

يزل سعيد بن العاص في ناحية عثمان بن عفان للقرابة^(٢).

وجاء: «أن عمر حين طعن أوصى النفر الخمسة قولاً ثم مال برأسه إلى عبد

الله وهو مسند ظهره إلى صدره وقال: إن يولوا عثمان يصيبوا خيرهم^(٣).

وعن حذيفة قال: قيل لعمر بن الخطاب وهو بالمدينة: يا امير المؤمنين من

الخليفة بعدك؟

(١) مروج الذهب، المسعودي ١٢ / ٣.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٢٠ / ٥.

(٣) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ١٤٨ / ٢.

قال: عثمان بن عفان^(١).

فذهبت من ابن الجراح الخلافة والولاية لصالح عثمان ومعاوية الأمويين.

اتفاق عثمان - ابن عوف وخيانة عثمان للمعاهدة

ووصلت إلينا أخبار الاتفاق السياسي بين عثمان وابن عوف على تناوب

السلطة، والتي انتهت بمصرع ابن عوف. إذ قال الإمام علي عليه السلام لابن عوف: والله ما

وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك^(٢).

وقال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام عن نتيجة بيعة مجلس الستة: يوليها عبد

الرحمن عثمان، ويوليها عثمان عبد الرحمن^(٣).

وقال الامام علي عليه السلام لابن عوف: ليس هذا أول يوم تظاهرتم فيه علينا

﴿فَصَبِرْ جَوِيلٌ وَاللَّهُ الْمَسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾^(٤).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام لابن عوف أيضاً: أيها عنك إنما آرتها بها لتناها بعده،

دقّ الله بينكما عطر منشم^(٥).

فاستجاب الله تعالى دعاء الإمام علي عليه السلام عليها إذ اشتدّ الصراع بينهما،

فطلب ابن عوف من الناس حمل السلاح في وجه عثمان، فأهانته عثمان، وانتهت

الخصومة بينهما بقتل ابن عوف بيد عثمان.

(١) كنز العمال، المتقي الهندي ٧٢٧ / ٥ ح ١٤٢٥٩.

(٢) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٧١ / ٣.

(٣) تاريخ الطبري ٢٩٤ / ٣.

(٤) يوسف ١٨.

(٥) منشم امرأة عطارة من خزاعة فتحالف قوم فأدخلوا أيديهم في عطرها على أن يقاتلوا حتى

يموتوا، فضرب ذلك لشدة الأمر، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٥٦ / ٩.

مؤامرة معاوية - ابن العاص

وقرأنا قضية المساومة السياسية بين معاوية وابن العاص حول ولاية الأخير مصر مقابل مشاركته في محاربة الإمام علي عليه السلام إذ تردد عمرو بن العاص في دعم معاوية فقال معاوية: لك مصر طعمة^(١). وهناك نصوص تثبت أقدام الزبير وطلحة علي محاربة الإمام علي عليه السلام مقابل عهود من معاوية بتوليتهما سدة الخلافة ليكون الزبير أولاً وطلحة ثانياً^(٢).

وكان الأشعري من حزب عمر فسأومه معاوية فرضي وخان الامام علي عليه السلام في صفين.

مساومة معاوية - الأشعري

فقد ساوم معاوية أبا موسى الأشعري كما ساوم رجال السقيفة أباه، إذ جاء في رسالته للأشعري: «أما بعد فإن عمرو بن العاص قد بايعني على ما أريد، وأقسم بالله لئن بايعتني على الذي بايعني لاستعملن أحد ابنك على الكوفة والآخر على البصرة، ولا يُغلق دونك باب، ولا تُقضى دونك حاجة، وقد كتبت إليك بخطي فاكذب إليّ بخط يدك. ثم قال: فلما ولي معاوية أتيته فما أغلق دوني باباً ولا كانت لي حاجة إلا قضيت^(٣)».

إذن خان الأشعري الأمانة في التحكيم !!

وهكذا أصبحت السقيفة أمماً لكل الانقلابات والمساومات السياسية عند المسلمين^(٤).

(١) وقعة صفين ٣٤ - ٣٩، تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٨٤ - ١٨٦، تاريخ ابن خلدون ٢ / ٦٢٥.

(٢) وقعة صفين، نصر بن مزاحم ٥٢، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ٥٨٠ - ٥٨١.

(٣) سيرة أعلام النبلاء، الذهبي ٢ / ٣٩٦.

(٤) تاريخ المدينة المنورة، ابن شبة ط دار الفكر، النهاية في الغريب ٣ / ٧٣، أنساب

زواج عمر من أم كلثوم بنت علي عليه السلام هل له حقيقة؟

لقد كذب بعض العلماء هذا الزواج وأيده بعض. ومن هذا البعض السيد المرتضى إذ قال:

«إن هذا النكاح لم يكن عن اختيار، ولا إيثار، ولكن بعد مراجعة ومدافعة، كادت تفضي الى المخارجة والمجاهرة. فانه روي أن عمر بن الخطاب استدعى العباس بن عبد المطلب فقال له: ما لي؟ أبي بأس؟ فقال له ما يجب ان يقال لمثله في الجواب عن هذا الكلام، فقال له: خطبت الى ابن اخيك، ابنته أم كلثوم، فدافعني ومانعني، وأنف من مصاهرتي. والله لا عورن زمز، ولا هدمن السقاية، ولا تركت لكم يا بني هاشم منقبة إلا هدمتها، ولأقيم عليه شهوداً، يشهدون عليه السرقة وأحكم بقطعه. فضى العباس الى أمير المؤمنين عليه السلام فأخبره بما جرى وخوفه من المكاشفة التي كان عليه يتحاماها، ويفتديها بركوب كل صعب وذلول. فلما رأى ثقل ذلك عليه قال له العباس: رد أمرها الي حتى أعمل أنا ما أراه، ففعل عليه ذلك. وعقد عليها العباس. وهذا إكراه يحل له كل محرم، ويزول معه كل إختيار. ويشهد بصحته ما روي عن أبي عبد الله عليه السلام من قوله وقد سئل عن هذا العقد؟ فقال عليه السلام: ذلك فرج غضبنا عليه^(١).

بينما قال المفيد: إن خبر تزويج عمر من ام كلثوم غير ثابت لأنه من الزبير بن بكار وإنما نشر الحديث اثبات أبي محمد صاحب النسب ذلك في كتابه فظن كثير من الناس انه حق لرواية رجل علوي له وهو إنما رواه عن ابن الزبير كما روى الحديث نفسه مختلفاً فتارة يروي أن أمير المؤمنين عليه السلام تولى العقد له على ابنته وتارة يروي عن العباس انه تولى ذلك عنه وتارة يروي انه لم يقع إلا بعد وعيد من عمر وتهديد

الأشرف، البلاذري ٥ / ١٩، منتخب كنز العمال، المتقي الهندي ٤ / ٤٢٩.

(١) رسائل الشريف الرضي ٣ / ١٤٨ - ١٥٠، كتاب الشافي للسيد المرتضى، مستدرک الوسائل

١٤ / ٤٤٢ - ٤٤٤.

لبنى هاشم وتارة يروي انه كان من اختيار وايتار.

ثم بعض الرواة يذكر ان عمر أولدها ولدأ اسمه زيد أو بعضهم -قال- ان لزيد بن عمر عقباً ومنهم من يقول انه قتل ولا عقب له، ومنهم من يقول انه وامه قتلا، ومنهم من يقول ان امه بقيت بعده، ومنهم من يقول ان عمر أمه أم كلثوم أربعين ألفاً، ومنهم من يقول امهرها أربعة آلاف درهم، ومنهم من يقول كان مهرها خمسمائة درهم، وبدء هذا القول وكثرة الإختلاف فيه يبطل الحديث ولا يكون له تأثير على حال (١).

وذكر الزبير بن بكار بن الزبير بن العوام ولادة ام كلثوم من عمر لولدين زيداً ورقية (٢).

وبينا جعل الرواة الأمويون ولدين لها من عمر (زيد ورقية) نفوا وجود ولد لها من عون ومحمد وعبد الله بن جعفر بن أبي طالب! وهذا ما يثير الشكوك أكثر. وتختلف الروايات في أسباب موتها (أم كلثوم وزيد) مرة انه قتل في حرب، ومرة انه سقط عليه وعليها حائط، ومرة انها ماتت موتاً طبيعياً ولكن في نفس يوم مقتل ابنها!

وإن كانت قد ماتت سريعاً بعد عمر فن اين جاءت هذه الزيجات الكثيرة؟! (٣) فقد تزوجت مع أولاد جعفر وهم عون ومحمد وعبد الله ومن رواة هذه الرواية هشام بن سالم الذي قال فيه أبو الحسن الرضا عليه السلام: لا تقل بمثل ما قال هشام بن سالم ان لله صورة وان آدم خلقت على مثل الرب (٤).

(١) المفيد في جواب المسألة العاشرة من المسائل السروية لما سأله السائل عن حكم ذلك التزويج.

(٢) الإصابة ٤ / ٤٩٢.

(٣) طبقات ابن سعد ٨ / ٤٦٣، أسد الغابة، ابن الأثير ٧ / ٣٨٧، الإصابة ٤ / ٤٩٢.

(٤) معجم رجال الحديث ١٩ / ٣٠٠، ٣٠١.

والواضح والبين في قضية زواج عمر من ام كلثوم ان الأمويين ارادوا اضافة منقبة جديدة لعمر تتمثل في زواجه من بنت فاطمة والامام علي عليه السلام لطمس مظلومية أهل البيت عليهم السلام.

وقد خططوا للاستفادة من شخص ام كلثوم لمدح عمر وهجاء الامام علي عليه السلام. إذ جاء بان الحسن والحسين قد نصحا ام كلثوم بعد موت عمر بأن لا تمكن اباهما من رقبتهما فيزوجهما واحداً من ايتامه، وقالوا: ان اردت ان تصيبي بنفسك مالا عظيماً لتصيبه، وإتها تمردت على أوامر ابينا في الزواج، فقرر الامام علي عليه السلام الإمتناع عن الكلام معها ما لم ترض بالزواج ممن يجب هو؟! (١)

وهكذا أراد الأمويون واذنابهم تشويه سمعة أفراد أهل البيت على أنهم طلبة دنيا، وان أولاد الامام علي عليه السلام يعصون أباهم واطهروا زيفاً استبداد الامام علي عليه السلام في قراراته في سلب الحرية من ابنته الثيب في الزواج! أي سعوا لتشويه سمعة الامام علي واولاده عليهم السلام. إذ جاء: رفض الحسن والحسين زواج سعيد بن العاص من ام كلثوم بنت الامام علي (٢). بينما كان سعيد بن العاص من الولاة القدماء للدولة من الذين جمعوا أموالاً طائلة في مدة مأموريته.

وكتب معاوية إلى مروان وهو عامله على الحجاز، يأمره أن يخطب أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر لأبنته يزيد (بعد مقتل الحسن عليه السلام) فأقنى عبد الله بن جعفر فأخبره بذلك، فقال عبد الله: إن أمرها ليس إلي، إنما هو إلى سيدنا الحسين عليه السلام وهو خالها، فأخبر الحسين عليه السلام بذلك فقال: استخير الله تعالى، اللهم وفق لهذه الجارية رضاك من آل محمد. فلما اجتمع الناس في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أقبل مروان حتى جلس الى الحسين عليه السلام وعنده من الجيلة، وقال: إن أمير المؤمنين أمرني بذلك وأن

(١) راجع تاريخ الإسلام ١٣٨، أعلام النساء ٤ / ٢٥٨، سير أعلام النبلاء ٣ / ٥٠١، ٥٠٢، أسد

الغابة ٦ / ٣٨٨، نساء من عصر التابعين ١ / ١٥٢.

(٢) كتاب المرافقات من قریش للمدائني.

أجعل مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ - وساق الحديث الى ان قال - قال الحسين : يا مروان قد قلت فسمعنا ، أما قولك مهرها حكم أبيها بالغاً ما بلغ ، فلعمري لو أردنا ذلك ما عدونا سنة رسول الله ﷺ في بناته ونسائه وأهل بيته ، وهو اثنتا عشرة أوقية يكون اربعمائة وثمانين درهماً - الى ان قال : ثم قال بعد كلام - فاشهدوا جميعاً أني قد زوجت أم كلثوم بنت عبد الله بن جعفر من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر علي اربعمائة وثمانين درهماً ، وقد نخلتها ضيعتي بالمدينة ، - أو قال أرضي بالعتيق - وان غلّتها في السنة ثمانية آلاف دينار ، ففيها لها غنى إن شاء الله (١) .

فأم كلثوم هو كنية زينب بنت فاطمة لان فاطمة ولدت الحسن والحسين ومحسنا وزينبا فقط فقتل عمر محسناً وبقى الثلاثة .

وأعظم دليل على عدم وجود هذه المرأة عدم وجود ترجمة واضحة لحياتها وحياتها ولديها المزيفين زيد ورقية ، فأراد القصاصون رأب هذا الشرخ الكبير فقالوا وقع عليها حائط وماتت ! وعندما سألوهم عن زيد توقفوا ثم قالوا بوقوع حائط عليه أيضا . لكن رقية بقيت دون ترجمة ودون حائط ! لقد أراد الناصبون العداة لاهل البيت تنفيذ حادث مقتل فاطمة بيد عمر وقتله محسنا بهذة الواقعة المختلفة ، ليصبح عمر صهراً لفاطمة . واختلاق الاحداث والاشخاص عادة ناصبية معروفة . ولم يكن لهذه الزيجة من معالم الا في حياة الناصبي الزبير بن بكار الذي أراد الشيعة قتله لافترائاته الكثيرة على أهل البيت (٢) .

الفصل الثاني : علاقة الامام علي - عثمان

النبي ﷺ يصف عثمان وأهله

وكان أبوذر يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر روى الواقدي : أن أباذر لما دخل على عثمان ، قال له عثمان : لا أنعم الله بك عينا يا جنيد .

فقال أبو ذر : أنا جنيد وسأني رسول الله ﷺ عبد الله ، فاخترت اسم رسول الله ﷺ الذي سمي به على اسمي فقال عثمان أنت الذي تزعم : أنا نقول إن يد الله مغلولة ، وأن الله فقير ، ونحن الأغنياء ؟

فقال أبوذر : لو كنتم لا تزعمون لأنفقتم مال الله في عبادته ، ولكني أشهد : لسمعت رسول الله ﷺ يقول : «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً ، جعلوا مال الله دُولاً ، وعباده خولاً ، ودين الله دخلاً» (١) .

فقال عثمان : هل سمعتم من رسول الله ؟

فقال علي والحاضرون : سمعنا رسول الله ﷺ يقول : «ما أظلت الحضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر» (٢) ، فنفاه إلى ربذة .

وروى الواقدي : أن أبا الأسود الدؤلي قال : كنت أحب لقاء أبي ذر لأسأله عن سبب خروجه ، فنزلت الربذة ، فقلت له : ألا تخبرني ، خرجت من المدينة طائعاً ،

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٤١ ، وتاريخ الخميس ٢ / ٢٦٩ ، وشرح النهج ١ / ٢٤٠ ، وتاريخ يعقوبي ٢ / ١٦١ ، ومستدرک الحاكم ٤ / ٤٨٠ وكنز العمال ٦ / ٢٩ و ٩٠ .
(٢) الإصابة ٤ / ٦٤ ، وفي هامشها الاستيعاب ١ / ٢١٦ ، والمستدرک الحاكم ٤ / ٦٤ ، وأسد الغابة ١ / ٣٠١ ، وتاريخ الخميس ٢ / ٢٥٨ ، والتاج الجامع للأصول ٣ / ٤٠٤ ، وقال : رواه الترمذي بسند حسن .

(١) المناقب ، ابن شهر آشوب ٤ / ٣٨ ، مستدرک الوسائل ١٥ / ٩٨ .

(٢) طبقات ابن سعد ٨ / ٦٢٣ ، أسد الغابة ، ابن الأثير ٧ / ٣٨٧ ، الإصابة ٤ / ٤٩٢ ، المفيد في جواب المسألة العاشرة من المسائل السروية لَمَا سأله السائل عن حكم ذلك التزويج ..

أم أخرجت؟

فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين، أغني عنهم فأخرجت إلى المدينة، فقلت: أصحابي، ودار هجري، فأخرجت منها إلى ماترى.

ثم قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في المسجد، إذ مر بي رسول الله ﷺ، فضربني برجله، وقال: لا أراك نائماً في المسجد، قلت: بأبي أنت وأمي، غلبتني عيني فتمت فيه: فقال ﷺ: كيف تصنع إذا أخرجوك منه؟

قلت: إذن ألحق بالشام فإنها أرض مقدسة، وأرض بقية الإسلام، وأرض الجهاد، فقال ﷺ: كيف تصنع إذا أخرجوك منها؟ قلت أرجع إلى المسجد فقال ﷺ: كيف إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضربه.

فقال ﷺ: ألا أدلك على خير من ذلك، إنسق معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع، فسمعت وأطعت، وأنا أسمع وأطيع، والله ليقتلن الله عثمان وهو آثم في جنبي^(١).

مسرحية انتخاب عثمان

والمسرحية التي أعدها عمر بن الخطاب لانتخاب عثمان لا تليق بصحابة رسول الله ﷺ فهو قد حصر الخلافة في قريش دون دليل شرعي ثم ضيقها في ستة منهم بلا سند ديني ولا عقلي ثم ضيقها أكثر فجعلها بيد واحد من هؤلاء الستة ألا وهو عبد الرحمن بن عوف^(٢).

لماذا هذا الالتفاف المعقد للوصول إلى بيعة عثمان في ساحة إسلامية تعرفت على صراحة النبي ﷺ واستقامته وتركه المكر والخداع.

قال عمر قبل موته لأهل الشورى: إن اختلفتم فكونوا مع الذي معه عبد

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٤٠، ومسنند أحمد ١٥٦ / ٥، نهج الحق ٣٠٠.

(٢) تاريخ أبي الفداء ١ / ٣٣٢.

الرحمن بن عوف^(١)!

ولما بايع ابن عوف عثمان قال أمير المؤمنين علي عليه السلام له: ليس هذا أول يوم تظاهرتم علينا فيه، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك، والله كل يوم هو في شأن^(٢).

قول الإمام علي عليه السلام لأهل الشورى

ثم قال: نشدتم بالله أيها نفر! هل فيكم أحد وحّد الله قبلي؟! قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتم بالله هل فيكم أحد، قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا. قال ﷺ: نشدتم بالله هل فيكم أحد ساق رسول الله ﷺ لرب العالمين هدياً فأشركه فيه؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتم بالله هل فيكم أحد أتى رسول الله ﷺ بطير يأكل منه، فقال: اللهم اتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير، فجنّته، فقال: اللهم وإلى رسولك... وإلى رسولك؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال ﷺ: نشدتم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ حين رجع عمر يُجِبُّ أصحابه ويحبّبونه قد ردّ راية رسول الله ﷺ منزهماً فقال له رسول الله ﷺ: لأعطين الراية غداً رجلاً ليس بقرّار يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله لا يرجع حتى يفتح الله عليه، فلما أصبح قال: ادعوا لي عليّاً. فقالوا: يا رسول الله ﷺ! هو رمد ما يطرف. فقال: جيئوني، فلما قت بين يديه تفل في عيني وقال: اللهم اذهب عنه الحرّ والبرد، فاذهب الله عني الحرّ والبرد إلى ساعتی هذه، وأخذت الراية فهزم

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

الله المشركين واظفرفني بهم؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له أخ مثل أخِي جعفر المزيّن بالجناحين في الجنة يحلّ فيها حيث يشاء؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له عمّ مثل عمّي حمزة أسد الله وأسد رسوله وسيّد الشهداء؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له سبطان مثل سبطي الحسن والحسين ابني رسول الله ﷺ وسيدي شباب أهل الجنة؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد له زوجة مثل زوجتي فاطمة بنت رسول الله ﷺ وبضعة منه وسيّدة نساء أهل الجنة؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ليستهين بسؤ وليلة^(١) أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفي طاعته كطاعتي ومعصيته كمعصيتي يغشاهم بالسيف؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

قال عليه السلام: نشدتكم بالله هل فيكم أحد قال له رسول الله ﷺ: ما من مسلم وصل إلى قلبه حُبِّي إلا كفر الله عنه ذنوبه، ومن وصل حُبِّي إلى قلبه فقد وصل حبّك إلى قلبه، وكذب من زعم أنّه يحبّني ويبغضك؛ غيري؟! قالوا: اللهم لا.

عثمان يركل المؤمنين برجله

وفي رواية أخرى «قام عمار بن ياسر يوماً في مسجد رسول الله ﷺ وعثمان يخطب على المنبر فوثق عثمان بشيء من أفعاله فنزل عثمان فركله برجله وألقاه على قفاه وجعل يدوس في بطنه ويأمر أعرانه بذلك حتى غشي على عمار وهو يفترى على عمار ويشتمه.

(١) قال في القاموس ٣/ ٩٧: وبئر وليعة - كسفينة - حُبِّي من كِنْدَة .

بينما قال رسول الله ﷺ: الحق مع عمار يدور معه حيثما دار وقال عليه السلام: إذا افترق الناس يميناً وشمالاً فانظروا الفرقة التي فيها عمار فاتبعوه فإنه يدور الحق معه حيثما دار»^(١).

واحتمل الناس عماراً وهو لا يعقل إلى بيت أم سلمة، فاعظم الناس ذلك وبقى عمار مغمى عليه لم يصل يوماً من الظهر والعصر والمغرب، فلما أفاق قال: الحمد لله فقدما أوديت في الله وأنا احتسب ما أصابني في جنب الله بيني وبين عثمان العدل الكريم يوم القيامة، وبلغ عثمان أنّ عماراً عند أم سلمة فارسل إليها فقال: ما هذه الجماعة في بيتك مع هذا الفاجر؟ اخرجهم من عندك.

فقالت: والله ما عندنا مع عمار إلا بنتاه فاجتنبنا يا عثمان واجعل سطوتك حيث شئت، وهذا صاحب رسول الله ﷺ يوجد بنفسه من فعالك به فندم عثمان على ما صنع فبعث إلى طلحة والزبير فسألها ان يأتيا عماراً فيسألاه ان يستغفر له.

فأتياه فأبى عليهما. فرجعا إليه فاخبراه فقال عثمان: من حكم الله يا بني أمية يا فراش النار وذباب الطمع شنّتم عليّ والبستم عليّ أصحاب رسول الله ﷺ^(٢). وما كانت تستخدم الركل والرفس والنطح بحق المسلمين إلا عتاتها!!

عثمان والألفاظ الجاهلية

ثم إنَّ عماراً صلح من مرضه فخرج إلى مسجد رسول الله ﷺ فبينما هو كذلك إذ دخل ناعي أبي ذر على عثمان من الربذة فقال: إنَّ أبأذر مات بالربذة وحيداً ودفنه قوم سفر^(٣).

(١) البحار ٣٠ / ٣٧٢.

(٢) الأمالي، المفيد ٧١.

(٣) ذو سفر وهم أحنف بن قيس التميمي ومالك الأشتر النخعي وصعصعة بن صوحان العبدي

فاسترجع عثمان وقال: رحمه الله.

فقال عمار: رحم الله أبأذر من كل أنفسنا.

فقال له عثمان: وإنك هناك بعد يا عارض أير أبيه أتراني ندمت على تسييري

إياه فقال له عمار: لا والله ما أظن ذلك.

قال: وأنت أيضاً فالحق بالمكان الذي كان فيه أبوذر فلا تهرحه ما حينئذ.

قال عمار: أفعل والله لمجاورة السباع أحب إليّ من مجاورتك فتباً عمار

للخروج فجاءت بنو مخزوم إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام فسألوه أن يقوم

معهم إلى عثمان عن تسيير عمار. فقام فسأله فيهم ورفق به حتى أجابه إلى ذلك^(١).

أي ان عثمان بن عفان أراد قتل عمار بن ياسر بنفس الطريقة التي قتل بها

أبأذر والمتثلة بنفيه إلى صحراء الربذة بالرغم مما سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله من أن

عماراً تقتله الفئة الباغية، وهذا الموقف يبين مدى عصيان عثمان للنصوص النبوية!

فهو يريد قتل عمار من جهة وعين مروان طريد رسول الله صلى الله عليه وآله وزيراً له من جهة

أخرى!

أي ينفي من قرّبه الرسول صلى الله عليه وآله ويأوي من نفاه الرسول صلى الله عليه وآله!

وكان المقداد، وعمار، وطلحة والزبير، وجماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله

كتبوا كتاباً عددوا فيه أحداث عثمان، وخوفوه، وأعلموه أنهم موثبوه إن لم يُقْلَع،

فجاء عمار به فقرأ منه صدرًا، وقال: أعليّ تُقدّم من بينهم، ثم أمر غلظانه، فدوا يديه

ورجليه، ثم ضربه عثمان على مذاكيره فأصابه فتق، وكان ضعيفاً كبيراً، فغشي

عليه^(٢).

طحا وخارجة بن الصلت التميمي وهلال بن مالك المزني وأسود بن يزيد النخعي وعبدالله بن عباس.

(١) الأمالي، المفيد ٧٢.

(٢) تاريخ الخميس ٢ / ٢٧١، والإمامة والسياسة ١ / ٣٢، السيرة الحلبية ٢ / ٧٨، شرح نهج

البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٣٨، الأنساب للبلاذري ٥ / ٤٨.

وكان عمار يقول: ثلاثة يشهدون على عثمان بالكفر، وأنا الرابع، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»^(١).

وقيل لزيد بن أرقم: بأي شيء كفرتم عثمان؟

فقال: بثلاث: جعل المال دولة بين الأغنياء، وجعل المهاجرين من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وآله بمنزلة من حارب الله ورسوله، وعمل بغير كتاب الله^(٢).

وكان حذيفة يقول: ما في عثمان بحمد الله أشك، لكنني أشك في قاتله:.

لا أدري، أكان قتل كافرًا؟ أو مؤمن خلص إليه النية، حتى قتله أفضل المؤمنين إيمانًا^(٣).

أي لا يعرف حذيفة نية قاتل عثمان.

وكان النبي صلى الله عليه وآله يقول: «عمار جلدة ما بين العين والأنف»^(٤).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «ما لهم وعمار، يدعوه إلى الجنة، ومن أبغض عماراً أبغضه

الله»^(٥).

وقال النبي صلى الله عليه وآله: «من عادى عماراً عاداه الله، ومن أبغض عماراً أبغضه

الله»^(٦).

وأي ذنب صدر من عمار؟ وأي كلام غليظ وقع منه استوجب به هذا

الفعل^(٧).

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٣٩، وقال: قد روي من طرق مختلفة، وأسانيده كثيرة، والآية التي ذكرها هي في سورة المائدة ٤٤.

(٢) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٢٣٩.

(٣) رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١ / ٢٣٩.

(٤) سيرة ابن هشام ٢ / ١١٥، وشرح نهج البلاغة ١ / ٢٣٩.

(٥) العقد الفريد ٢ / ٢٨٩، شرح نهج البلاغة ١ / ٢٣٩.

(٦) أسد الغابة ٤ / ٤٤، والإصابة ٢ / ٥١٢ وفي هامشها الاستيعاب ٢ / ٤٧٩.

(٧) نهج الحق، الحلبي ٢٩٨.

قال ابن الجوزي: ان عماراً قال لابن أبي وقاص: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه^(١).

وذكر الواقدي: ان عماراً قال: خلعت عثمان كما خلعت عمامتي هذه^(٢) إني أريد أن تكون خلافة كما كانت على عهد النبي ﷺ فأما أن يعطي مروان خمس أفريقية ومعاوية على الشام والوليد بن عقبة شارب الخمر على الكوفة وابن عامر على البصرة والكافر بما أنزل على محمد ﷺ (ابن أبي سرح) على مصر فلا والله لا كان هذا أبداً حتى يبيع في خاصرته بالحق^(٣).

وذكر سعيد بن المسيب: لم يكن عمار ولا المقداد بن الأسود يصليان خلف عثمان ولا يسميانه أمير المؤمنين^(٤) وقال عمار بن ياسر في مسجد قباء: ألا إن نعتلاً هذا (عثمان) ووقع في عثمان بن عفان^(٥).

علاقة عمار - عثمان

عمار بن ياسر من المسلمين الأوائل الذين أسلموا قبل أبي بكر وعمر وعثمان إذ أسلم هؤلاء قبل الهجرة إلى المدينة سنة ونصف. وضحت عائلته في طريق الإسلام أعظم تضحية أثبتت فيها إخلاصها وبقينها بالإسلام ودفاعها عن المبادئ الأصلية للتوحيد.

إذ قتل كفرة مكة أباه وأمه، وكانت أمه سمية أول شهيدة في الإسلام وأول خالدة في طريق الشهادة. وهي سمية بنت سالم بن يحيى، وعمار يكنى أبا

(١) المنتظم ٥ / ٥٠، تاريخ ابن عساكر ١٥ / ١٨٤.

(٢) المنتظم، ابن الجوزي ٥ / ٥٠٠ / ٥٣، تقريب المعارف ٢٧٤.

(٣) تقريب المعارف ٢٧٤.

(٤) تقريب المعارف ٢٧٨، البحار ٣١ / ٢٨٥.

(٥) الطبقات، ابن سعد ٣ / ٢٦٠.

اليقظان^(١).

وقد تعرضت عائلة عمار المؤلفة من عمار وياسر وسمية لعذاب لم تتعرض له عائلة مسلمة في مكة.

فأصبح كفار مكة منذ ذلك اليوم اعداءً لعمار بن ياسر متهمين له بشتى التهم الباطلة. وكان عمار أول من بنى مسجداً^(٢).

وبعد وصول المسلمين إلى المدينة انكشفت سوء العلاقة بين عمار وعثمان أثناء بناء المسجد النبوي فوقف رسول الله ﷺ إلى جانب عمار متهماً عثمان بالظلم له.

واستمر عثمان في ذلك النهج القرشي فلما أصبح خليفة للمسلمين عادى عماراً وأبأذر والمقداد وابن مسعود وغيره من المؤمنين وحصر نفسه في مجموعة طلقاء مكة (معاوية وأبو سفيان والحكم بن أبي العاص وابن أبي سرح ومروان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة) الكفرة المعادين للإسلام، فجعلهم ولايةً وحكاماً على الناس!

وخالف شريعة محمد ﷺ واحرق القرآن وأظهر بغضه لأهل البيت ﷺ. وقد سار عثمان بن عفان على خطى من أوصى إليه، مخالفاً النبي محمداً ﷺ، ثم أضاف إلى ما فعله وأسس عمر قيامه بتوزيع الأموال على بني أمية بشكل خاص، تسبب في استقالة أمناء بيت المال من أمثال زيد بن أرقم وعبد الله بن مسعود. فامناء بيت المال واقفوا على وظيفتهم لحفظ أمانة المسلمين، وقطع يد اللصوص عن بيت المال.

وأعطى عثمان بن عفان خمس أفريقية لعبد الله بن أبي سرح، الذي حكم عليه الرسول ﷺ في يوم فتح مكة بالقتل، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة^(٣). وأعطى

(١) تاريخ دمشق ٤٣ / ٣٥٩.

(٢) الروض الأنف ٤ / ٢٣٦ طبعة دار إحياء التراث.

(٣) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٩١.

فدكاً لمروان^(١). وأدّت حركة عثمان المالية هذه الى الثورة الشعبية العارمة ضدّه، والمنسبّة في قتله.

ولمّا جاء معاوية الى الحكم وسّع في نظرية عمر في العطاء، فأنتسح الاختلاف الطبقي.. فعثمان فتح بيت مال المسلمين لأفراد بني أميّة وآخريين من غيرهم. أمّا معاوية فأحدث في هذا الشأن ما لا يصدّقه المسلمون؛ إذ أعطى الأموال الطائلة لبني أميّة، ولمن أحبّ من أفراد حزبه، واشترى ضمائر الناس، وأسرف وأترف في أموال المسلمين.

وبذل معاوية خزائن عظمى من الأموال لمن زوّر الأحاديث، واختلق سيرة مرضية له فسائر رجال السلطة معاوية في فتاواه، فأخرف الدين وطمست الشريعة وضاع الحق وبرز الباطل.

وقد استفحلت حالة تفضيل الناس لعلو شأنهم واشتدّت خطورتها. بعد زمن عمر، فتدهورت الأمور لاحقاً في زمن عثمان ومعاوية وفي زماننا، فذهبت المساواة وحلّت محلّها المحاباة والتفضيل للقرابة والصداقة والحزبية، وهذه الأمور قد نفّرت جهلة الناس من الإسلام في حين جاء الإسلام بالمساواة.

وقال الإمام علي عليه السلام في الفرق بين عثمان وبين سابقيه: وأمّا التسوية بينك وبينها فلست كأحدهما، إنها ولياً هذا الامر فظلاً (كثاً) أنفسها وأهلها عنه، وعمّت فيه وقومك عوم السايح في اللجّة، فأرجع الى الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عمرك الاكظيم الحمار^(٢).

وروى أبو مخنف والواقدي أنّ الناس أنكروا على عثمان اعطاء سعيد بن العاص مائة ألف، وكلمه الامام علي عليه السلام والزبير وطلحة وسعد وعبد الرحمن في ذلك فقال: إنّ له قرابةً ورجماً.

(١) المعارف، ابن قتيبة ١٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ / ٩.

قالوا: أفنا كان لأبي بكر وعمر قرابة وذوو رحم؟ فقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يحتسبان في منع قرابتهما، وأنا احتسبُ في إعطاء قرابتي.

قالوا: فهديهما والله أحبُّ إلينا من هديك^(١).

فقال الامام علي عليه السلام: كل قطيعة اقطعها عثمان، وكل مال اعطاه من مال الله فهو مردود في بيت المال^(٢).

مواقف عثمان ضد عمار

وكان عمار أحد من ظاهر المتظلمين من أهل الأمصار على قتله، وكان يقول: قتلناه كافراً.

وسبب قتله أن كان في بيت المال بالمدينة سفظ فيه حلّى وجواهر، فأخذ منه عثمان ما حلّى به أهله، فأظهر الناس الطعن عليه في ذلك، وكلموه بالردى، حتّى أغضبوه.

فقال: لتأخذنّ حاجتنا من هذا الشيء، وإن رغمت أنوف أقوام.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «إذن تُمنع من ذلك، ويُحال بينك وبينه».

فقال عمار: «أشهد الله: أن أنفي أول راغم من ذلك».

فقال عثمان: أعليّ يا ابن سمية تجترىء، خذوه، ودخل عثمان فدعا به، وضربه حتى غشي عليه، ثم أخرج، فحمل حتى أدخل بيت أم سلمة، فلم يصل الظهر، والعصر، والمغرب، فلما أفاق توضعاً وصلّى.

(١) شرح النهج ٣ / ٣٥.

(٢) شرح النهج ١ / ٢٢٠.

معرفة عمار بخبر مقتله

أخرج ابن عساكر عن أم عمار حاضنة عمار قالت: إشتكى عمار فقال: لا أموت في مرضي هذا، حدثني حبيبي رسول الله ﷺ أني لا أموت إلا قتيلاً بين فئتين مؤمنتين^(١). وقد تقدّم في رغبة الصحابة في القتل في سبيل الله قول عمار: عهد إليّ رسول الله ﷺ أن آخر زادك من الدنيا ضياح^(٢) من لبن، ومجيئه إلى علي يوم صفين حين كان يقاتل فلا يقتل، وقوله: يا أمير المؤمنين، يوم كذا وكذا قال ذلك ثلاث مرات، ثم أتني بلبن فشربه، ثم قال: إن رسول الله ﷺ قال إن هذا آخر شربة أشربها من الدنيا، ثم قام فقاتل حتى قُتل.

وأخرج أبو يعلى وابن عساكر عن خالد بن الوليد عن ابنة هشام بن الوليد بن المغيرة وكانت تمرّض عماراً قالت: جاء معاوية إلى عمار يعوده، فلما خرج من عنده قال: اللهم لا تجعل منيته بأيدينا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «تقتل عماراً الفئحة الباغية»^(٣).

كان أبوذر الغفاري مخلصاً للإمام علي عليه السلام

جندب بن جنادة الغفاري أسلم والنبي ﷺ بمكة أول الإسلام فكان رابع أربعة أو خامس خمسة، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام ولما أسلم رجع إلى بلاد قومه، وبايع رسول الله ﷺ على أن لا تأخذه في الله لومة لائم وعلى أن يقول الحق وإن كان مرّاً^(٤).

وقال رسول الله ﷺ: أبوذر يمشي على الأرض في زهد عيسى بن مريم^(١). ومن أعمال أبي ذر الجهادية انه كان يسد طريق مكة إلا لمن أسلم^(٢). ومدح رسول الله ﷺ أباذر الغفاري قائلاً:

ما اظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء أصدق لهجة من أبي ذر^(٣).

وكانت علاقة أبي ذر باليهود واحبارهم مثل كعب الاحبار سيئة فقد روي أن عثمان قال يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟ فقال كعب الاحبار: لا بأس بذلك.

فقال أبوذر: يا ابن اليهودية، اتعلمنا ديننا؟

فقال عثمان: قد كثر أذاك لي وتولعك بأصحابي، إلق بالشام، فأخرجه إليها^(٤).

المدهش ان أصحاب رسول الله ﷺ مثل أبي ذر قد حاربهم عثمان وأصبح أحبار اليهود وأعداء الإسلام أصحابه ورفاقه المقربين ولم يكتف عثمان بقطع عطاء أبي ذر ومعاقبته بالجوع والفاقة بل نفاه إلى بلاد الشام حيث معاوية بن أبي سفيان. فاصبح الطليق معاوية بن هند حاكماً على أبي ذر الغفاري! ومؤذياً له.

وكان أبو ذر قد أظهر عيب عثمان وفراقه للدين، واغلظ له حتى شتمه على رؤوس الناس وبرأ منه، فسيره عثمان إلى الشام^(٥).

فكان أبوذر ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية بثلاثمائة دينار، فردها عليه.

(١) أسد الغابة ٢ / ٣٥٧.

(٢) البدء والتاريخ ٢ / ١٥٨.

(٣) البداية والنهاية ٧ / ١٨٤، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٠١.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٦٢، مروج الذهب ٢ / ٢٤٠، شرح النهج ١ / ٢٤٠، ٢ / ٣٥٦.

نهج الحق، العلامة الحلبي ٢٩٨.

(٥) المعارف ٢٦٥.

(١) المنتخب ٥ / ٢٤٧.

(٢) الضباح: اللبن الخائر يصب فيه الماء ثم يخلط.

(٣) منتخب الكنز ٥ / ٢٤٧، حياة الصحابة، الكاندهلوي ٤٦٣.

(٤) أسد الغابة ٢ / ٣٥٧.

وكان أبوذر يقول: «والله حدثت أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنة نبيه، والله إني لأرى حقاً يُطْفَى، وباطلاً يُجِى، وصادقاً مكذباً، وأثرةً بغير تقي، وصالحاً مستأثراً عليه»^(١).

فقال حبيب بن مسلمة الفهري لمعاوية: إن أباذر لَكُفْسِدَ عليكم الشام، فتدارك أهله، إن كان لك فيه حاجة، فكتب معاوية إلى عثمان فيه، فكتب عثمان إلى معاوية: «أما بعد، فأحمل جندباً إلى على أغلظ مركب وأوعره»، فوجهه مع من سار به ليلاً ونهاراً، وحمله على بعير ليس عليه إلا قَتَب، حتى قدم المدينة، وقد سقط لحم فخذه من الجهد، فبعث إليه عثمان، وقال له: الحق بأبي شئت.

فقال أبوذر: بمكة؟ قال: لا، قال: بيت المقدس؟ قال: لا، قال: بأحد المصرين؟ قال: لا. ولكن سر إلى ربيعة، فلم يزل بها حتى مات.

جهاد أبي ذر في الشام

وفي الشام قام معاوية خطيباً فقال: أيها الناس إنما أنا خازن، فمن اعطيته فآله يعطيه، ومن حرّمته فآله يحرمه، فقام إليه أبوذر فقال:

كذبت والله يا معاوية إنك لتعطي من حرّم الله وتمنع من أعطى الله^(٢).

وقال أبوذر لمعاوية: أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنَّ أحدنا فرعون هذه الأمة!^(٣). يقصد معاوية.

وقال ابن الأثير المحبّ للأمويين والمدافع عن الباطل: وفي السنة يعني سنة

(١) وقال ابن أبي الحديد: واعلم، أن الذي عليه أكثر أرباب السيرة، وعلماء الأخبار والنقل: أن عثمان نفى أبا ذرٍّ أولاً إلى الشام، ثم استقدمه إلى المدينة لما شكاه منه معاوية، ثم نفاه من المدينة إلى الربيعة.

تاريخ يعقوبي ١٦٦ / ٢، وشرح النهج ١ / ٢٤٠.

(٢) تقريب المذاهب ٢٦٦.

(٣) المصدر السابق.

٣٠ هجرية كان ما ذكر في أمر أبي ذر وإشخاص معاوية إياه من الشام إلى المدينة وقد ذكر في سبب ذلك أموراً كثيرة من سب معاوية إياه وتهديده بالقتل وحمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء، ونفيه من المدينة على الوجه الشنيع لا يصح النقل به، ولو صح لكان ينبغي أن يتعذر عن عثمان فإن للإمام أن يؤدب رعيته وغير ذلك من الاعذار لا أن يجعل ذلك سبباً للطعن عليه كرهت ذكرها^(١).

وظلم هذا المؤرخ الناس إذ امتنع ابن الأثير عن ذكر رسالة معاوية بن أبي سفيان إلى محمد بن أبي بكر لخطورتها واحتوائها على اعترافات حقيقية معتذراً بعدم تحمل الناس قراءتها! فهل يصدق هذا وعمل المؤرخ المنصف؟! وقال معاوية لأبي ذر: لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمد من غير إذن أمير المؤمنين عثمان لقتلتك^(٢).

وقال عبد الملك عن عمه أبي ذر: كتب معاوية إلى عثمان: أن أباذر قد حرّف قلوب أهل الشام، وبغضك إليهم، فما يستفتون غيره، ولا بينهم إلا هو فكتب عثمان إلى معاوية: أن أحمل أباذر على ناب صعبة وقتب، ثم أبعث معه من يخشن به خشنأً عنيفاً^(٣)، حتى يقدم به عليّ.

قال: فحمله معاوية على ناقة صعبة، عليها قتب، ما على القتب إلا مسح، ثم بعث معه من يسيره سيراً عنيفاً، وخرجت معه، فما لبث الشيخ إلا قليلاً حتى سقط ما يلي القتب من لحم فخذه وقرح، فكنث إذا كان الليل أخذت ملائي فالتقيتها تحته، فإذا كان السحر نزعتهما، مخافة أن يروني فيمنعوني من ذلك، حتى قدمنا المدينة، وبلغنا عثمان ما لني أبوذر من الوجع والجهد، فحجبه جمعة وجمعة، حتى مضت عشرون ليلة أو نحوها، وأفاق أبوذر، ثم أرسل إليه وهو معتمد على يدي،

(١) الكامل في التاريخ ٤٣ / ٣، حوادث سنة ٣٠ هجرية.

(٢) شرح النهج ٢ / ٣١٦ طبع الحلبي - مصر.

(٣) في البحار: «من ينجش به نجشاً عنيفاً».

فدخلنا عليه وهو متكئ، فاستوى قاعداً، فلما دنا أبوذر منه قال عثمان شعراً:

لا أنعم الله بعمرو عينا تحية السخط إذا التقينا
فقال له أبوذر: لم^(١)، فوالله ما سماني الله عمرواً، ولا سماني أبوأي عمرواً،
وإني على العهد الذي فارقتُ عليه رسول الله ﷺ، ما غيرتُ ولا بدلتُ.

فقال له عثمان: كذبت، لقد كذبت على نبيتنا وطعننا في ديننا وفارقت رأينا
وضغنت قلوب المسلمين علينا، ثم قال لبعض غلمانه: ادع لي قريشاً، فانطلق
رسوله، فما لبثنا أن امتلأ البيت من رجال قريش، فقال لهم عثمان: إنا أرسلنا إليكم
في هذا الشيخ الكذاب الذي كذب على نبيتنا وطعن في ديننا وضغن قلوب المسلمين
علينا، وإني قد رأيت أن أقتله أو أصلبه أو أنفيه من الأرض.

فقال بعضهم: رأينا لرأيك تبع، وقال بعضهم: لا تفعل فإنه صاحب رسول
الله ﷺ وله حق، فما منهم أحد أذى الذي عليه، فبينما هم كذلك إذ جاء علي بن أبي
طالب عليه السلام يتوكأ على عصاً سرّاً^(٢)، فسلم عليه ونظر ولم يجد مقعداً، فاعتمد على
عصاه، فما أدري أتخلف عمداً^(٣) أم يظن به غير ذلك، ثم قال علي عليه السلام: فيما أرسلتم
إلينا؟

قال عثمان: أرسلنا إليكم في أمرٍ قد فرق لنا فيه الرأي، فاجمع رأينا ورأي
المسلمين فيه على أمر.

قال أبوذر لعثمان: والله ما وجدت لي عذراً إلا الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر.

فغضب عثمان وقال: اشيروا علي في هذا الشيخ الكذاب إما ان اضربه
واحبسه، أو اقتله، أو أنفيه من أرض الإسلام.

(١) في البحار: «ولم».

(٢) في البحار: «ستر».

(٣) في البحار: «عهداً».

فتكلم علي عليه السلام وكان^(١) حاضراً فقال: أشير عليك بما قال مؤمن آل
فرعون: ﴿إِنْ يَكْ كَاذِبًا فَقَلْبِيهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَغْضُ الَّذِي يَبْغِدُكُمْ﴾
الآية^(٢).

فقال عثمان: بفيك التراب.

فقال علي بن أبي طالب عليه السلام: بل بفيك التراب، ويحك يا عثمان تصنع هذا بأبي
ذر صاحب رسول الله ﷺ أن كتب إليك فيه معاوية، وهو من عرفت زهقه وظلمه،
وتفرقوا، فجعل أبوذر لا يخرج من بيته، وجعل اصحاب النبي ﷺ يأتونه، وكان
عمار بن ياسر رضي الله عنها ألزمهم له، فكث أياماً، ثم أرسل عثمان إلى أبي ذر
فأتي به قد أسرع به، فلما وقف بين يديه قال: ويحك يا عثمان أما رأيت رسول
الله ﷺ ورأيت أبا بكر ورأيت عمر، هل رأيت هذا هديهم، إنك لتبسط بي^(٣)
بطش جبار.

فقال: أخرج عتاً من بلادنا.

فقال أبوذر: ما^(٤) أبغض إلي جوارك، فإلى أين أخرج؟

قال: حيث شئت.

قال: أفأخرج إلى الشام أرض الجهاد؟

قال: إنما جلبتك من الشام لما قد أفسدتها، فأردك إليها؟!

قال: أفأخرج^(٥) إلى العراق؟

قال: لا.

(١) في النسخة: «فكان»، والمثبت من البحار.

(٢) غافر ٢٨، وفي البحار بدل لفظ «الآية» جاء: «إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب».

(٣) في البحار: «هذا هديهم إنك لتبسط في».

(٤) في البحار: «فما».

(٥) في البحار: «فقال».

(٦) في البحار: «إذن أخرج».

قال: ولم؟

قال: تقدم على قوم هم أهل شبهة وطعن على الأئمة.

قال: فأخرج إلى مصر؟

قال: لا.

قال: أين أخرج؟

قال: إلى حيث (١) شئت، قال أبوذر: هو إذا التَّعَرَّبَ بعد الهجرة، أخرج إلى

نجدي، فقال (٢) عثمان: الشرف الشرف الأبد أقصى فأقصى (٣)، قال أبوذر: قد آبيت

ذلك عليّ، قال: امض على وجهك هذا ولا تعدّون الربذة، فخرج أبوذر إلى

(صحراء) الربذة، فلم يزل بها حتى مات (٤).

واعترف معاوية بن أبي سفيان بسوء سيرة عثمان بن عفان وفشلها عند

نصيحته ابنه يزيد بالابتعاد عن تلك السيرة المنحرفة قائلاً: «يا بني افسير فهمم

بسيرة ابن عمك عثمان بن عفان الذي أكلها في حياته، وورثها بعد مماته، واستعمل

اقاربه!» (٥).

ولفظ الشيعة على عهد رسول الله ﷺ كان لقب أربعة من الصحابة سلمان

الفارسي وأبي ذر الغفاري والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر (٦).

وقد اشتدت العداوة بين أبي ذر وبين عثمان وأفراد حكومته بعد مطالبة أبي ذر

بالاصلاح السياسي والعدالة الاجتماعية.

وعرف الناس بخطب أبي ذر ومطالباته العادلة فنصره في ذلك. ورد عليه

(١) في البحار: «قال فإلى أين أخرج؟ قال: حيث».

(٢) في النسخة: «قال، والمثبت من البحار».

(٣) في النسخة: «الشرف الأبعد أقصى فأقصى»، والمثبت من البحار.

(٤) تقريب المعارف ٢٧٢.

(٥) مقتل الحسين، الخوارزمي ٢٥٥ طبعة دار أنوار الهدى - قم.

(٦) كشف الظنون ٣.

عثمان يجبس عطائه (١).

وقال عثمان لأبي ذر: أما إنك الزاعم أنك خير من أبي بكر وعمر!

قال: ما قلت...

قال: فكيف إذا قلت؟

قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن أحبكم إليّ وأقربكم مني الذي يلحق

بي على العهد الذي عاهدته عليه، وكلكم قد أصاب من الدنيا، وأنا على ما عاهدته

عليه، وعلى الله تمام النعمة (٢).

ومن أعمال أبي ذر الاصلاحية في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

غزا يزيد بن أبي سفيان بالناس، ف وقعت جارية نفيسة في سهم رجل،

فاغتصبها يزيد، فأتاه أبوذر، فقال: رُدَّ على الرجل جاريته، فتلكأ، فقال: لئن

فعلت ذلك، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: أولُ من يُبدلُ سنتي رجل من بني أمية

يقال له يزيد. فقال: نشدتك الله أنا منهم؟

قال: لا، فردَّ على الرجل جاريته (٣).

قول النبي ﷺ في عثمان

وروى الثقفى في تاريخه عن ابن عباس قائلاً: استأذن أبوذر على عثمان فأبى

ان يأذن له، فقال لي: استأذن لي عليه، قال ابن عباس: فرجعت إلى عثمان

فاستأذنت له عليه، فقال: إنه يؤذيني، قلت: عسى أن لا يفعل، فأذن له من أجلي،

فلما دخل عليه قال له:

اتق الله يا عثمان، فجعل يقول اتق الله وعثمان يتوعده، قال أبوذر: إنّه قد

(١) تاريخ الخميس ٢ / ٢٦٧، السيرة الحلبية ٢ / ٨٧.

(٢) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢ / ٦٩.

(٣) سير أعلام النبلاء، الذهبي ١ / ٣٣٠، وأخرجه الرويانى في مسنده.

حدثني نبي الله ﷺ أنه يجاء بك وباصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم فتمر عليكم البهائم فتطوكم كلما مرّت آخرها رُدّت أولها حتى يفصل بين الناس^(١).
وقال العذرمي (العزرمي) قال رسول الله ﷺ: ترفعون حتى إذا كنتم مع الثريا ضرب بكم على وجوهكم فتطأكم البهائم^(٢).

وقال الثقيفي في تاريخه: أنّ أباذر لما رأى أنّ عثمان قد أمر بتحريق المصاحف قال أبو ذرّ: يا عثمان لا تكن أول من حرّق كتاب الله فيكون دمك أول دم يهراق^(٣).
وفي رواية ان أباذر قال لعثمان: اتق الله وذكر مساوئه فسكت عثمان حتى إذا انصرف قال: من يعذري من هذا الذي لا يدع مساءة إلا ذكرها، فسكت القوم فلم يجيبوه، فإرسل إلى علي عليه السلام، فجاء فقام في مقام أبي ذر فقال: يا أبا الحسن أما ترى أباذر لا يدع مساءة إلا ذكرها.

فقال يا عثمان: إنّي انهارت عن أبي ذر، يا عثمان انهارت عن أبي ذر ثلاث مرات، أتركه كما قال الله تعالى المؤمن آل فرعون^(٤).

﴿إِنَّ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنَّ يَكْ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾^(٥).

قال له عثمان: بفيك التراب.

قال له علي عليه السلام: بل بفيك التراب^(٦).

فجعل علي عليه السلام عثمان بمنزلة فرعون وجعل أبا ذرّ في منزلة مؤمن آل فرعون.

(١) تقريب المعارف ٢٦٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كما قال مؤمن آل فرعون لفرعون!

(٥) غافر ٢٨.

(٦) تقريب المذاهب ٢٦٤.

قول النبي ﷺ في أبي ذرّ

وقال الذهبي: سبّ أبوذر إلى الربذة وصلى عليه عبد الله بن مسعود قائلاً: صدق رسول الله ﷺ القائل: يرحم الله أباذر يمشي وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده.

وقال عليه السلام: من سرّه أن ينظر إلى تواضع عيسى بن مريم فلينظر إلى أبي ذر^(١).
وقال رسول الله ﷺ لأبي ذر: كيف أنت إذا أخرجوك منه (مسجد النبي ﷺ).

قال: ألحق بالشام، فإن الشام أرض الهجرة، وأرض المحشر، وأرض الانبياء، فأكون رجلاً من أهلها. قال عليه السلام له: كيف أنت إذا أخرجوك من الشام؟ قال: أرجع إليه (مسجد النبي ﷺ).

فيكون بيتي ومنزلي. قال عليه السلام: فكيف أنت إذا أخرجوك منه ثانية؟

قال: آخذ سيفي فاقتل حتى أموت.

قال عليه السلام: أدلك على خير من ذلك.

قال: بلى، بأبي وأمي يا رسول الله. قال عليه السلام: تنقاد لهم حيث قادوك حتى تلقاني وأنت على ذلك^(٢).

وجاء في تاريخ دمشق: تناجى أبوذر وعثمان حتى ارتفعت اصواتهما... وأمره عثمان أن يخرج إلى الربذة.

وبلغت السطوة الأموية حداً، لم يمكن معه سماع صوت معارض لها، فأخرج مهاناً من مدينة الرسول ﷺ وفي سفرة متعبة إلى صحراء الربذة فأت هناك، وغضب عثمان على ابن مسعود لدفنه أباذر!^(٣)

(١) سير أعلام النبلاء ٥٧ / ٢.

(٢) سير أعلام النبلاء ٥٧ / ٢ - ٦٠، مسند أحمد ٤٥٧ / ٦.

(٣) تاريخ أبي زرع ١١١، أسد الغابة ١ / ٣٥٩، تاريخ دمشق، ترجمة أبي ذرّ، تاريخ أبي

الفداء ١ / ٣٣٣.

وقد عارض العلماء والمؤرخون نبي عثمان لأبي ذر أثر مطالباته الحقة في فرض العدالة والاصلاح السياسي والاجتماعي راوين عملية نفيه إلى الربذة ومقتله هناك^(١).

ولما جاء عثمان خبر وفاته قال: رحمه الله.

فقال: عمار بن ياسر: نعم فرحمه الله من كل أنفسنا.

فقال له عثمان: يا عاصم أير أبيه، أتراني ندمت على تسييره؟ وأمر فدفن في قفاه، وقال: الحق بمكانه، ثم كلمه الناس فتركه^(٢).

ولقد مات أبوذر غربياً طريداً دون كفن فبكت امرأته فقال: ما يبكيك؟

قالت: أبكي أنه لا بد من تغييبك وليس عندي ثوب يسعك كفناً.

قال: لا تبكي. فإني سمعت رسول الله ﷺ ذات يوم، وأنا عنده في نفر يقول:

ليموتن رجل منكم بفلاة تشهده عصابة من المؤمنين فكلهم مات في جماعة وقرية، فلم يبق ما كذبت، ولا كذبت.

قالت: وأنى ذلك وقد انقطع الحاج؟

فبينما هم كذلك إذ هي بالقوم كأنهم الرخم، فاقبلوا حتى وقفوا عليها. قالوا:

مالك؟

قالت: رجل من المسلمين تكفونونه، وتوجرون فيه،...

قالوا: ومن هو؟

قالت: أبوذر.

فقدوه بأبائهم وأمهاتهم وفي القوم عبد الله بن مسعود وحجر بن الأديب ومالك الأشتر^(١).

وبسبب ذلك غضب هؤلاء على عثمان وكفروه.

وقضية اغتيال عثمان لأبي ذر في صحراء الحجاز فاجعة مروعة، قال محمد بن إسحاق: لما نفي عثمان أبا ذر إلى الربذة، وأصابه بها قدره، لم يكن معه إلا امرأته وغلامه، فأوصاهما: أن اغسلاني وكفّناني وضعاني على قارعة الطريق، فأول ركب يمرّ بكم قولوا: هذا أبو ذر فأعينونا عليه.

فوضعاه وأقبل ابن مسعود في رهطٍ من العراق عمّاراً، فلم يرعهما إلا به، قد كادت الإبل أن تطأه فقام الغلام فقال: هذا أبوذر صاحب رسول الله ﷺ.

فاستهل عبد الله (بن مسعود) يبكي ويقول: صدق رسول الله ﷺ: تمشي وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك!^(٢).

وانتقمتم الدولة ممن وارى أباذر فيقال إن ابن مسعود الذي دفن أباذر عاش بعده نحواً من عشرة أيام^(٣).

وأخرج ابن سعد عن إبراهيم بن الأشتر عن أبيه أنه لما حضر أباذر عليه السلام عنه الموت بكت امرأته، فقال لها: ما يبكيك؟ قالت: أبكي لأنه لا يدان^(٤) لي بتغييبك، وليس لي ثوب يسعك، قال: فلا تبكي، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم: «ليموتن منكم رجل بفلاة من الأرض تشهده عصابة من المؤمنين» وليس من أولئك نفر رجل إلا قدم مات في قرية وجماعة من المسلمين، وأنا الذي أموت بفلاة،

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢/ ٧٦-٧٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢/ ٧٨، مسند أحمد ٥/ ١٦٦، المجموع، الهيثمي ٩/ ٣٣١، أسد الغابة ١/ ٣٥٨، الحلية، أبو نعيم ١/ ١٦٩، الاستيعاب ٢/ ١٧٢، ١٧٥.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢/ ٧٤.

(٤) لا يدان لي: لا طاقة لي.

(١) تاريخ أبي الفداء ١/ ٣٣٣، نهج الحق، الحلبي ٢٩٥، البحار ٣١/ ١٧٤، ٢٧٠، الطبقات، ابن سعد ٣/ ٢٣٥، حياة الصحابة، الكاندهلوي ٣/ ٤٦٣، ٤٦٤، سير أعلام النبلاء، الذهبي ٢/ ٥٧-٦٠، مسند أحمد ٦/ ٤٥٧، تاريخ ابن عساکر، ترجمة أبي ذر، تاريخ أبي رزعة: ١١١، أسد الغابة: ١/ ٣٥٩.

(٢) أنساب الأشراف ٥/ ٥٤.

والله ما كذبت ولا كذبت^(١)، فأبصري الطريق، فقالت: أتى وقد انقطع الحاج، وتقطعت الطرق؟! فكانت تشدُّ إلى كتيب^(٢) تقوم عليه تنظر ثم ترجع إليه فتمرّضه، ثم ترجع إلى الكتيب، فبينا هي كذلك إذا هي بنفر تحدُّ بهم رواحلهم كأنهم الرخم^(٣) على رحالهم، فألاحت بثوبها فأقبلوا حتى وقفوا عليها وقالوا: مالك؟ قالت: أمرو من المسلمين يموت تكفّنونه؟

قالوا: ومن هو؟

قالت: أبوذر، ففدوه بأباثهم وأمهاتهم، ووضعوا السياط في نحورها^(٤) يستبقون إليه حتى جاؤوه، فقال أبوذر: أبشروا، فحدثهم الحديث الذي قاله رسول الله ﷺ:

إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يموت بين إمرأين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيحتسبان ويصبران فيريان النار» أنتم تسمعون، لو كان لي ثوب يسعني كفناً لم أكفن إلا في ثوب هو لي، أو لإمرأتي ثوب يسعني لم أكفن إلا في ثوبها، فأنشدكم الله والإسلام أن لا يكفني رجل منكم كان أميراً، أو عريفاً^(٥)، أو نقيباً^(٦)، أو بريداً، فكل القوم قد كان قارف^(٧) بعض ذلك إلا فتى من الانصار قال: أنا أكفئك فأني لم اصب مما ذكرت شيئاً أكفئك في ردائي هذا الذي علي وفي ثوبين في عييتي من غزل أمني حاكتها لي، قال أبوذر: أنت فكفني. قال: فكفنه الانصاري في السفر

(١) ولا كذبت: لم يكذبني النبي ﷺ.

(٢) الكتيب: تال من رمل (وجمعه كتيبان).

(٣) الرخم: نوع من الطير موصوف بالغدر والقدر.

(٤) أي نحور رواحلهم.

(٥) العريف: هو القيم بأمر القبيلة أو الجماعة من الناس يلي أمورهم، ويتعرف الأمير منه أحوالهم.

(٦) النقيب: هو كالعريف على القوم المقدم عليهم الذي يتعرف أخبارهم وينقب عن أحوالهم أي يفتش.

(٧) قارف: دانه ولاصفه.

الذين شهدوه، منهم حجر بن الادبر ومالك الاشر في نفر كلهم يمان^(١).
و ضرب عثمان عبد الله بن مسعود على دفنه أبي ذر أربعين سوطاً وقد قال أبوذر لامرأته و غلامه:

أن غسّلاني، وكفّناي، ثم ضعاني على قارعه الطريق، فاول ركب يرون بكم قولوا: هذا أبوذر، صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، فلما مات فعلوا ذلك، وأقبل ابن مسعود في ركب من العراق معتمرين، فلم يرعهم إلا الجنازة على قارعة الطريق، وقد كادت الايل أن تطأها، فقام إليهم العبد، فقال: هذا أبوذر صاحب رسول الله ﷺ، فأعينونا على دفنه، فقال ابن مسعود: صدق رسول الله ﷺ، قال له: «تعيش وحدك، وتموت وحدك، وتبعث وحدك»، ثم نزل هو وأصحابه وواروه^(٢).

لذا قال الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لأبي ذر عند نفيه من المدينة إلى صحراء الربذة:

يا أباذر انك غضبت لله، ان القوم خافوك على دنياهم وخفتهم على دينك فامتحنوك بالقلبي ونفوك إلى الفلا والله لو كانت السموات والأرض على عبد رتقا ثم اتقى الله لجعل له منها مخرجاً يا أباذر لا يؤنسك إلا الحق ولا يوحشك إلا الباطل ثم قال لاصحابه: ودعوا عنكم^(٣).

(١) المنتخب ٥ / ١٥٧، حياة الصحابة، الكاندهلوي ٣ / ٤٦٤، الطبقات، ابن سعد ٤ / ٢٣٣.

(٢) قال في شرح النهج ١ / ٢٣٧: وقد روى محمد بن إسحاق، عن محمد بن كعب القرظي:

أن عثمان ضرب ابن مسعود أربعين سوطاً لدفنه أبا ذر... وراجع أيضاً: أسد الغابة ٥ / ١٨٧ و

١٨٩، والإصابة ٤ / ٦٤، وفي هامشها الاستيعاب ١ / ٢١٤، نهج الحق ٢٩٦.

(٣) السقيفة وفدك، الجوهري ٧٨.

العلاقة السيئة بين المقداد - عثمان

ومن أدلة سوء العلاقة بين عثمان والمقداد ما ذكره سعيد بن المسيب من أن المقداد لم يكن يصلي مع عثمان ولا يسميه أمير المؤمنين (١).
وقالت كريمة بنت المقداد: كان أبي ينصح لعثمان فيأبى إلا تقريب مروان وسعيد بن العاص وعبد الله بن عامر (٢).

وساءت علاقة المقداد بن الأسود الكندي مع عثمان بن عفان بعد أن قال المقداد: يا معشر المسلمين ان وليتموها أحداً من القوم فلا تولوها من لم يحضر بداراً وانهمز يوم أحد ولم يحضر بيعة الرضوان (أي عثمان) وولى الدبر يوم التقى الجمعان فقال له عثمان: والله لئن وليتها لاردنك إلى ربك الأول (٣).
أي أقسم بقتله إن ولي السلطة ... فقتله .

وقال البلاذري: إن المقداد بن عمرو وعبار بن ياسر والزبير في عدّة من أصحاب رسول الله ﷺ كتبوا كتاباً عدّوا فيه أحداث عثمان وخوّفوه ربّه واعلموه انهم مواليه إن لم يقطع، فأخذ عمار الكتاب وآتاه به فقرأ صدرًا منه فقال له عثمان: اعليّ تقدم من بينهم (٤).

لذلك صمم عثمان على الانتقام منه شر انتقام وعلى رأس وسائل عثمان الاغتيال ولما كثرت النعمة الشعبية على عثمان كان المقداد من ضمن المعارضين لأفعاله في قتل المؤمنين واعطاء أموال المسلمين لبني أمية، ولم يكن يرغب في سماع أي مدح لعثمان.

جاء في سنن مسلم أنّ رجلاً مدح عثمان فحسّى المقداد الحصى في وجهه.

(١) البحار ٣١ / ٢٨٥ .

(٢) البحار ٣١ / ٣٠٠ .

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ١ / ٦٦، الجمل، المفيد ٦٠ .

(٤) أنساب الأشراف ٥ / ٤٩، شرح النهج ١ / ٢٣٩ .

فقال له عثمان: ما شأنك؟

فروى أنّ النبي ﷺ قال: إذا رأيتم المادحين فاحثوا في وجوههم التراب (١).
وفي رواية قال عبد الرحمن بن عوف (بعد مقتل عمر): صدق عمر، إن بايعت علياً، قلنا: سمعنا واطعنا! قال ابن أبي سرح إن أردت أن لا يختلف قريش فبايع عثمان، فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق، إن بايعت عثمان سمعنا واطعنا، فشمتم عمار عبد الله بن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح المسلمين (٢).

وقبل بيعة عثمان قال المقداد: إن بايعتم علياً سمعنا واطعنا وإن بايعتم عثمان سمعنا وعصينا (٣) أما والله لو أنّ لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي اياهم يوم بدر وأحد (٤).

ولما انتخب عبد الرحمن بن عوف عثمان بن عفان للخلافة قال المقداد يا عبد الرحمن أما والله لقد تركته (علياً عليه السلام) من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون.

فقال ابن عوف: يا مقداد والله اجتهدت للمسلمين.

قال المقداد: إن كنت أردت بذلك الله فاتابك الله ثواب المحسنين.

وقال المقداد: ما رأيت مثل ما أوتي إلى أهل هذا البيت بعد نبهم إني لاعجب من قريش انهم تركوا رجلاً ما أقول أنّ أحداً أعلم ولا اقضى منه بالعدل أما والله لو أجد عليه أعواناً.

فقال عبد الرحمن: يا مقداد اتق الله فإنني خائف عليك الفتنة (٥).

فكان المقداد يبحث عن ينصره في تأييده لعلي عليه السلام ومعارضته عثمان.

(١) الصراط المستقيم ٣ / ١٢ / ٣٤، البحار ٣١ / ٢٨٥ .

(٢) العقد الفريد ٤ / ٢٦٣، تاريخ الطبري، أحداث سنة ٢٤ هجرية .

(٣) شرح النهج .

(٤) أمالي المفيد ١٧٠ .

(٥) تاريخ الطبري ٢ / ٢٩٨، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٧١، العقد الفريد ٢٦٤ .

اغتيال المقداد بيد عثمان

وبعد وفاة عمر كان المقداد قد قال لأهل الشورى: ادخلوني معكم في الشورى.

قالوا: لا.

قال: فاجعلوني قريباً منكم فأبوا.

قال: فإذا أبيتم فلا تبايعوا رجلاً لم يشهد بدماء ولا بيعة الرضوان وانهمز يوم أحد.

فقال عثمان: لان وليت رددتكم إلى مولاك الأول.

فلما مات المقداد قام عثمان على قبره فقال: إن كنت وإن كنت واثني خيراً فقال الزبير شعراً:

لا أعرفك بعد الموت تسدني وفي حياتي ما زودتني زادي

فقال عثمان: تستقبلني بمثل هذا يا زبير.

فقال: ما كنت أحب أن يموت مثل هذا من أصحاب رسول الله ﷺ وهو عليك ساخط^(١).

وقال المقداد: أما والله لو أن لي على قريش أعواناً لقاتلتهم قتالي إياهم ببدر وأحد^(٢).

وفي زمن حكم عثمان لم يصل المقداد وعمار خلفه^(٣).

ولمّا عارض المقداد بن عمرو بيعة عثمان بن عفان توّعه عثمان بالقتل وفعلاً وفي عثمان بوّعه وقاتل المقداد^(٤).

(١) الدرجات الرفيعة، علي خان ٢٢٤.

(٢) كتاب الأربعين، القمي الشيرازي، البحار ٤٠٣/٣١.

(٣) تقريب المعارف ٢٧٨.

(٤) الكافي ٨/٣٣١، البحار ٢٢/٤٣٨، ٣١/٢٨٥، وراجع تاريخ الطبري ٥/٣٧، تاريخ ابن الأثير ٣/٢٩، شرح النهج ١/٦٥، مروج الذهب ١/٤٤٠.

وكان المقداد عارفاً بأفعال عثمان الشنيعة في اغتيال الصحابة وسرقة أموال المسلمين وتوقع مقتله بيد الخليفة لذا أوصى بعدم صلاة عثمان عليه^(١).

وقد يكون المقداد قد أوصى بذلك بعد اغتياله وقبل موته، وهو الملائم لهذه الوصية إذ لا يعقل توصيته بذلك بعيداً عن علامات الموت.

والملفت للنظر تهديد عثمان للمقداد وتنفيذه لما هدده به: إذ قال عثمان للمقداد بن عمرو: أما والله لتنتهين أو لاردنك إلى ربك الأول، فلما حضرت المقداد الوفاة قال لعمار: أبلغ عثمان عني إني قد رُددت إلى ربي الأول^(٢).

أي ان عثمان كان مصمماً على قتل المقداد ومعترفاً بذلك أمام الملأ العام من الناس فتيقن المقداد بمقتله بيد عثمان فلما أصيب إصابة الموت قال: ابلغ عثمان عني إني قد رددت إلى ربي الأول.

فيكون المقداد بن الكندي قد قُتِل في زمن عثمان الأموي شأنه شأن عبدالرحمن بن عوف بعد أن ساءت علاقتها به وكشفها عن فراره في معارك المسلمين وبعد تهديد عثمان لها.

وبينما قتل ابن عوف سنة اثنتين وثلاثين قتل المقداد سنة ثلاث وثلاثين^(٣).

وكان عثمان بن عفان من المتخصصين في عمليات الاغتيال يدعمه رجال بني أمية وعلى رأسهم وزيره مروان بن الحكم وواليه على الشام معاوية.

المهم ان المقداد تعرض لعملية قتل تسببت في موته شأنه في ذلك شأن باقي المعارضين لسُلطة عثمان فجاء في رواية:

ان غلامه الرومي قتله على أنه شق بطنه ليخرج الشحم منها ليلطف جسمه!

(١) تاريخ يعقوبي ٢/١٧١.

(٢) الكافي ٨/٣٣١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ١٣/٣٦١.

ثم هرب^(١).

فالحكومة صوّرت قضية اغتياله بعملية جراحية تجميلية لاجراء الشحم من بطن المقداد!

وتفَنّ الامويون في اعطاء الأموال للعبيد لقتل أسيادهم فقد فعلوها ايضاً مع غلام عمر بن عبد العزيز الذي اعترف باستلامه ألف دينار سنة ٨٥ هجرية مقابل قتل عمر بن عبد العزيز^(٢).

ودفع معاوية المال لمعدة بنت الاشعث لقتل زوجها الإمام الحسن عليه السلام^(٣). وكذب الأمويين ثانية للتستر على عملية الاغتيال المذكورة فقالوا: شرب المقداد بن الاسود دهن الخروع فمات!

ولما مات بكى عليه عثمان فقال الزبير بن العوام:

أريد حياته ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

لا ألفتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زوّدتني زادي .

وقُتِل سنة ثلاث وثلاثين هجرية في الجرف^(٤).

وردّ الزبير القوي على عثمان فيه معنى واضح للاعمال الظالمة التي ارتكبها عثمان بحق المقداد والمتمثلة في قطعه راتبه المالي وابعاده عن الحكومة ثم اغتياله .

(١) الاصابة ٣ / ٤٥٥ .

(٢) تاريخ البعقوبي ٢ / ٢٨٠ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب ٣ / ٢٠٣ ، الصراط المستقيم ٢ / ١٧٧ .

(٤) ١٣ / ٢٢٢ مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر والمثل من أمثال يضرب فيمن يضئح حق أخيه في حياته ، ثم يبكيه بعد موته ، كتاب الأمثال للقاسم بن سلام ١٨١ ، ١٨٢ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٣٨٩ ، تاريخ خليفة ١٦٨ ، ثقات ابن حبان ٣ / ٣٧١ ، صفة الصفوة ١ / ٢٢٣ ، طبقات ابن سعد ٣ / ١٦٣ .

الاغتيال الجماعي للصحابة بيد عثمان

قال خليفة عن سنة ٣٣ هجرية: وفيها ٣٣ هـ مات المقداد بن الاسود^(١) بأمر عثمان .

وهي السنة التي قتل فيها عثمان رموز الصحابة وهم أبوذر الغفاري .

وعبدالله بن مسعود . وأبي بن كعب .

وقُتِل فيها وصيّيه في الخلافة عبد الرحمن بن عوف .

وفتق فيها عثمان بطن عمار بن ياسر رغبة في قتله (إلا أن الله سبحانه انقذه من تلك المحاولة وأطال عمره إلى زمن معركة صفين حيث قُتِل فيها) فتكون سنة ٣٢

هجريّة سنة الاغتيال الجماعي لوجوه الصحابة لتخلوا الساحة لحكم بني أمية من بعد عثمان .

وأعاد معاوية بن أبي سفيان هذا العمل سنة ٥٨ هجرية قبل وفاته لتهيئة

الاجواء لحكم ابنه يزيد مثلاً فعل عثمان من قبل!

ومروان بن الحكم الذي عايش هذين العملين الخطيرين في سنتي ٣٢ و ٥٨

هجريّة من قبل عثمان ومعاوية فعلها هو ايضاً في سنة ٦٣ هجرية بنحو أضيق يوم

قتل معاوية بن يزيد بن معاوية والوليد بن عتبة بن أبي سفيان .

فالوليد بن عتبة بن أبي سفيان هو ثاني ولي عهد بعد عبد الرحمن بن عوف

يتعرض للاغتيال ، إذ صلّى على جنازة معاوية بن يزيد المقتول بيد مروان^(٢) على

أن يلي الحكم من بعده ، فدسّ مروان بن الحكم إليه من اغتاله في الصلاة فسقط ميتاً

وقد نجحت تلك المحاولات الثلاثة من قبل عثمان ومعاوية ومروان في وصول معاوية

وزيد ومروان إلى السلطة!

(١) تاريخ خليفة بن خياط ١٦٨ ، دول الإسلام ١٩ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٢٨ .

(٢) حياة الحيوان الكبرى ، الدميري ٨٩ / ٢ ، مروج الذهب ، المسعودي ٧٢ / ٣ - ٧٣ ، تاريخ

الخلفاء ، السيوطي ص ٢٤٦ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٦١ .

فحصلت قبيلة بني أمية بذلك على المرتبة الاولى في مرتبة القبائل السائرة على نهج الاغتيال للوصول إلى الرئاسة!
 وبالرغم من إيمان أبي بكر وعمر وعثمان و معاوية بنظرة الاغتيال إلا ان هذه النظرية تطورت وتوسعت من واحد إلى آخر فالذين قُتلوا غيلة في زمن أبي بكر وبيده أقل من الذين قُتلوا في زمن عمر .
 والذين قتلوا في زمن عمر أقل من الذين قُتلوا في زمن عثمان .
 والذين قتلوا في زمن عثمان أقل من الذين قتلوا في زمن معاوية .
 والذين قُتلوا في زمن يزيد أكثر من الذين قتلوا في زمن معاوية مع اختلاف في المنهج يتمثل في توجه يزيد إلى قتل أهل البيت عليه السلام والصحابة بصورة علنية؛ فعمل مذابح مروعة منها مذبحه كربلاء بحق الإمام الحسين بن علي عليه السلام وأهله وأصحابه ومذبحه الحرة بحق أهالي المدينة ومجزرة مكة .
 فعمليات الاغتيال القليلة في زمن أبي بكر تحولت إلى مذابح جماعية في زمن يزيد بن معاوية (١).

الباب الثالث:

حكومة الامام

(١) البحار ٣١ / ٢٨٥ ، كتاب الأربعين ، القمي الشيرازي ، البحار ٣١ / ٤٠٣ ، الإصابة ٣ / ٤٥٥ ، تاريخ خليفة بن خياط ١٦٨ ، دول الإسلام ١٩ ، تهذيب التهذيب ٨ / ٣٢٨ .

الفصل الاول : نظرية الامام السياسية

رفض البيعة السريّة ووجوب البيعة العلنية

وهي ثاني بيعة عامّة لعلي بن أبي طالب عليه السلام بعد بيعة الغدير . وكان علي بن أبي طالب عليه السلام قد رفض البيعة السريّة والمحدودة مرّتين : مرّة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله حين جاءه عمّه العباس (أثناء تغسيله النبي صلى الله عليه وآله) مطالباً ببيعته . ومرّة بعد مقتل عثمان بن عفّان يوم هجم الناس على بيته مبايعين له فقال : بيعتي عامّة وفي المسجد .

فبايعوه بيعة صحيحة وعامة وعلنية وحرّة لا اجبار فيها (١) . وهذه هي نظرية علي بن أبي طالب عليه السلام في رفض البيعة السريّة ، وتشيت البيعة الجاهريّة .

ووجوب البيعة العلنية من مبادئ الإمام علي عليه السلام وقد طبّقها سيّد الرسل محمّد صلى الله عليه وآله في المدينة وفي الحديبية . وفي فتح مكّة حيث بايعه الناس على القيادة ودفاعهم عن الإسلام وأهل البيت .

ثم كرّر النبي صلى الله عليه وآله هذه البيعة العلنية في الغدير لخليفته علي بن أبي طالب عليه السلام . إذن كانت بيعات الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله كلّها علنية أمام الملأ العام من الأمتة . ومبادئها علنية معروفة إذ قال سيّد البشرية في الغدير : اللهم هل بلغت .

(١) شرح النهج ، المعتزلي ٤ / ٨ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ٢٠٦ ، تاريخ يعقوبي ١٧٨ / ٢ ، تاريخ الطبري ٤٥١ / ٢ ، البداية والنهاية ٤ / ٣٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٦ .

الفصل الاول : نظرية الامام السياسية

رفض البيعة السرية ووجوب البيعة العلنية

وهي ثاني بيعة عامة لعلني بن أبي طالب عليه السلام بعد بيعة الغدير . وكان علي بن أبي طالب عليه السلام قد رفض البيعة السرية والمحدودة مرتين : مرة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين جاءه عمه العباس (أثناء تفسيله النبي صلى الله عليه وآله وسلم) مطالباً ببيعته . ومرة بعد مقتل عثمان بن عفان يوم هجم الناس على بيته مبايعين له فقال : بيعني عامة وفي المسجد .

فبايعوه بيعة صحيحة وعامة وعلنية وحررة لا اجبار فيها (١) . وهذه هي نظرية علي بن أبي طالب عليه السلام في رفض البيعة السرية ، وتثبيت البيعة الجماهيرية .

ووجوب البيعة العلنية من مبادئ الإمام علي عليه السلام وقد طبّقها سيّد الرسل محمد صلى الله عليه وآله وسلم في المدينة وفي الحديبية . وفي فتح مكة حيث بايعه الناس على القيادة ودفاعهم عن الإسلام وأهل البيت .

ثم كرّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم هذه البيعة العلنية في الغدير لخليفته علي بن أبي طالب عليه السلام . إذن كانت بيعات الناس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كلّها علنية أمام الملأ العام من الأمة . ومبادئها علنية معروفة إذ قال سيّد البشرية في الغدير : اللهم هل بلغت .

(١) شرح النهج ، المعتزلي ٤ / ٨ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ٢٠٦ ، تاريخ البقريني ١٧٨ / ٢ ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٥١ ، البداية والنهاية ٤ / ٣٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٦ .

قالوا: نعم^(١).

ولما قتل المسلمون عثمان أسرعوا إلى بيت الإمام علي عليه السلام لمبايعته فرفض ذلك وطالب بالبيعة العلنية في المسجد النبوي .

ولما اجتمع الناس من كل حذب وصوب في المسجد في اليوم الثاني وافق الإمام علي عليه السلام على بيعتهم له فبايعوه^(٢).

وهكذا أعاد أمير المؤمنين علي عليه السلام البيعة إلى قواعد الأصلية سنة ٣٥ هجرية بعدما حرّفها أبو بكر وعمر وعثمان عن قواعد النبوة من سنة ١١ ه إلى سنة ٣٥ هجرية .

البيعة السرية

ولم يمش رجال السقيفة على هذه النظرية العلنية الواضحة بل ساروا في السقيفة على النظرية السرية المقنونة التي سار عليها الناس في الجاهلية .

فبينما كان الإمام علي عليه السلام وبنو هاشم والمخلصون من الصحابة منشغلين بجهاز النبي صلى الله عليه وآله من غسل وكفن وصلاة ودفن سار أتباع الظلام إلى السقيفة في مجموعة لمبايعة أبي بكر في الحكم ، بعيداً عن رأي الأكثرية الساحقة من المسلمين المبايعه لعلي عليه السلام في الغدير .

(١) سنن الترمذي ٢ / ٢٩٨ ، سنن ابن ماجه ١٢ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٠٩ ، ٥٣٣ ، سنن النسائي ٥ / ١٣٠ ح ٨٤٦٤ ، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٠٣ ، المعجم الكبير ، الطبراني ٥ / ١٦٦ ح ٤٩٦٩ ، مجمع الزوائد ٩ / ١٠٤ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١١٢ ، أسد الغابة ٤ / ١٠٨ ، تفسير الرازي ١٢ / ٤٩ ، الدر المنثور ٣ / ١١٧ ، الإمامة والسياسة ١ / ٩٧ ، البداية والنهاية ٥ / ٢٣١ ، المناقب ، الخوارزمي ١٦٠ ، ١٩٠ ، مسند أحمد بن حنبل ٤ / ٢٨١ ، الكافي ، الكليني ١ / ٢٩٤ ، دعائم الإسلام ، النعماني ١ / ١٦٦ .

(٢) شرح النهج ، المعتزلي ٤ / ٨ ، أنساب الأشراف ، البلاذري ٢٠٦ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٨ ، تاريخ الطبري ٢ / ٤٥١ ، البداية والنهاية ٤ / ٣٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٦ .

وأول هذه المجموعة المغيرة بن شعبة الذي تمثّل الشيطان بصورته في اجتماع دار الندوة المقرّر لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وآله والمسمى أعور ثقيف .

والصحيح أنّ المغيرة بن شعبة هو الذي حضر في دار الندوة للتخطيط لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله ، واقترح انتخاب شخص من كلّ قبيلة لتضيق دماء النبي في قبائل قريش^(١) .

وبعدما أصبح المغيرة والياً في حكومات عمر وعثمان ومعاوية غير رجال الدولة تلك الرواية تنزيهاً منها للمغيرة .

لأنّ الشيطان يوسوس في النفوس ولا يحضر بحسمه ونفسه .

والمغيرة هو الذي قتل أسياده من ثقيف خفية بعد سقيه لهم الخمر وسرقة أموالهم وجاء إلى المدينة هارياً معلناً للإسلام !

فهذا السارق الغادر الشيطان أوّل من هرب من مراسم تشييع رسول الله صلى الله عليه وآله وتبعه أبو بكر وعمر وعثمان وابن عوف وابن الجراح وباقي الرجال التاركين لمراسم النبي صلى الله عليه وآله والتابعين لخطى المغيرة^(٢) .

(١) تاريخ ابن شبة ٣ / ١١٣٨ ، المناقب ، ابن الدمشقي ٢ / ٢٢٠ ، بيت الاحزان ٦٣ ، تفسير نور الثقلين ٣ / ٢٦٩ ، الخصال ، الصدوق ٣٦٦ ، شرح الاخبار ، النعمان المغربي ٣٥٦ ، الاختصاص ، المفيد ١٦٥ ، حلية الابوار ، البحراني ٣٦١ ، البحار ١٩ / ٤٦ ، ٣٣ / ٣١٨ ، ٣٨ / ١٦٩ ، ٤٤ / ٩٤ .

(٢) صحيح مسلم ٧ / ١٢٣ ، شواهد التنزيل ، الحسكاني ٢ / ٤١٤ ، ١ / ١٨٧ ، تاريخ دمشق ، ابن عساكر ٢ / ٨٦ ، روضة الواعظين ، النيسابوري ٩٠ ، المسترشد ، الطبري ٥٨٨ ، شرح الأخبار القاضي المغربي ١ / ١٠٤ ، الإرشاد ، المفيد ١ / ١٧٥ ، مناقب آل أبي طالب ، ابن شهر آشوب ٢ / ٢٢٤ ، البحار ٣٧ / ١٨٨ ، العمدة ، ابن بطريق ١٠٠ ، أسباب النزول ، الواحدي ١٥٠ ط مصر ، خصائص الوحي المبين ، ابن بطريق ٨٨ ، بشارة المصطفى ، محمد بن علي الطبري ٢٧٦ ، مسند أحمد ٤ / ٢٨١ ، تاريخ بغداد ٨ / ٢٩٠ ، ورواه الترمذي وابن ماجه والنسائي ، الصواعق المحرقة ٤٣ ، سزّ العالمين ١ / ٣٧ ، ذخائر العقبى ٨٢ ، الملل والنحل ، الشهرستاني ٧٠ ، تفسير الثعلبي ١ / ٢١٧ ، تفسير القمي ، الآية ، تفسير الفيض الكاشاني ٢ / ٦٦ .

فكان المغيرة قائدهم في السقيفة وفي دار الندوة !!

وفي جلسة سرّية في سقيفة بني ساعدة تخلّلتها عمليات ضرب وتخويف وتهديد بالقتل لسعد بن عباد المريض النائم في سقيفته تمّت مبايعة هذه العصابة لأبي بكر. وأول من بايع أبا بكر في السقيفة كان الشيطان المغيرة !
ثمّ اعتمدت هذه العصابة الشرسة على قبيلة أسلم الإعرابية في نيل بيعة الناس بالقوة .

فهذه البيعة السرّية هي نظرية طغاة مكّة في الاعتماد على السرّية للوصول إلى مآربهم. وسار على هذه الأطروحة باقي رجال الحزب القرشي في الوصول إلى السلطة بعيداً عن الانتخابات الشعبية .

وبعدما قتل الإمام علي عليه السلام بيد اليهود والخوارج سنة ٤٠ هجرية عادت البيعة إلى كواليس السرّية وسرّاديب الظلام فبايع معاوية فيها لابنه يزيد الفاجر بعيداً عن رأي الجماهير .

ثمّ بايع مروان بسرّية تامّة لابنه عبد الملك وهكذا عادت إلى سنن الجاهلية مثلما أراد لها رجال السقيفة بعيدة عن النظرية الإلهية النبوية .

وما زالت الأمم الإسلامية تننّ من وطأة هذه الأعمال العقيمة البعيدة عن الدين . وفي كلّ مرّة يصل إلى دقّة الحكم رجال أمثال يزيد ومروان والمتوكّل .

ولم ينادي واحد من هؤلاء بما ناداه النبي الأكرم عليه السلام في الساحة العلنية في الغدير . ولم يعلن واحد من هؤلاء بما قاله الإمام علي عليه السلام من وجوب بيعة علنية في

٥١٤، تفسير البرهان ١ / ٤٨٨، تفسير السيوطي ٢ / ٢٥٢، تفسير الآلوسي ٦ / ٦١، مناقب أمير المؤمنين ٧، الكوفي ٢ / ٣٨٢، نزول القرآن، أبو نعيم الأصبهاني ٨٦، فرائد السمطين ١ / ١٥٨، البداية والنهاية، ابن كثير ٥ / ٢١٣، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، الحبري ٤٤، ما نزل من القرآن في علي عليه السلام، المحافظ أبو نعيم الأصبهاني ٣٦، مجمع الهيئتي ٩ / ٢٠٧، كنز العمال ٦ / ٣٩٢.

المسجد النبوي (١).

المعارضون لبيعة الإمام علي عليه السلام

قال النبي ﷺ أمام المسلمين : يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق (٢) ، ورغم هذا لم يتابعه عصابة وهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن خديج وفضالة بن عبيد وكعب بن عجرة كانوا عثمانيّة .

فقال رجل لعبد الله بن حسن كيف أبي هؤلاء بيعة علي عليه السلام وكانوا عثمانيّة ؟ قال : أما حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع ، وأما زيد بن ثابت فولّاه عثمان الديوان وبيت المال ، فلما حصر عثمان قال : يامعشر الأنصار كونوا أنصاراً لله مرّتين فقال أبو أيوب ما تنصره إلا أنّه أكثر لك من العضدان (٣).

فأما كعب بن مالك فكان من المنافقين الذين يتّهم القرآن الكريم بعد عصيانه

(١) السيرة الحلبية ٣ / ١٨٠، شرح النهج ٤ / ٦٩، ٦ / ٢٨٨، البحار ٣٠ / ٦٤٨، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢ / ١٠٤، مروج الذهب، المسعودي ٣ / ٦، عبقرية عمر للعقّاد ٤٢، تاريخ عمر لابن الجوزي ٥٦، مختصر تاريخ ابن عساكر لابن منظور ١٨ / ٢٦١، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ابن الأثير ٤ / ١٥١، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٣ / ٥٣، تاريخ المدينة المنوّرة، ابن شبة ٢ / ٦٦٢ .

(٢) المستدرک، الحاكم ٣ / ١٢٧، تاريخ بغداد ٤ / ٤٠، كنز العمال ١١ / ٢١٦، أسد الغابة ١ / ٦٦، صحيح مسلم ٢ / ٢٧١، صحيح الترمذي ٢ / ٣٠١، صحيح النسائي ٢ / ٢٧١، صحيح ابن ماجه ١٢، مسند أحمد ١ / ٨٤ - ٩٥، ١٢٨، الاستيعاب ٢ / ٤٦٤، الدر المنثور ٧ / ٥٠٤، حلية الأولياء ١ / ٨٦، مجمع الزوائد ٩ / ١٣٢، ذخائر العقبى ٩٢، جامع الأحاديث للسيوطي ٧ / ٢٢٩، مسند أبي يعلى ٢ / ١٠٩، الصواعق المحرقة ١٢٣، تفسير الطبري ١٣ / ٧٢، تفسير الرازي ١٩ / ١٤، فتح القدير ٥ / ٢٥٣، تاريخ ابن عساكر ٢ / ٤٢٣ .

(٣) العَصْدُ من النخل : الطريقة منه ، وفي الحديث : أن سمرة كانت له عَصْدُ من نخل في حائط رجل من الأنصار ، حكاه الهروي في الغريبين ، لسان العرب ، ابن منظور ٣ / ٢٩٤ . إذ حصل على أموالاً وبساتين كثيرة .

الاشترك في حملة تبوك .

وجاء به عثمان مع بقية الرجال المخالفين للقانون من العتاة والعصاة فاستعمله على صدقة مزينة وترك ما أخذ منهم له .

قال الزهري : ولم يبايعه قدامة بن مظعون وعبدالله بن سلام والمغيرة بن شعبة^(١) .

وجاء أيضاً في رواية بأن سعد بن أبي وقاص وابن عمر وصهيب ، وسلمة بن وقش ، وأسامة بن زيد لم يبايعوا علياً^(٢) .

ولم يبايعه سعيد بن زيد العدوي .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لعبدالله بن عمر : إنك ما علمتُ لسيئ الخلق صغيراً وكبيراً^(٣) .

قال ابن حزم : وتأخر عن بيعته قوم من الصحابة بغير عذر شرعي إذ لا شك في إمامته^(٤) .

فمن المتأخرين عن بيعته عبدالله بن عمر وحفصة بنت عمر ، لكن الإمام علي عليه السلام لم يهجم على دورهم بالنار والحطب مثلما هجم عمر على بيت فاطمة الزهراء وأحرق بابها وكسر ضلعها وأسقط جنينها وقتلها !

أما زيد بن ثابت وعبدالله بن سلام ومحمد بن مسلمة فمن اليهود الساعين لتدمير الدين وإحياء الكفر بيد معاوية بن أبي سفيان .

وأما عبدالله بن عمر فأرادها وراثته لقبائل قريش الكافرة .

وأما صهيب وسعد بن أبي وقاص وسلمة بن وقش والنعمان بن بشير فهم من

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٢ ، الكامل في التاريخ ٣ / ١٩١ .

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٥٤ ، الكامل في التاريخ ٣ / ١٩١ .

(٣) الكامل في التاريخ ٣ / ١٩١ .

(٤) الخلفاء الراشدون ، ابن حزم الأندلسي ٥ طبع دار الجيل بيروت .

المنافقين المعارضين لسيد الرسل ، وشارك بعضهم في محاولة قتل النبي ﷺ في العقبة^(١) .

الخطبة الشقشقية

قال أمير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام في نهج البلاغة : والله لقد تقمصها ابن ابي قحافة^(٢) وإنه ليعلم ان محلي منها محل القطب من الرحن ، ينحدر عنى السيل ولا يرقى الي الطير ، فسدت دونها ثوباً وطويت عنها كشحا وطفقت أرتأي بين ان أصول بيد جذاء او اصبر على طخية عمياء ، يشيب فيها الصغير ويهرم فيها الكبير ، ويكدح فيها مؤمن حتى يلتقي ربه ، فرأيت أن الصبر على هاتا احجى ، فصبرت وفي العين قذا وفي الحلق شجا أرى تراثي نهبا ، حتى اذا مضى الاول الى سبيله ، فادلى بها الى فلان بعده عقدها لآخي عدي بعده ، فيا عجباً بينا هو يستقلها في حياته ، إذ عقدها لآخر بعد وفاته ، فصيرها والله في حوزة خشناء ، يخشن مسها ، ويغلظ كلمها ، ويكثر العثار فيها ، والاعتذار منها ، فصاحبها كراكب الصعبة ، إن عنق بها حرن وإن اسلس بها غسق فني الناس لعمر الله بخبط وشماس وتلون واعتراض وبلوى وهو مع هن وهني ، فصبرت على طول المدة وشدة المحنة ، حتى اذا مضى لسبيله جعلها في جماعة زعم اني منهم ، فيأله وللشورى متى اعترض الريب في مع الاول منهم حتى صرت أقرن الى هذه النظائر ، قال رجل لضغته واصغى آخر لصهره ، وقام ثالث القوم نافجاً حضنيه بين ثيليه ومعتلفه ، وقام معه بنو أمية ، يخضمون مال الله خضم الإبل نبت الربيع ، حتى اجهز عليه عمله ، وكبت به مطيته ، فما راعني إلا والناس إلي كعرف الضبع قد انثالوا علي من كل جانب ، حتى

(١) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٣ ، كتاب المفارحات ، الزبير بن بكار ، شرح نهج البلاغة ، ابن

أبي الحديد ٢ / ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨ هـ ، المحلى ، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥ .

(٢) ابن ابي قحافة أي أبو بكر .

لقد وطئ الحسنان، وشقّ عطاياي، حتى إذا نهضت بالامر نكثت طائفة وفسقت أخرى ومرق آخرون، كأنهم لم يسمعوا الله تبارك وتعالى يقول: ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْأَخْرَىٰ نُجَعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (١)

بلى والله لقد سمعوا ووعوها لكن انحلت الدنيا في أعينهم وراقهم زبرجها، والذي فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور المحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر، وما أخذ الله على العلماء أن لا يقروا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها، ولسقيت آخرها بكأس أولها ولألقيتم دنياكم هذه عندي أزهد من عظمة عتر، وناوله رجل من أهل السواد كتاباً فقطع كلامه، وتناول الكتاب فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين لو اطردت مقالاتك إلى حيث بلغت، فقال: هيهات هيهات يا بن عباس تلك شقشقة هدرت ثم قرئت (٢).

الفصل الثاني: النظرية المالية لعلي عليه السلام

بيت المال

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في أول خطبة له: إن مفاتيح مالكم معي وإنه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم أرضيتم؟ قالوا: نعم.

قال عليه السلام: اللهم اشهد عليهم ثم بايعهم على ذلك (١).

وقال الإمام علي عليه السلام: للسلطان مفتاح بيت المال وليس المال (٢).

قال ابن عبد البر في كتاب «الاستيعاب»: كان علي عليه السلام يقسم ما في بيت المال بين المسلمين، ثم يأمر بكنسه فيكنس، ثم يصلي فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة، وأتاه مال من أصبهان قسمه سبعة أسباع، ووجد فيه رغيفاً، قسمه سبع كسر، وجعل على كل قسم كسرة.

وفي «حلية الأولياء» لأبي نعيم أن ابن النجاج قال له: يا أمير المؤمنين امتلاً بيت مال المسلمين من صفراء وبيضاء، أتت من الخارج، فقال: الله أكبر! .. علي بالناس، فنودي فيهم، ولما أقبلوا فرّق جميع ما في بيت المال، وهو يقول: يا صفراء ويا بيضاء غرّي غيري.

كان يفرّق المال، حتى لا يبقى منه درهم ولا دينار، ثم يحمل المسحاة، ويعمل في الأرض، فيستنبط العيون، ويقفها في سبيل الله. وفي ذات يوم وصل مال الصدقة مساءً، فقال لمن حضر: اقتسموه. فقالوا: أمسينا. أخره إلى غد، فقال عليه السلام: من

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٥١.

(١) القصص ٨٣.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة الشقشقية.

يضمن بقائي إلى غد. وقيل له: اعط من هذه الأموال الذين يخشى منهم، ويفرّون إلى معاوية فقال: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور. أما خبره مع ابنته زينب عليها السلام وكنيتها (أم كلثوم) حين استعارت العقد من بيت المال لتلبسه يوم العيد، فعرف ذكره جميع المؤرخين من السنة والشعبة، إذ منعها منه.

والذي تبين معنا من سيرة علي عليه السلام في الحكم أن له نظرة خاصة إلى مهمة وكلام أمير المؤمنين صريح في ذلك، فمن كتاب له إلى عثمان بن حنيف عامله على البصرة: «ولو شئت لاهتديت الطريق إلى مصقّ هذا العسل، ولباب هذا القمح، ونسائج هذا الفزّ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة، ولعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له بالقرص، ولا عهد له بالشبع، أو أبيت مطبأناً، وحولي بطون غرقى، وأكباد حرّى! أو أكون كما قال القائل: وحسبك داء أن تبيت ببطنة وحولك أكباد تحنّ إلى القدّ أقنع من نفسي بأن يقال: أمير المؤمنين، ولا أشاركهم في مكاره الدهر؟!»^(١)

وإذا لم يقدر الحاكم نفسه بضعفة الناس من رعيته فقد تجاوز حدّه، وخان مهمته، وأصبحوا في حلّ من بيعته، وجاز لهم الخروج على حكمه.

مراتب الناس في العطاء

النبي ﷺ ونهجه

كانت الأموال توزّع بين الناس في زمن الرسول ﷺ بصورة متساوية، وعادلة لا فرق بين عربي وأعجمي، ولا فرق بين امرأة حبشي مسلم

(١) نهج البلاغة ٣ / ٧١، البحار ٣٣ / ٤٧٤، معاني الأخبار ٤١٣.

وامرأة الرسول ﷺ....

أبو بكر ونهجه:

كان أول ما قسمه أبو بكر في الناس بين الأحمر والأسود والحر والعبد ديناراً لكل إنسان، وقسم بين الناس بالسوية، لم يفضل أحداً على أحد^(١).

وكان الذي فرضوا له (أي لأبي بكر) في كل سنة ستة آلاف درهم^(٢).

عمر بن الخطاب ونهجه:

وكان عمر بن الخطاب أول من فرّق في أعطيات الناس، فجعلها في طبقات متعدّدة، الأكثرية منها روايتها ضئيلة، والأقلية منها روايتها كثيرة.

صحيح أن عمر جعلها في قانون ثابت، لكنّ نتائجها خطيرة، إذ فضل مهاجري بدر على غيرهم في العطاء وفضل السابقين على اللاحقين. لكنّه جعل عطاء معاوية وأبي سفيان مثل عطاء أهل بدر.

وفضل ثلاث نساء من الأئمة على باقي النساء، وهنّ ابنته حفصة وابنة أبي بكر (عائشة) وابنة أبي سفيان (أم حبيبة)^(٣).

لقد سار أبو بكر على منهج الرسول ﷺ في مدّة حكمه. ولكنّ عمر غير هذه الأسس النبوية في العطاء المالي، وبدّل فيها، فكانت بداية الطبقيّة في المجتمع الاسلامي، فتأسس أساس نهب أموال المسلمين في الزمن الأموي، وما تلاه على أساس الشأن والقبيلة والوظيفة وغير ذلك.

جاء في الطبقات لابن سعد توضيح لعطايا عمر:

ان عمر فرض لأهل بدر من المهاجرين وقريش والعرب والموالي خمسة آلاف درهم.

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٣٤.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٦٢١.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٣.

وفرض لبني هاشم والحسن والحسين لكل واحد منهم خمسة آلاف درهم.
وللعباس بن عبد المطلب ولمن شهد بدرًا من المهاجرين والأنصار خمسة
آلاف درهم.

وللأنصار ومواليهم ولمن شهد أحدًا أربعة آلاف درهم.

ولعمر بن أبي سلمة، ولأسامة بن زيد أربعة آلاف درهم.

ولمن هاجر قبل الفتح، ولعبد الله بن عمر ثلاثة آلاف درهم.

ولنساء مهاجرات لكل واحدة منهن ثلاثة آلاف درهم^(١).

وفرض لأزواج النبي ففضل عليهن عائشة. فرض لها في اثني عشر ألف،

ولسائرهن عشرة آلاف. غير جويرية وشفية إذ فرض لها ستة آلاف.

وفرض لأبناء البدرين ولمسلمة الفتح لكل رجل منهم ألفي درهم.

وفرض لأسماء بنت عميس، ولأم كلثوم بنت عقبة، ولأم عبد الله بن مسعود

ألف درهم.

وذكر ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ: فرض للعباس وبدأ به، ثم فرض

لأهل بدر خمسة آلاف (درهم)، ثم فرض لمن بعد بدر إلى الحديبية أربعة آلاف

أربعة آلاف، ثم فرض لمن بعد الحديبية إلى أن أفلح أبو بكر عن أهل الردة ثلاثة

آلاف ثلاثة آلاف، ثم فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين ألفين، وفرض لأهل

البلاء النازع منهم ألفين وخمسمائة ألفين وخمسمائة.

وفرض لمن بعد القادسية واليرموك ألفاً ألفاً، ثم فرض للروادف المشئ

خمسمائة خمسمائة، ثم للروادف الليث بعدهم ثلاثمائة ثلاثمائة.

وأعطى نساء النبي ﷺ عشرة آلاف عشرة آلاف، إلا من جرى عليها

الملك، فقال نسوة رسول الله: ما كان رسول الله يفضّلنا عليهن في القسمة، فسوّ

بيننا، ففعل وفضل عائشة بألفين لمحبة رسول الله إياها^(١)

فكان عمر يعطي لمقاتل معركة بدر خمسة آلاف درهم، ويعطي لأُمَّهات

المؤمنين عشرة آلاف درهم، في حين كان يعطي عائشة اثني عشر ألف درهم!!!

أي ان الامام علي بن أبي طالب وصي النبي ﷺ وأول مسلم وبطل الإسلام

وزوج بنت النبي ﷺ وابن عمه يأخذ حوالي ثلث راتب عائشة!؟

وقد ذكر ابن أبي الحديد المعتزلي طعنًا على عمر بن الخطاب قائلاً: إنه كان

يعطي من بيت المال ما لا يجوز، حتى أنه كان يعطي عائشة وحفصة عشرة آلاف

درهم في كل سنة، ومنع أهل البيت خمسهم الذي يجري مجرى الواصل إليهم من قبل

رسول الله ﷺ، وأنه كان عليه ثمانون ألف درهم من بيت المال على سبيل

القرض^(٢). وقد أجاب قاضي القضاة، بأن دفعه إلى الأزواج جائز، من حيث أن

لهن حقًا في بيت المال، وللإمام ذلك على قدر ما يراه، وهذا الفعل قد فعله من قبله

ومن بعده، ولو كان منكراً لما استمر عليه أمير المؤمنين (الامام علي) عليه السلام وقد ثبت

استمراره عليه ولو كان طعنًا لوجب إذا كان يدفع إلى الحسن والحسين إلى عبد الله

بن جعفر وغيرهم من بيت المال شيئاً أن يكون في حكم الخائن، وكل ذلك يبطل ما

قالوه؛ لأن بيت المال إنما يراد لوضع الاموال في حقوقها، ثم إلى المتولي لأمر

الاجتهاد في الكثرة والقلة، فأما أمر الخمس فن باب الاجتهاد، وقد اختلف الناس

فيه فمنهم من جعله حقاً لذوي القربى، وسهماً مفرداً لهم على ما يقتضيه ظاهر الآية،

ومنهم من جعله حقاً لهم من جهة الفقر، واجراهم مجرى غيرهم وان كانوا قد خصوا

بالذكر، كما أجرى الايتام، وان خصوا بالذكر مجرى غيرهم في أنهم يستحقون

بالفقر والكلام في ذلك يطول، فلم يخرج عمر بما حكم عن طريقة الاجتهاد، ومن

قدح في ذلك فانما يقدر في الاجتهاد وهو طريقة الصحابة، فأما اقتراضه من بيت

(١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٢ / ٥٠٢.

(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٣ / ١٥٣.

(١) تاريخ أصبهان ٢ / ٢٩٠.

المال، فان صح فهو غير محظور، بل ربما كان أحوط اذا كان على ثقة من رده بمعرفة الوجه الذي يمكنه منه الرد.

وقد اعترض المرتضى فقال: أمّا تفضيل الأزواج فإنه لا يجوز؛ لأنه لا سبب فيه يقتضي ذلك؛ وإنما يفضل الإمام في العطاء ذوي الأسباب المقتضية لذلك مثل الجهاد وغيره من الامور العام نفعها للمسلمين، وقوله: ان لمن حقاً في بيت المال، إلا أنه لا يقتضي تفضيلهن على غيرهن، وما عيب بدفع حقهن اليهن، وإنما عيب بالزيادة عليه، وما يعلم أن امير المؤمنين عليه السلام استمر على ذلك، وان كان صحيحاً كما ادعى فالسبب الداعي الى الاستمرار عليه هو السبب الداعي الى الاستمرار على جميع الاحكام، فأما تعلقه بدفع امير المؤمنين الى الحسن والحسين وغيرهما شيئاً من بيت المال فعجب؛ لانه لم يفضل هؤلاء في العطيّة فبشبه ما ذكرناه في الأزواج، وأما اعطاهم حقوقهم وسوى بينهم وبين غيرهم. فأما الخمس فهو للرسول ولأقربائه على ما نطق به القرآن، وأما عنّي تعالى بقوله: ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل، من كان من آل الرسول خاصّة لادلة كثيرة لا حاجة بنا الى ذكرها هنا. وأمّا الاجتهاد الذي عوّل عليه فليس عذراً في إخراج الخمس عن أهله فقد أبطلناه، وأمّا الاقتراض من بيت المال فهو مما يدعو الى الريبة، ومن كان من التشدد والتحفظ والتكشف على الحد الذي ذكره، كيف تطيب نفسه بالاقتراض من بيت المال وفيه حقوق الناس، وربما مسّت الحاجة الى الاخراج منها؟

وأبي حاجة لمن كان جشِب المأكل خشن الملابس يتبلغ بالقوت الى اقتراض الأموال، فأما حكايته عن الفقهاء ان يحفظ مال الأيتام في ذمّة الغني المأمون، فذلك اذا صحّ لم يكن نافعاً له، لأنّ عمر لم يكن غنياً، ولو كان غنياً لما اقترض^(١).

وقد أئد الحاكم في المستدرك هذا المطلب قائلاً: إن عمر فرض لأمهات المؤمنين عشرة آلاف وزاد عائشة ألفين^(١). أمّا اقتراض عمر من بيت المال فقد ذكره الطبري وابن الاثير والمثني الهندي^(٢).

وبذلك يكون راتب عائشة يساوي راتب ستّة مقاتلين من مقاتلي القادسية والشام!! وبينما كان مقاتل القادسية الشهيرة يعيش بألفي درهم كانت حفصة وحدها تعيش بإثني عشر ألف درهم.

وخالف ابو بكر نهج النبي ﷺ وفضل عائشة على أسماء.

فبينما كانت عائشة تأخذ اثني عشر الف درهم، كانت اختها أسماء بنت ابي بكر تأخذ ألف درهم! وهذا الشيء لا يقبله الناس؛ لانّ الفرق الطبقي أصبح صارخاً. وما دام النبي ﷺ لم يفضل واحدة على أخرى، فلماذا نُفّض نحن عائشة على أسماء، كذلك سار الإمام علي عليه السلام على نهج النبي ﷺ فلم يفضل امرأة على أخرى؟! فيكون أبو بكر وعمر أول من خالف تشريع رسول الله ﷺ.

ويذكر ان اللاتي توفي عنهن الرسول ﷺ من زوجاته هن: أمّ سلمة، أمّ حبيبة، عائشة، حفصة، صفية، زينب بنت جحش، سودة، ميمونة.

فكيف تُفّض حفصة وعائشة وأمّ حبيبة ابنة أبي سفيان المتحالف مع الدولة على باقي النساء؟

وقد جاء في تاريخ ابن الجوزي: وفرض عمر لأهل بدر والمهاجرين والانصار ستة آلاف، وفرض لأزواج النبي ﷺ ففضل عليهن عائشة فرض لها اثني عشر ألفاً ولسائرهن عشرة آلاف، غير جويرية وصفية فرض لها ستة آلاف ستة آلاف. وفرض للمهاجرات الأول أسماء بنت عميس وأسماء بنت ابي بكر وأمّ

(١) المستدرك، الحاكم ٤ / ٨، تاريخ الطبري ٤ / ١٦٢ (حوادث سنة ١٥).

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٢٢، تاريخ الكامل لابن الاثير ٣ / ٢٩، كنز العمال ٦ / ٢٦٢.

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ / ١٥٣.

عبد الله بن مسعود الفأ الفأ^(١).

وقالوا: أنه فرض لأصحاب بدر منهم خمسة آلاف، ولمن كان شهد بدرأ من الانصار أربعة آلاف، وفرض لمن شهد أحدأ ثلاثة آلاف.

وقال: إني اعتذر إليكم من خالد بن الوليد، إني أمرته بحبس هذا المال على ضعفة المهاجرين، فأعطاه ذا الباس وذا الشرف فزعرته.

وعن سعيد بن المسيب: أن عمر بن الخطاب كتب المهاجرين على خمسة آلاف والأنصار على أربعة آلاف ومن لم يشهد بدرأ من أبناء المهاجرين على أربعة آلاف، وكان فيهم عمرو بن ابي سلمة بن عبد الاسد المخزومي واسامة بن زيد ومحمد بن عبد الله بن جحش الأسدي وعبد الله بن عمر. فقال عبد الرحمن بن عوف: إن ابن عمر ليس من هؤلاء. إنه وإنه.

فقال ابن عمر: ان كان لي حق فاعطني، وإلا فلا تعطني. فقال عمر لعبد الرحمن بن عوف: اكتبه على خمسة آلاف، واكتبني على أربعة آلاف، فقال عبد الله: لا اريد هذا، فقال عمر: والله لا أجمع انا وانت على خمسة آلاف.

وفضّل عائشة بألفين فأبت. فقال: بفضل منزلتك عند رسول الله فاذا اخذت فشأنك^(٢).

وقال الزهري: جعل (عمر) نساء أهل بدر على خمسمائة خمسمائة، ونساء من بعد بدر الى الحديبية على اربعمائة اربعمائة، ونساء من بعد ذلك الى الأيام على ثلاثمائة ثلاثمائة، ثم نساء القادسية على مائتين مائتين، ثم سوى بين النساء بعد ذلك وجعل الصبيان من أهل بدر وغيرهم سواء مائة مائة.

أخرج أحمد في الزهد عن اسماعيل بن محمد، أن أبا بكر قسّم قسماً فسوّى فيه بين الناس، فقال له عمر: تسوّى بين أصحاب بدر وسواهم من الناس؟ فقال ابو

(١) تاريخ عمر لابن الجوزي ٥٨.

(٢) تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ١٠٣.

بكر: إنما الدنيا بلاغ، وخير البلاغ أوسع، وإنما فضلهم في أجورهم^(١).

وأخرج عن سفيان بن أبي العوجاء قال عمر بن الخطاب: والله ما أدري أخليفه أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم، فقال قائل: يا أمير المؤمنين: إن بينها فرقاً، قال: ما هو؟

قال: الخليفة لا يأخذ إلا حقاً ولا يضعه الا في حق، وأنت بحمد الله كذلك، والمملك يعسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا، فسكت عمر^(٢).

ربما بعض المسلمين ينظر الى سيرة عمر بن الخطاب كسيرة مرضية، وصاحبها له حق التغيير في مقابل النبي ﷺ فقد وضعت نظرية عمر في الناحية المالية موضع التطبيق، وسار عليها رؤساء وعلماء من مذاهب مختلفة! وكانت فترة حكم عمر وعثمان والأمويين الطويلة قد عوّدت الناس على هذه النظرية.

فضاعت المساواة التي سار عليها الرسول ﷺ في العطاء، يوم كان يأخذ بقدر ما يعطيه لخادمة أبي رافع، غير ناظر الى نبوته، وقدم اسلامه ونسبه وغير ذلك. وتبعه في ذلك أبو بكر نسبياً. ورجع الى هذا المنهج الإمام علي بن ابي طالب عليه السلام مخالفاً فيه عمر وعثمان. فكان الامام علي عليه السلام ورغم قدمه في الإسلام ونسبه وعلمه وشجاعته وغير ذلك، كان يعطي نفسه ما يعطيه خادمه قنبر.

وقد جاء في كتاب الاحكام السلطانية للهاوردي: «وكان العمل في زمن النبي ﷺ وأبي بكر جارياً على التسوية العامة، الا أن عمر رأى ان لا يجعل من قاتل رسول الله كمن قاتل معه، فجعل الامتياز بحسب السابقة، فالذي قاتل يوم بدر يفضل من قاتل في فتوح العراق والشام، ومن هنا حدث التفاوت الملموس في الأعطيات وتشكل في طبقات ومراتب، فطائفة تأخذ عطاءً كبيراً، وأخرى عطاءً

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٠٧.

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ١٤٠.

متوسطاً، والأكثرية يأخذون عطاءً ضئيلاً. وكانت الطبقات على هذه الشاكلة:

١- زوجات النبي ﷺ وأقرب الناس إليه في حياته، وهنّ بضعة آلاف من الدنانير سنوياً.

٢- كبار المهاجرين، كبار الأنصار. من إشتراك في الغزوات حسب أهيتها.

٣- كل من جاء من البداية واشترك في الحرب.

هذا التنظيم أوجد تمايزاً كبيراً، وأقام المجتمع العربي على قاعدة الطبقات. بعد ان كانوا سواءً في نظر القانون^(١).

وكان عمر قد جعلها طبقية على أساس السابقة في الدين. ففضّل أهل بدر على غيرهم، وجعلها قومية فضّل العرب وجعلها اقليمية ففضل قريش على الأنصار.

وعندما فضّل عائشة بنت ابي بكر وحفصة بنت عمر وأمّ حبيبة بنت ابي سفيان على سائر نساء الرسول ﷺ^(٢) وسائر نساء الأمة، وفضّل العرب على العجم، وفضّل الصريح على المولى، لم يكن هذا مقبولاً عند أحد. اذ هو في الحقيقة فضّل ابا بكر وعمر وأبا سفيان على الأمة!

ولو كان التفضيل لمقام النبي ﷺ لفضّل علياً عليه السلام وغيره من بني هاشم على سائر الناس، ولأعاد الخمس وقدكأ لبني هاشم لكنّه لم يفعل هذا.

فالذين يفضّلون في العطاء بين الناس في زماننا يسرون على نظريّة عمر، والذين يساؤون في العطاء يسرون على نظريّة النبي ﷺ...

وذكر ذكوان مولى عائشة قائلاً: قدم درج من العراق فيه جواهر الى عمر، فقال لأصحابه: أتدرون ما ثمنه؟

فقالوا: لا، ولم يدروا كيف يقسمونه.

(١) كتاب الإمام الحسين ٢٣٢.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٥٣ / ٢.

فقال: أتأذنون أن أرسل به الى عائشة لحب رسول الله إياها؟
قالوا: نعم.

فبعث به إليها.

فقالت: ماذا فتح الله على ابن الخطاب^(١).

وهكذا حصلت عائشة على جواهر ملكة الفرس ظلماً!

فيكون عمر قد فضّل عائشة وحفصة وأمّ حبيبة على سائر الناس في العطاء واعطى لكل واحدة منهم اثني عشر الف درهم. وفضّل آباءهن وقبائلهن في الخلافة، بتنصيب ابي بكر أولاً ونفسه ثانياً وعثمان الأموي ثالثاً. وكانت النتيجة:

تفضيل قريش على الأنصار. باعطاء محاربي بدر المهاجرين خمسة آلاف درهم، وإعطاء محاربي بدر من الأنصار أربعة آلاف درهم^(٢) وتفضيل العرب على العجم^(٣).

تفضيل زوجات الرسول ﷺ على باقي النساء بعشرة آلاف درهم^(٤).
وتفضيل عائشة وحفصة وام حبيبة عليهنّ.

جعل لجويرية وصفية (زوجتا النبي ﷺ) ستة آلاف^(٥).

تفضيل محاربي بدر على باقي المحاربين^(٦).

(١) النبلاء ٢ / ١٣٣، مستدرك الحاكم ٤ / ٨، وتلخيصه للذهبي. والدرج: سفيط صغير تدخر فيه المرأة طيبها وأداتها، لسان العرب ابن منظور ٢ / ٢٦٩. وظاهر الأمر أنّ درج الجواهر هذا كان متعلقاً بملكة الفرس.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٥٣.

(٣) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٨ / ١١١.

(٤) المستدرك، الحاكم ٤ / ٨، تاريخ الطبري ٤ / ١٦٢.

(٥) تاريخ عمر لابن الجوزي ١٠٣.

(٦) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٨ / ١١١.

تفضيل المولى على الصريح^(١).

تفضيل أبي سفيان ومعاوية على الأنصار، ورفعها إلى منزلة المهاجرين الحاربيين في بدر^(٢).

إعطاء ثلاثة آلاف درهم لمن هاجر قبل الفتح^(٣).

فرض لأهل القادسية وأهل الشام ألفين^(٤).

وروى الزهري: فرض لنساء أهل بدر خمسمائة. فرض لنساء من بعد بدر إلى الحديبية أربعمائة.

فرض لنساء ما بعد الحديبية مائتين.

قلم تكن الفروق قائمة على السابقة بل تعتمد على أسس عديدة^(٥).

مساواة الطلقاء بمقاتلي بدر في العطاء

يتصور البعض أن عطاء عمر قائم على أسبقية المشاركة في الحروب الإسلامية فقط في حين جاء أنه جعل لأهل مكة من كبار قريش مثل أبي سفيان ابن حرب ومعاوية بن أبي سفيان خمسة آلاف. ثم قريش على منازلهم ممن لم يشهد بدرًا. ولأمهات المؤمنين ستة آلاف، وستة آلاف، ولعائشة وأم حبيبة (بنت أبي سفيان) وحفصة اثني عشر ألفاً^(٦).

وبذلك يكون عمر قد جعل راتب الامام علي عليه السلام وراتب معاوية متساويين،

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١ / ١٥٣.

(٣) تاريخ أصبهان ٢ / ٢٩٠.

(٤) الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ٥٥.

(٥) تاريخ عمر لابن الجوزي ١٠٣، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٨ / ١١١ تاريخ اليعقوبي ١ / ١٥٣، تاريخ أصبهان ٢ / ٢٩٠، الكامل في التاريخ، ابن الأثير ٢ / ٥٥.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢ / ١٠٦.

وهذا ما سهّل على معاوية الحصول على مكان الصدارة في المجتمع الإسلامي.

كما جعل عمر راتب معاوية أعلى من راتب سعد بن عباد ورفاقه المشاركين في معركة بدر! وبذلك يكون عمر قد أعطى أبا سفيان ومعاوية راتباً (خمسة آلاف درهم) أعلى من راتب كثير من المسلمين الأوائل.

وفضّل أم حبيبة بنت أبي سفيان على باقي نساء الأمة، ثم نصّب معاوية والياً على الشام ورزقه ألف دينار في كل شهر^(١).

وهو راتب خطير في ذلك العصر!!

ومن الذين حصلوا على أموال كثيرة لحب عمر لهم كان زيد بن ثابت إذ ذكر خارجه بن زيد بن ثابت: كان عمر يستخلف زيد بن ثابت إذا سافر، فقلما رجع إلا أقطعه حديقة من نخل^(٢).

رأي الامام علي عليه السلام في بيت المال

قال الامام علي عليه السلام: أتأمروني أن اطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه، والله لا أطور به ما ستمّ سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً، ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله الا وإنّ إعطاء المال غير حقّه تبيذير وإسراف^(٣).

وذكر ابن أبي الحديد المعتزلي مسألة المساواة في العطاء والاختلاف في ذلك قائلاً:

واعلم أنّ هذه المسألة فقهية ورأي الامام علي عليه السلام وهو التسوية بين المسلمين في قسمة النوى والصدقات، والى هذا ذهب الشافعي، وسار أبو بكر على هذه النظرية

(١) الاستيعاب، ابن عبد البر ٣ / ٤٧١.

(٢) الإصابة، ابن حجر ١ / ٥٦٢.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦.

جزئياً .

وأما عمر فإنه لما ولي الخلافة فضّل بعض الناس على بعض ، فضّل السابقين على غيرهم ، وفضّل المهاجرين من قريش على غيرهم من المهاجرين ، وفضّل المهاجرين كافة على الأنصار كافة ، وفضّل العرب على العجم ، وفضّل الصريح على المولى ، وقد كان (عمر) أشار على أبي بكر أيام خلافته بذلك فلم يقبل وقال : إن الله لم يفضّل أحداً على أحدٍ ، ولكنه قال : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ﴾ (١) ولم يخصّ قوماً دون قوم . فلما أفضت إليه الخلافة (عمر) عمل بما كان أشار به أولاً ، وقد ذهب كثير من فقهاء المسلمين الى قوله .

والمسألة محل إجتهااد ، وللإمام أن يعمل بما يؤدّيه إليه إجتهااده ، وإن كان إتباع الامام علي عليه السلام عندنا أولى ، لا سيما إذا عضده موافقة أبي بكر في المسألة ، وإن صح الخبر أن رسول الله ﷺ ساوى فقد صارت المسألة منصوصاً عليها ؛ لأنّ فعله عليه السلام كقوله « (٢) . وقال ابن أبي رافع (٣) : كنت على بيت مال الامام علي بن أبي طالب وكاتبه ، فكان في بيت ماله عقد لؤلؤ كان أصابه يوم البصرة ، فأرسلتُ إليّ بنتُ الامام علي بن أبي طالب فقالت لي : إنّه قد بلغني أنّ في بيت مال أمير المؤمنين عقداً لؤلؤ ، وهو في يدك ، وأنا أحبُّ أن تُعيرنيّه ، أتجمّلُ به في يوم الأضحى . فأرسلتُ إليها : عاريةً مضمونة ، مردودة بعد ثلاثة أيام يا بنت أمير المؤمنين ، فقالت : نعم عاريةً مردودة بعد ثلاثة أيام . فدفعته إليها وإذا أمير المؤمنين رآه عليها فعرفه ، فقال لها : من أين جاء إليك هذا العقد ؟

فقالت : استعزّيته من ابن أبي رافع خازن بيت مال المسلمين لأتزيّن به في

(١) التوبة ٦٠ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨ / ١١١ .

(٣) مجاني الأدب ٢ / ١٧٣ ، قصص العرب ٢ / ٩٦ .

العيد ثم أُرّده .

فبعث إليّ أمير المؤمنين فجثته ، فقال لي : اتّخون المسلمين يا ابن أبي رافع ؟ فقلت : معاذ الله أن أخون المسلمين .

فقال : كيف أعرت بنت أمير المؤمنين العقد الذي في بيت مال المسلمين ، بغير إذني ورضاهم !

فقلت : يا أمير المؤمنين إنّها بنتك ، وسألتني أن أُعيرها العقدَ تستزين به ، فأعزّتها إليّ عاريةً مضمونة مردودة على أن ترّده إليّ موضعه ، فقال : رُدّه من يومك ، وإياك أن تعود إلى مثله فتنالك عقوبي .

ثمّ قال : ويلّ لابنتي لو كانت أخذت العقد على غير عاريةً مردودة مضمونة ، لكانت إذن أوّل هاشمية قُطعت يدها في سرقة .

فبلغت مقالته إينته فقالت له : يا أمير المؤمنين أنا إينتك وبضعةً منك فمن أحقُّ بلُبْسِه مني !

فقال لها : يا بنت ابن أبي طالب ، لا تذهبي بنفسك عن الحق ، أكلّ نساء المهاجرين والأنصار يتزيّن في مثل هذا العيد بمثل هذا . فقبضته منها ورددته الى موضعه .

وكان الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يقسم بيت المال في كل جمعة حتى لا يبقى منه شيئاً ؛ ثم يُقرّش له ويقبل فيه (١) ويصلي فيه .

لذا قال النبي محمد ﷺ : الامام علي يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين (٢) .

(١) العقد الفريد ، ابن عبد ربّه ٤ / ٢٩٢ .

(٢) كنز العمال ٦ / ١٥٣ ، ٣٩٤ ، فيض القدير ٤ / ٣٥٨ ، كنز الحقائق ٩٢ .

تفضيل عائشة وحفصة وأم حبيبة على سائر النساء

ولم يفضل عمر نفسه في العطاء على الناس، لكنه رفع أبا سفيان و معاوية إلى مكانة أرقى من مكانتها.

وفضل بنت أبي بكر وبنت أبي سفيان وبنته علي أمّة محمد ﷺ في العطاء! إذ جعل راتب عائشة وأمّ حبيبة (رملة) وحفصة أعلى من راتب بقيّة أمّهات المؤمنين لكل واحدة منهن إثني عشر ألف درهم سنوياً^(١).

ذكر البلاذري بان عمر كتب عائشة أم المؤمنين في إثني عشر ألفاً، وكتب سائر أزواج النبي ﷺ في عشرة آلاف، وفرض لعلي بن أبي طالب عليه السلام خمسة آلاف، وفرض مثل ذلك لمن شهد بدرًا من بني هاشم^(٢).

منضلاً إياهن علي أم سلمة، وسودة بنت زمعة وغيرهما من أمّهات المؤمنين. ولا أدري ما هو السر في تفضيل هذه النساء على بقيّة نساء ورجال الأئمة؟ فهل يعود في رأي الخليفة إلى أفضلية أبي بكر وعمر وأبي سفيان علي بقيّة أفراد الأئمة؟ أم يعود إلى أفضلية أمهاتهن على النساء (زينب بنت مظعون أخت قدامة ابن مظعون أم حفصة).

وأم رومان أم عائشة، وصفيّة بنت أبي العاص بن أمية أمّ أم حبيبة). واهدئ معاوية إلى عائشة ثياباً وورقاً وأشياء أوضع في اسطوانات^(٣). وذكر عروة أنه أعطها أيضاً مائة ألف^(٤).

وأخرج ابن كثير عن عطاء بانه (معاوية) بعث إليها وهي بمكة بطوق قيمته

(١) تاريخ يعقوبي ١١٥٣ / ٢.

(٢) فتح البلدان، البلاذري ٤٣٥، ٤٤١.

(٣) حلية أبي نعيم ٤٨ / ٢، والورق: الدراهم المضروبة.

(٤) حلية أبي نعيم ٤٧ / ٢، النبلاء ١٣١ / ٢، المستدرک ١٣ / ٤.

مائة ألف قبلته^(١).

وروى ابن كثير: قضى معاوية عن عائشة أم المؤمنين ثمانية عشر ألف دينار، وما كان عليها من الدين الذي كانت تعطيه الناس^(٢).

منع العطاء عن المعارضة

وأول من منع العطاء عن المعارضة أبو بكر إذ منع أم المؤمنين أم سلمة عطاها مخالفة منه لرسول الله.

فقال الرواية منع ابو بكر وعمر أمّ المؤمنين أم سلمة سنة كاملة من عطائها^(٣).

وذلك عندما دافعت عن فاطمة بنت محمد ﷺ في قضيتها في فدك وقالت:

ألمثل فاطمة بنت محمد ﷺ يقال هذا القول؟ هي والله الحوراء بنت الإنس والنفس للنفس، رُبّيت في حجور الأتقياء وتناولتها أيدي الملائكة ونمت في حجور الطاهرات، ونشأت خيرة نشأة وربيت خيراً مربي أتزعمون أن رسول الله ﷺ حرّم عليها ميراثه ولم يُعلمها؟ وقد قال الله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٤).

فيكون أبو بكر وعمر قد حرّموا أمّ سلمة من عطائها، وفاطمة بنت محمد ﷺ من فدكها وخمسها. ثمّ فضّلاً عائشة وحفصة وأمّ حبيبة على سائر النساء بلا دليل عقلي ولا نقلي يجوز هذا الأمر.

فكنّ يعيشن رخاء ملكات الروم والفرس!

ومنعا باقي المعارضة عطاها مثل سعد بن عباد وسلمان الفارسي والمقداد.

(١) ابن كثير ١٣٧ / ٧، النبلاء ١٣١ / ٢.

(٢) ابن كثير ١٣٦ / ٨، النبلاء ١٣١ / ٢.

(٣) دلائل الإمامة للطبري ٣٩.

(٤) الشعراء ٢١٤.

وسار عثمان على نهجها بدقة. (١)

اختلاف العطاء ومقتل عثمان !

وعن السؤال عن أثر النظرية الطبقية في إيجاد الفتنة ومقتل عثمان ؟
الجواب: ان أول من أعلن الثورة على عثمان كانت أم المؤمنين عائشة، وسبب الخلاف بينها وبينه أمور منها :
مقتل أبيها بيد عثمان .

اصرارها على راتبها الذي عيَّنه عمر بن الخطاب، واصرار عثمان على تخفيض راتبها:

ذكر اليعقوبي في تاريخه: «وكان بين عثمان وعائشة مناصرة، وذلك أنه نَصَّها بما كان يعطيها عمر بن الخطاب، وصيرها أسوة غيرها من نساء رسول الله» (٢). فأججت ثورة عارمة وشديدة.

وقد جاء في كتاب أنساب الأشراف للبلاذري أنه لم يكن في الأسر الإسلامية يومذاك أشدَّ على عثمان من بني تيم أسرة أبي بكر (٣).

وقد جاء في تاريخ الطبري أنَّ عائشة كانت أول من أمال حرفه (٤).

ولما كانت عائشة أول من أفتى بقتل عثمان إذ قالت: اقتلوا نعتلاً فقد كفر (٥)، يكون عثمان أول ضحية لنظرية عدم المساواة في العطاء!

(١) تاريخ اليعقوبي ١١٥٣ / ٢، فتوح البلدان، البلاذري ٤٣٥، ٤٤١، حلية أبي نعيم ٤٨ / ٢، النبلاء ١٣١ / ٢، المستدرک، الحاكم ١٣ / ٤، سيرة ابن كثير ١٣٦ / ٨، دلائل الإمامة للطبري ٣٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ١٣٢ / ٢، تاريخ أعمش ١٥٥.

(٣) أنساب الأشراف ٦٨ / ٥.

(٤) تاريخ الطبري ١٧٢ / ٥ في ذكر حوادث سنة ٣٦.

(٥) شرح نهج البلاغة ٧٧، تاريخ الطبري ٤٧٧ / ٣.

قال الماوردي: حكى ابن اسحاق أن عمر لما دخل منزله مجروحاً، سمع هدّة فقال: ما شأن الناس (قريش) ؟

قالوا: يريدون الدخول عليك، فأذن لهم، فقالوا: إعهد يا أمير المؤمنين، استخلف علينا عثمان.

فقال: كيف يحب المال والجنة، فخرجوا من عنده!

أراد معاوية قطع رواتب أهل العراق

اذ جاء:

قال معاوية: يا صعصة والله إنِّي هممت أن أحبس عطايا أهل العراق في هذه السنة.

فقال صعصة: والله، يا معاوية! لو رمت ذلك منهم لدهمك مائة ألف أمرد على مائة ألف أجرد، وصيروا بطنك ميادين لخيولهم، وقطعوك بسيوفهم ورماحهم. قال: فامتلاً معاوية غيظاً، وأطرق طويلاً (١).

راتب الخليفة علي عليه السلام

اهتم رسول البشرية ﷺ ببيت المال اهتماماً فائقاً فوزع النقود على الناس بالسوية ولا فرق بين عربي وأعجمي إلا بالتقوى.

فلم يفضل أرحامه عليهم ولا بنته عليهم وهي سيّدة نساء العالمين ولم يقدم صهره علي عليه السلام عليهم مالياً وهو أول المسلمين وخليفة النبي ﷺ وصاحب القوة الجسمية الخارقة وباب مدينة العلم (٢) حتى قال فيه رسول الله ﷺ: استوى

(١) الزخرف ٤٤، وفي المصحف: «لذكر لك».

(٢) الجامع الصغير، السيوطي ٤١٥ / ١، كنز العمال ١٣ / ١٤٨، فيض القدير، المناوي ١ / ١

الإسلام بسيف علي^(١).

فسيف علي عليه السلام هو الذي جعل الأمن في الدولة الإسلامية وأخاف المعتدين وهزم الغازين ووقّر للمسلمين حرّية الفكر والعقيدة والتعبير، ووقّر الأمن لهم.

ورغم هذا كان راتبه مساوياً للعبد الحبشي الداخل تَوْأً في الإسلام!

بل وضع رسول الله ﷺ نفسه في رتبة الناس العاديين في قضية الأموال، فكانت هذه النظرية في ذلك الزمن الغابر حدثاً عجبياً ومدهشاً في زمن العبودية والعنصرية والجاهلية.

وخالف هذه النظرية أبو بكر ففضل ابنته عائشة وحفصة وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان على فاطمة بنت محمد ﷺ وعلى باقي الناس^(٢).

وأعطى أبو بكر منطقة الجرف للزبير لكسبه وأعطاه عمر العقيق لجذبه^(٣).

وغيّر عمر نظرية المساواة في العطاء بشكل جوهرى فاحش فقدم وأخر وبدل وغيّر حتىّ تغيّرت النظرية المالية، ولما جاء عثمان زاد في الطين بلّة فنع المال العام عن المعارضين له، وأعطى ملايين الدراهم لأرحامه في عهد يبحث فيه الفرد عن قرص خبز للحياة! فعادت النظرية الإسلامية إلى سابق عهدها في الجاهلية فقتلت الدولة أبا ذرّ وابن عوف والمقداد والرواتب المالية مقطوعة عنهم^(٤).

٤٩٣، كشف الخفاء، العجلوني ٢٠٣/١، تاريخ بغداد ٤٩/١١، اللاكئ المصنوعة ١/٣٣٤، فضائل الخمسة في الصحاح السنّة ٢/٢٨١ - ٢٨٣، شواهد التنزيل، الحسكاني ١/١٠٤، وصحيح الحاكم النيسابوري ٣/٣٢٧، مسند أبي يعلى ٢/٥٨، صحيح البخاري، المغازي باب غزوة تبوك ٤٤١٦، صحيح مسلم ٢٤٠٤، صحيح الترمذي في المناقب ٣٧٣١، المعجم الكبير ١١/٥٥.

(١) البحار ٣٦/١٨٠، شواهد التنزيل، الحسكاني ٢/١٨٤، خصائص الوحي المبين، ابن بطريق ٢٤٠، مناقب خديجة، العلوي المالكي ٢.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢/١٣٤، تاريخ الطبري ٢/٦٢١.

(٣) طبقات ابن سعد ٣/١٠٤.

(٤) نظريات الخلفيتين للمؤلف ١/٤٨ - ٧٢، تاريخ ابن الأثير ٣/٩١، المعارف، ابن قتيبة

وعن احياء العلوم للغزالي كان علي بن أبي طالب عليه السلام يتمتع من بيت المال حتى يبيع سيفه. ولا يكون له إلاّ قيص واحد، لا يجد غيره في وقت الغسل، وقال علي عليه السلام مرة: من يشتري سيفي هذا، فوالذي فلق الحبة لطلما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله، فوالله لو كان عندي ثمن أزار ما بعته. وقال لأهل البصرة: ماذا تتقون مني؟ ان هذا من غزل أهلي، وأشار إلى قيصه.

وعن الإمام الباقر أن أمير المؤمنين ذهب مع قنبر إلى سوق البزازين، وطلب من رجل يبيع الملابس أن يبيعه ثوبين، فقال له: يا أمير المؤمنين عندي حاجتك، ولما أيقن الإمام أن الرجل يعرفه تركه ومضى، وأبى أن يشتري منه خشية أن يتساهل معه في الثمن، ثم وقف على غلام واشترى منه ثوبين: أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين، وبعد أن قبض الغلام الثمن جاء أبوه، وعرف الإمام، فقال له: يا مولاي ان ابني لا يعرفك، وهذه درهماً رجبها منك. فقال له: ما كنت لأفعل لقد اتفقنا مع ولدك على رضى.

واعطى الإمام الثوب الذي بثلاثة دراهم لقنبر، وأبقى الذي بدرهمين لنفسه، فقال قنبر: أنت أولى به مني، إنك تصعد المنبر، وتخطب الناس.

فقال له: وأنت شاب، ولك شره الشباب، وأنا استحي من ربي أن اتفضل عليك، سمعت رسول الله يقول: البسوه مما تلبسون، واطعموهم مما تأكلون.

ومن أقواله: ان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعامه بقرصيه، وجاء في وصفه: يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشِب، لقد اكتفى علي بطمريه من هذه الدنيا، ولكنه لم يكتف من الفضائل والمناقب إلاّ بكاملها وأكملها،

١٩٥، تاريخ أصبهان ٢/٢٩٠، شرح النهج ٣/١٥٣، المستدرک، الحاكم ٤/٨، تاريخ الطبري ٤/١٦٢، كنز العمال ٦/٢٦٢، تاريخ عمر لابن الجوزي، تاريخ الخلفاء، السيوطي ١٠٧، ١٤٠، تاريخ يعقوبي، العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤/٢٩٢، فيض القدير، ٤/٣٥٨، كنوز الحقائق ٩٢، حياة الحيوان الكبرى، الدميري ١/٧٤، مسند أحمد ١/٢١.

فلقد ضم ذلك المئزر البالي شريك التنزيل، ومستودع التأويل، وقسيم الجنة والنار، وسيد الكونين، وحجة الله على خلقه بعد الرسول الاعظم.

وهل يهتم الإمام بالملابس، وهو القائل: قيمة كل امرئ ما يحسن؟! وهل تدل مفاخر الثياب على العظمة والقداسة؟! لقد قال الإمام يصف دخول موسى وهارون على فرعون:

«ولقد دخل موسى بن عمران، ومعه اخوه هارون عليه السلام على فرعون، وعليها مدارع الصوف، وبأيديهما العصي، فشرط له إن أسلم بقا ملكه، ودام عزه فقال: ألا تعجبون من هذين يشترطان لي دوام العز وبقاء الملك، وهما بما ترون من حال الفقر والذل؟!»

فهلا ألتى عليها أساورة من ذهب؟! إعظماً للذهب وجمعه، واحتقاراً للصوف ولبسه.»

وجاء رجل موثر إلى رسول الله، وكان نقي الثوب، فجلس إلى جنبه، ثم جاء رجل معسر درن الثوب، فجلس إلى جنب الرجل الموسر، فقبض الموسر ثيابه وضمها، فقال له النبي ﷺ: أخفت أن يمسك من فقره شيء؟! قال: لا.

قال ﷺ: أخفت أن يوسخ ثوبك؟! قال: لا.

قال ﷺ: فما حملك على ما صنعت؟! قال: يا رسول الله ان لي قريناً يزين لي كل قبيح، ويقبح لي كل حسن، وقد جعلت لهذا الرجل نصف ما املك. فقال الرسول للمعسر: اتقبل؟ قال: لا.

فقال له الرجل الموسر: ولماذا؟! فقال: أخاف أن يدخلي ما دخلك ويزين لي الشيطان ما زين لك.

وجاء عن لباس الإمام عليه السلام: رأيت علياً عليه السلام وعليه قميص رازي إذا مدّ كفه بلغ الظفر وإذا أرخاه بلغ نصف الذراع^(١). وشاهدوا علياً عليه السلام عليه أزار مرقوق فقيل له فقال يخشع القلب ويقتدي به المؤمن وهو خليفة.

وكان عليه السلام يطوف في السوق وهو خليفة ومعه مخفقة وعليه رداء سنبلاني وقيص كرايس وازار كرايس إلى نصف ساقه الازار والقميص^(٢).

وكان علي عليه السلام يلبس اللباس الرقيق في الشتاء واللباس الكثيف في الصيف لدعاء النبي ﷺ له في خير^(٣).

وإذا قام القائم المهدي عليه السلام لبس لباس علي عليه السلام وسار بسيرته^(٤).

الخراج والصدقات

ووظيفتها تحصيل الأموال من الأراضي التي فتحها المسلمون عنوة، وأمّا عمال الصدقات فهم الذين يجبون زكاة الأموال وهي الغلات الأربعة، والأنتعام الثلاثة، والتقدين، ويشترط في هؤلاء العمال أن يكونوا أمناء فيما يجبونه من الناس وفيما ينفقونه على المرافق العامة، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في بيان موضوع الخراج والصدقات:

انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، ولا ترؤعن مسلماً، ولا تجتازن عليه كارهاً، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله في ماله، فإذا قدمت على الحي فانزل

(١) الطبقات، ابن سعد ٣ / ٢٧، كتاب الغارات ١ / ٦١، تاريخ دمشق ٣ / ٢٣٩، ترجمة أمير المؤمنين.

(٢) الطبقات الكبرى، ابن سعد ٣ / ٣٩.

(٣) تاريخ دمشق، ابن عساكر ٤٢ / ١٠٨.

(٤) الكافي، الكليني ٦ / ٤٤٤، وسائل الشيعة، الحر العاملي ٣ / ٣٤٨، تفسير الفيض الكاشاني ٢ / ١٩٢.

بماثهم من غير أن تخالط أبياتهم ، ثم امض إليهم بالسكينة والوقار ؛ حتى تقوم بينهم فتسلم عليهم ، ولا تخدج^(١) بالتحية لهم ، ثم تقول : عباد الله ، أرسلني إليكم ولي الله وخليفته ، لآخذ منكم حق الله في أموالكم ، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدوه إلى وليه ؟

فإن قال قائل : لا ، فلا تراجع ، وإن أنعم لك منعم^(٢) فانطلق معه من غير أن تخيفه ، أو توعدة ، أو تعسفه ، أو ترهقه^(٣) .

فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فإن كان له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلا بإذنه ، فإن أكثرها له ، فإذا أتيتها فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ولا عنيف به .

ولا تنفّر بهيمة ولا تفزعها ، ولا تسوّن صاحبها فيها ، واصدع المال صدعين^(٤) ثم خيرّه ، فإذا اختار فلا تعرض لما اختاره . ثم اصدع الباقي صدعين ، ثم خيرّه ، فإذا اختار فلا تعرض لما اختاره . فلا تزال كذلك حتى يبقى ما فيه وفاء لحق الله في ماله ؛ فاقبض حق الله منه .

فإن استقالك فأقله^(٥) ، ثم اخلطها ثم اصنع مثل الذي صنعت أولاً حتى تأخذ حق الله في ماله .

ولا تأخذنّ عوداً^(٦) ، ولا هرمة ، ولا مكسورة ، ولا مهلوسة ، ولا ذات عوار ، ولا تأمننّ عليها إلا من تتق بدينه ، رافقاً بمال المسلمين حتى يوصله إلى وليهم فيقسمه بينهم ، ولا توكل بها إلا ناصحاً شقيقاً وأميناً حفيظاً ، غير معنف ولا

(١) لا تخدج : أي لا تخیل .

(٢) يقصد به « المنعم » دافع الزكاة ، وهذا من روائع الأدب العلوي .

(٣) كان وكلاء أبي بكر وعمر وعثمان من الأعراب وطلقاء قريش الأجلاف .

(٤) صدعين : أي قسمين ؛ ليختار صاحب المال أيهما شاء .

(٥) فإن استقالك فأقله : أي إن طلب الإعفاء من هذه القسمة فأعفه منها .

(٦) العود : المسنّة من الإبل .

مجحف^(١) ، ولا ملغب^(٢) ولا متعب . ثم احذر^(٣) إلينا ما اجتمع عندك نصيره حيث أمر الله به ، فإذا أخذها أمينك فأوعز إليه ألا يحول بين ناقة وبين فصيلها ، ولا يمصر^(٤) لبنها فيضّر ذلك بولدها ؛ ولا يجهدّها ركوباً ، وليعدل بين صواحباتها في ذلك وبينها وليرفقه على اللاغب^(٥) ، وليستأن بالنقب^(٦) والظالع ، وليوردها ما تمرّ به من الغدر^(٧) ، ولا يعدل بها عن نبت الأرض إلى جواد الطرق ، وليروحها في الساعات ، وليلهلها عند النطاف^(٨) والأعشاب ، حتى تأتينا بإذن الله بدناً منقيات غير متعبات ، ولا مجهودات ، لتقسمها على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن ذلك أعظم لأجرك ، وأقرب لرشدك ، إن شاء الله^(٩) .

يبين هذا العهد الرائع من أمير المؤمنين نظرية كاملة في الأخلاق ومشروعاً حضارياً في الإدارة والجدلية لم تعرفه البشرية في تاريخها ولم تقرأه في كتبها ، فقد طمسها الأمويون وأخفوها .
وأصبح قانون الضريبة الإسلامية في عهد الثلاثة أبي بكر وعمر وعثمان ظالماً ومجحفاً في حق المسلمين وغيرهم متسبباً في حروب وردّات كثيرة .

قول علي عليه السلام لما أنكروا عليه مساواته في القسم

قال الإمام عليه السلام : الحمد لله ولي الحمد ، ومنتهى الكرم ؛ لا تدركه الصفات ، ولا

(١) المجحف : الذي يشتد في سرق الأنعام حتى تهزل .

(٢) اللغب : التعب .

(٣) احذر : أي اسرع .

(٤) يمصر اللبن : تقليله بالحلب .

(٥) اللاغب : الذي أعياه التعب .

(٦) النقب : الخرق .

(٧) الغدر : هو ما غادره السيل من الماء .

(٨) النطاف : المياه القليلة .

(٩) نهج البلاغة ، محمّد عبده ٢٣ / ٣ - ٢٦ .

يحدّ باللغات، ولا يعرف بالغايات. ربّنا وإلهنا ووليّ التعم علينا، الذي أصبحت نعمه علينا ظاهرةً وباطنةً بغير حولٍ مِنَّا ولا قوّة، إلّا امتناناً منه علينا وفصلاً ليلبونا أنشكر أم نكفر؛ فمن شكر زاده، ومن كفر عدّبه.

وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، أحداً صمداً.

وأشهد أنّ محمداً ﷺ عبده ورسوله، نبيّ الهدى، وموضع التقوى، ورسول الربّ الأعلى؛ بعثه رحمةً للعباد والبلاد، والبهاشم والأنعام، نعمةً أنعم بها علينا ومثلاً وفصلاً.

جاء بالحقّ من عند الحقّ، لينذر بالقرآن المنير، والبرهان المستنير، فصدع بالكتاب المبين، ومضى على ما مضى عليه الرّسل الأوّلون.

أمّا بعد؛ أيها النّاس؛ إنّ آدم لم يلد عبداً ولا أمةً؛ وإنّ النّاس كلّهم أحرارٌ؛ ولكنّ الله حوّل بعضكم بعضاً، فمن كان له بلاةٌ فصر في الخير فلا يمنّ به على الله - عزّ وجلّ -

فأفضل النّاس عند الله منزلةً، وأقربهم من الله وسيلةً، أطوعهم لأمره، وأعملهم بطاعته، وأتبعهم لسنة رسول الله ﷺ وأحياهم لكتابه.

فليس لأحد من خلق الله عندنا فضلٌ إلّا بطاعة الله وطاعة الرّسول؛ يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (١).

فمن اتقى الله فهو الشّريف المكرّم المحبّ؛ وكذلك أهل طاعته وطاعة رسول الله.

قال الله تبارك وتعالى في كتابه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢).

(١) الحجرات ١٣.

(٢) آل عمران ٣١.

وقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ﴾ (١).

يا معشر المهاجرين والأنصار؛ ويا معاشر المسلمين؛

اتّمتن على الله وعلى رسوله بإسلامكم ﴿بَلِ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢).

ألا فلا يقولنّ رجالٌ منكم غداً، قد كانت الدّنيا غمرتهم، فاتّخذوا العقار، وفجّروا الأنهار، وركبوا أفره الدّوابّ، ولبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً إن لم يغفر لهم الغفّار، إذا ما منعتم ممّا كانوا فيه يخوضون، وصيرتم إلى حقوقهم التي يستوجبون، فينتقمون ذلك ويستنكرون، ويقولون: ظلمنا ابن أبي طالبٍ وحرمنا، ومنعنا حقوقنا. فالله عليهم المستعان.

ألا وأيما رجلٍ من المهاجرين والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ يرى أنّ الفضل له على ما سواه لصحبته، فإنّ له الفضل الثّير غداً عند الله، وثوابه وأجره على الله.

وأَيما رجل استجاب لله ولرسوله، فصدّق ملّتنا، ودخل في ديننا، واستقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، وشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله؛ فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، وأجرينا عليه أحكام القرآن وأقسام الإسلام؛ ليس لأحدٍ على أحدٍ فضلٌ إلّا بتقوى الله وطاعته.

ألا وإنّ للمتّقين غداً عند الله تعالى أحسن الجزاء والمآب، وأفضل الثّواب.

ولم يجعل الله تبارك وتعالى الدّنيا للمتّقين جزاءً ولا ثواباً،

﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾ (٣).

(١) آل عمران ٣٢.

(٢) الحجرات ١٧.

(٣) آل عمران ١٩٨. ووردت الفقرات في الكافي ٥٧ / ٨، وشرح ابن أبي الحديد ٣٦ / ٧

ألا وإن هذه الدنيا التي أصبحت تمنونها وترغبون فيها، فأصبحت تنضبكم وترضيكم، ليست بداركم، ولا منزلكم الذي خلقتم له، ولا الذي دعيتم إليه. ألا وإنها ليست بباقية لكم ولا تبقون عليها. فلا يغرتكم عاجلها فقد حذرتوها، ووصفت لكم وجربتموها؛ فأصبحت لا تحمدون عاقبتها^(١).

وهي وإن غرتكم منها فقد حذرتكم شرها؛ فدعوا غرورها لتحذيرها، وأطاعها لتخويفها؛ وسابقوا فيها، رحمكم الله^(٢)، إلى الدار التي دعيتم إليها وانصرفوا بقلوبكم عنها ولا يخنن أحدكم خنين الأمة على ما زوي عنه منها.

وانظروا، يا معشر المهاجرين والأنصار، وأهل دين الله، فيما وصفتكم به في كتاب الله، ونزلتم به عند رسول الله ﷺ، وجاهدتم عليه في ذات الله؛ فبم فضلتم، أبا لحسب أم بالنسب، أم بعمل، أم بطاعة وزهادة؟

فسارعوا، رحمكم الله، إلى منازلكم التي أمرتم بعمارها، فإنها العامرة التي لا تحرب، والباقية التي لا تنفد؛ التي دعاكم الله إليها، وحضكم عليها، ورغبكم فيها، وجعل الثواب عنده عنها.

فاستتموا^(٣) نعمة الله عزّ ذكره -^(٤) عليكم بالصبر على طاعة الله، والذلّ لحكمه جلّ تناؤه -^(٥)، والمحافظة على ما استحفظكم من كتابه.

ألا وإنه لا يضركم تضييع شيءٍ من دنياكم بعد حفظكم قائمة دينكم. ألا وإنه لا ينفعكم بعد تضييع دينكم شيءٌ مما حافظتم عليه من أمر دنياكم.

وتحف العقول ١٢٩. والبحار (مجلد قديم) ٨ / ٣٩٣. ونهج السعادة ١ / ٢١٢، ٢٢٠ باختلاف يسير.

(١) ورد في تحف العقول للحزاني ١٣٠، ونهج السعادة للحزاني ١ / ٢١٤.

(٢) ورد في تحف العقول للحزاني ١٣٠، ونهج السعادة للحزاني ١ / ٢١٤.

(٣) ورد في الكافي ٨ / ٢٩٦، وتحف العقول ١٣٠، ونهج السعادة ١ / ٢٢١.

(٤) ورد في الكافي ٨ / ٢٩٦، ونهج السعادة ١ / ٢٢١.

(٥) ورد في.

فعليكم، عباد الله، بالتسليم لأمره، والرّضا بقضائه، والصبر على بلائه، والشكر على نعمائه.

فأمّا هذا النبيّ فليس لأحدٍ على أحدٍ فيه أثرٌ، فقد فرغ الله عزّ وجل من قسمته؛ فمن لم يرض فليس ممّنّا ولا إلينا، «و» ليتولّ كيف شاء.

فإنّ العامل بطاعة الله، والحاكم بحكم الله، لاخشية ولا وحشة عليه من ذلك، أولئك الذين «لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ»^(١)، و«أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢).

وإذا كان غداً، إن شاء الله، فاغدوا علينا؛ فإنّ عندنا ما لا تقسمه فيكم. ولا يتخلّفن أحدٌ منكم؛ عربيٌّ ولا أعجميٌّ، كان من أهل العطاء أو لم يكن، إلاّ حضر إذا كان مسلماً حرّاً.

يا معشر المهاجرين والأنصار؛

يا معشر قريش؛

إعلموا، والله، أنّي لا أزوروكم من فيثكم شيئاً ما قام لي عذقٌ يثرب.

ولأسويين بين الأحمر والأسود.

أفتروني مانعاً نفسي وولدي ومعطيكم؟!^(٣)

أخذ الله^(٤) بقولنا وقلوبكم على الحقّ، وأهملنا وإيّاكم الصبر.

ونسأل الله ربّنا وإلهنا أن يجعلنا وإيّاكم من أهل طاعته، وأن يجعل رغبتنا

ورغبتكم فيما عنده.

(١) يونس ٦٢.

(٢) آل عمران ١٠٤.

(٣) ورد في الاختصاص للمفيد ١٥١، وشرح ابن أبي الحديد ٧ / ٣٧، وتحف العقول

١٣٠، ونهج السعادة ١ / ٢١٧، باختلاف يسير.

(٤) من: أخذ الله إلى: وإيّاكم الصبر ورد في خطب الشريف الرضي تحت الرقم ١٧٣.

أقول ما سمعتم ، وأستغفر الله العظيم لي ولكم .

فقام إليه أخوه عقيل فقال : لتجعلني وأسوداً من سودان المدينة واحداً؟
فقال عليه السلام :

إجلس رحمك الله تعالى أما كان هاهنا من يتكلم غيرك؟!
وما فضلك عليهم إلا بسابقة أو تقوى؟! (١)

عمار بن ياسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

ذكر الثقيفي في تاريخه : خطب عثمان الناس ثم قال فيها : والله لأؤثرن بني أمية ، ولو كان بيدي مفاتيح الجنة لأدخلتهم (٢) إياها ، ولكني سأعطيهم من هذا المال على رغم أنف من زعم (٣)

فقال عمار بن ياسر : أنبي والله ترغم (٤) من ذلك .

قال عثمان : فأرغم الله أنفك .

فقال عمار : وأنف أبي بكر وعمر ترغم .

قال : وإني لهنالك يا ابن سمية ! ثم نزل إليه فوطأه ، فاستخرج من تحته وقد غشي عليه وفتقه .

وذكر الثقيفي ، عن شقيق قال : كنت مع عمار فقال : ثلاث يشهدون على عثمان وأنا الرابع ، وأنا أسوء الأربعة ،

« وَمَنْ لَمْ يَخُكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ » (٥)

(١) ورد في الاختصاص للمفيد ١٥١ ، وشرح ابن أبي الحديد ٣٧ / ٧ ، وتحف العقول ١٣٠ ، ونهج السعادة ٢١٧ / ١ ، باختلاف يسير .

(٢) في البحار : « لأدخلتهم » .

(٣) في البحار : « رغم » .

(٤) في النسخة : « ترغم » .

(٥) المائدة ٤٤ .

« وَمَنْ لَمْ يَخُكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ » (١) ، « وَمَنْ لَمْ يَخُكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ » (٢) ، وأنا أشهد لقد حكم بغير ما أنزل الله .

وعن الثقيفي في تاريخه قال رجل لعمار يوم صفين : على (٣) ما تقاتلهم يا أبا اليقظان ؟ قال : على أنهم زعموا أن عثمان مؤمن ، ونحن نزعم أنه كافر .

وعنه في تاريخه ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير الحرشي قال : انتهيت إلى عمار في مسجد البصرة وعليه برنس والناس قد أطافوا به وهو يحدثهم عن (٤) أحداث عثمان وقتله (٥) .

(١) المائدة ٤٥ .

(٢) المائدة ٤٧ .

(٣) من البحار .

(٤) في البحار : « من » .

(٥) المعارف ٢٧٣ .

وأما مروان فسَخَّفت أباه عند عثمان إذ ضمَّه إليه ، ونحن إخوانك ونظراؤك من بني عبد مناف ، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عتًا ما أصبناه من المال في يوم عثمان ، وأن تقتل قتلة عثمان ، وإنا إن خفناك تركناك والتحقنا بالشام .

فقال ﷺ : أما ما ذكرتم من وتري إيتاكم فالحق وتركم ، وأما وضعي عنكم ما أصبتم ، فليس لي أن أضع حقَّ الله عنكم ولا عن غيركم ؛ وأما قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس ، ولكن لكم عليَّ إن خفتموني أن أؤتمنكم ، وإن خفتكم أن أسيِّركم .

فقام الوليد إلى أصحابه فحدَّثهم ، فافترقوا على إظهار العداوة وإشاعة الخلاف ولما أنهى عمار وعبدالله بن رافع وغيرهما من تقسيم المال بين الناس بالسوية أخذ عليٌّ ﷺ مكنله ومساته ، ثم انطلق إلى بئر الملك فعمل فيها ، فأخذ الناس ذلك القسم ، حتَّى بلغوا الزبير وطلحة وعبدالله بن عمر فأمسكوا أيديهم ، وامتنعوا عن القبول وقالوا : هذا منكم ، أو من صاحبكم ؟

فقالوا : هذا أمره ، لا نعمل إلاَّ بأمره .

قالوا : استأذنوا لنا عليه .

قالوا : ما عليه آذن ، هو في بئر الملك يعمل .

ركبوا دوابهم حتَّى جاؤوا إليه ، فوجدوه في الشمس ومعه أجير له ، فقالوا :

إنَّ الشمس حارَّة ، فارتفع معنا إلى الظلِّ .

فارتفع معهم إلى الظلِّ ، فقالوا له : لنا قرابة من نبي الله ، وسابقة جهاد ، وإنَّك

أعطيتنا بالسوية ، ولم يكن عمر ولا عثمان يعطونا بالسوية ، كانوا يفضلوننا على غيرنا .

فقال ﷺ : فهذا قسم أبي بكر ، وإلاَّ تدعوا أبا بكر وغيره ، وهذا كتاب الله

فانظروا ما لكم من حقِّ فخذوه .

قالوا : فسأبقنا .

الفصل الثالث : معركة الجمل

أحداث المدينة قبل معركة الجمل

نزل قوله تعالى : ﴿ فَأَيًّا تَدْهَبِينَ يَكُ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ ﴾ (١) .

أي منتقمون من اعداء الإمام عليٍّ ﷺ .

فينتقم الله تعالى من الناكثين والقاسطين والمارقين (٢) .

وقال السيوطي : نزلت في عليٍّ ﷺ أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين

والمارقين بعدي (٣) .

وقسم الإمام ﷺ بيت المال بين المسلمين وتخلَّف عن القسمة يومئذ طلحة ،

والزبير ، وعبدالله بن عمر ، وسعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، ورجال من

قريش ، ومن هنا بدأت التفرقة ، ونشب الخلاف ، وتولدت الفتنة .

وأقبل هؤلاء وجلسوا في ناحية من المسجد ، ولم يجلسوا عند الإمام ﷺ ، ثمَّ

قام الوليد بن عقبة فجاء إلى الإمام ، فقال :

يا أبا الحسن ، إنَّك قد وترتنا جميعاً ، أما أنا ، فقتلت أبي يوم بدر صبراً ،

وخذلت أبي يوم الدار بالأمس .

وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب ، وكان ثور قريش .

(١) الزخرف ٤١ .

(٢) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كتر العمال ٦ / ١٥٤ ،

الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ،

المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١

/ ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

(٣) الفردوس ٣ / ١٥٤ / ٤٤١٧ ، الدر المنثور ٧ / ٣٨٠ .

قال: أنتم أسبق مني؟

قالوا: لا، فقرابتنا من النبي.

قال: أقرب من قرابتي؟

قالوا: لا، فجهادنا.

قال: أعظم من جهادي؟

قالوا: لا.

قال: فوالله ما أنا في هذا المال وأجيري إلا منزلة سواء.

وفي اليوم الثاني جاء طلحة، والزبير، وجلسا في ناحية المسجد، وجاء مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وعبدالله بن الزبير، وجلسوا عندهما، وكان هؤلاء قد امتنعوا عن أخذ قسمتهم من بيت المال وجعلوا يطعنون في أمير المؤمنين عليه السلام والتفت عمار بن ياسر إلى أصحابه وهم جلوس عنده في ناحية أخرى من المسجد، فقالوا: هلموا إلى هؤلاء نفر من إخوانكم، فإنه قد بلغنا عنهم، ورأينا ما نكره من الخلاف والظعن لإمامهم، وقد دخل أهل الجفاء بينهم وبين الزبير والأعسر العاق. يعني طلحة.

قام عمار ومن معه حتى جلسوا عندهم فتكلم أبو الهيثم وقال: إن لكم قدماً في الإسلام، وسابقة، وقرابة من أمير المؤمنين، وقد بلغنا عنكم ظعن وسخط لأمر المؤمنين، فإن يكن أمر لهما خاصة، فعاتبنا ابن عمكما، وإمامكما، وإن تكن النصيحة للمسلمين، فلا تؤخرنا عنه، ونحن عون لكما، فقد علمنا أن بني أمية لن تنصحكما أبداً، وقد عرفنا عداوتهم لكما، وقد شركنا في دم عثمان، وملأنا.

فسكت الزبير، وصاح طلحة بصوت عالٍ: افزعوا جميعاً مما تقولون، فإنني قد عرفت أن في كل واحد منكم خطبه.

فتدخل عمار وأبدى النصيحة، وتقدم ابن الزبير وتكلم بكلام خشن، فأمر عمار بإخراج ابن الزبير من المسجد، فقام الزبير منزعاً من هذا العمل، وخرج

من المسجد.

فقال عمار: ولو لم يبق أحد إلا خالف علي بن أبي طالب لما خالفته، ولا زالت يدي مع يده، وذلك أن علياً لم يزل مع الحق منذ بعث الله نبيه محمد عليه السلام، فإنني أشهد أن لا ينبغي لأحد أن يفضل عليه أحد.

فقام عمار وجماعته وجاؤوا إلى أمير المؤمنين، وأخبروه بانشقاق القوم وأنهم كرهوا الأسوة والقسمة بالسوية، إلى آخر كلامهم.

فخرج الإمام من داره ودخل المسجد وصعد المنبر وقال بعد الحمد والثناء على الله: يا معشر المهاجرين والأنصار: أتمنون على الله ورسوله بإسلامكم؟ بل الله يني عليكم أن هداكم للإيمان إن كنتم صادقين؛ أنا أبو الحسن وكان يقولها إذا غضب - ألا إن هذه الدنيا التي تمتونها، وترغبون فيها، وأصبحت تغضبكم وترضيكم ليست بداركم ولا منزلكم الذي خلقتم له، فلا تغرنكم. وأما هذا الفناء (المال) فليس لأحد أثره، فقد فرغ الله من قسمته، وهو مال الله، وأنتم عباد الله المسلمون، وهذا كتاب الله، به أقرنا وله أسلمنا، وعهد نبينا بين أظهرنا، فمن لم يرض فليتناول كيف شاء، فإن العامل بطاعة الله الحاكم بحكم الله لا وحشة عليه.

ثم نزل الإمام عن المنبر وصلى ركعتين، ثم بعث بعمار بن ياسر إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد، فدعاها، فجاء طلحة والزبير وجلسا عند أمير المؤمنين عليه السلام فقال الإمام: نشدكما الله، هل جئتاني طائعين للبيعة ودعوتاني إليها وأنا كارها لها؟

فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: غير مجبورين ولا معسورين، فأسلمت لي بيعتكما، وأعطيتاني

عهدكما؟

فقال الرجلان: نعم.

فقال الإمام: فما دعاكما إلى ما أرى؟

فقال الرجلان: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقضي في الأمور، ولا تقطعها دوننا، وأن تستشيرنا في كل أمر، ولا تستبدّ بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، فأنت تقسم القسم وتقطع الأمور وتقضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا.

فقال الإمام غاضباً: لقد نعمتاً يسيراً، وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تحبّراني، أذفتكما عن حقّ واجب لكما فظلمتكما إياه؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فهل استأثرت من هذا المال بشيء؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: أوقع حكم أو حدّ من المسلمين فجهلته أو ضعفت فيه؟

فقال الرجلان: معاذ الله.

فقال الإمام: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟

فقال الرجلان: خلافك عمر بن الخطّاب في القسم، إنك جعلت حقّنا في

القسم كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيلنا ورجلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذنا قسراً وقهراً ممن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً.

فقال الإمام عليه السلام: أمّا ما ذكرتماه من الاستشارة بكما، فوالله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنكم دعوتوني إليها وجعلتموني عليها، فخفت أن أردكم فتختلف الأمة، فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنة رسوله فأمضيت ما دلّاني عليه وأتبعته، ولم أحتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنة برهانه واحتيج إلى المشاورة لشارورتكما فيه.

وأما القسم والأسوة: فإنّ ذلك أمر لم أحكم فيه بادئ بدء، وقد وجدت أنا وأنتم رسول الله ﷺ يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه

الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزّل من حكيم حميد.

وأما قولكما: « جعلت فينا وأسيافنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا » فقد يمّا سبق إلى الإسلام قوم، ونصروه بسيوفهم ورماحهم، فلا فضّلهم رسول الله بالقسم، ولا آثر بالسبق، والله سبحانه موفّ السابق والمجاهد يوم القيامة بأعمالهم، وليس لكما، والله، عندي ولا لغيركما إلّا هذا.

أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإياكم الصبر، رحم الله امرئ رأى حقاً، فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه، وكان عوناً للحقّ على من خالفه.

قام طلحة والزبير وانصرفا من عند أمير المؤمنين عليه السلام وهما مغضبان ساخطان، وقد عرفا ما كان غلب في ظنهما من رأيه، وبعد يومين جاء واستأذنا عليه فأذن لهما.

فقالا: يا أمير المؤمنين، قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدّة، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً تصلح به أحوالنا، ونقضي به حقوقاً علينا.

فقال أمير المؤمنين عليه السلام: قد عرفتما مالي بـ « ينبع » فإن شئتما كتبت لكما منه ما تيسر.

فقالا: لا حاجة لنا في مالك بـ « ينبع ».

فقال أمير المؤمنين: ما أصنع؟

فقالا: اعطنا من بيت المال شيئاً لنا فيه كفاية.

فقال أمير المؤمنين: سبحان الله وأي يد لي في بيت مال المسلمين وأنا خازنهم وأمين لهم؟! فإن شئتما رقيتما المنبر وسألتما ذلك من الناس ما شئتما، فإن أذنوا فيه فعلت، وأنتي لي بذلك وهو لكافة المسلمين شاهدهم وغائبهم؟! ولكنّي أبدأ لكما عذراً.

فقالا: ما كتنا بالذي نكلّف ذلك، ولو كلّفناك لما أجابك المسلمون.

فقال أمير المؤمنين: فما أصنع؟

فقالا: سمعنا ما عندك .

ثم خرجا من دار أمير المؤمنين ، وقد يتسا من بيت المال ، فجعلوا يفكران في كيفية الخروج إلى مكة ، والإلتحاق بعائشة ، إلى أن صار رأيها على هذا ، وجاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقت خلوته وقالوا : قد جئناك نستأذنك للخروج في العمرة ، لأننا بعيدا العهد بها ، فأذن لنا فيها .

ف نظر الإمام في وجهيهما ، وقرأ الغدر من فلتات لسانها ودوران عيونها ، وقد احمرَّ وجهه وبان الغضب فيه فقال :

والله ، ما تريدان العمرة ، ولكنكما تريدان الغدرة ، وإنما تريدان البصرة .

فقال الرجلان : اللهم غفراً ، ما نريد إلا العمرة .

فقال الإمام : احلفا لي بالله العظيم أنكما لا تفسدان عليَّ أمر المسلمين ، ولا تنكثان لي بيعة ولا تسعيان في فتنة .

فحلفا بالأيمان المؤكدة فيما استحلفها عليه من ذلك .

فخرج الرجلان من عنده ، فلقبها ابن عباس سائلاً : أذن لكما الإمام ؟ فقالا : نعم .

ودخل ابن عباس على الإمام فابتدأه الإمام عليه السلام قائلاً : يا ابن عباس ، أعتدك الخير ؟ إنما استأذنا في العمرة ، فأذنت لها بعد أن أوثقت منها بالأيمان أن لا يغدرا ، ولا ينكثا لي بيعة ، ولا يحدثا فساداً ، ولا يسعيان في فتنة ، فحلفا بالأيمان . وبعد هنيئة قال :

والله يا ابن عباس ، إنِّي لأعلم أنَّهما ما قصدا إلا الفتنة ، فكأني بهما وقد صارا إلى مكة ليسعيا إلى حربي ، وإنَّ يعلى بن منية الخائن الفاجر قد حمل أموال العراق وفارس لينفقها في ذلك ، وسيفسد هذان الرجلان عليَّ أمري ، ويسفكا دماء شيعتي وأنصاري .

فقال ابن عباس : إذا كان ذلك عندك يا أمير المؤمنين معلوماً ، فلم أذنت لها ؟

هلاً حبستها ، وأوثقتها بالحديد وكفيت المؤمنين شرها ؟

فقال الإمام متعجباً : يا ابن عباس ، أتأمرني بالظلم ابتداءً ؟ وبالسيئة قبل الحسنه ؟ وأعاقب على الظنة والتهمة ؟ وأخذ بالفعل قبل كونه ؟ كلاً والله ، لا عدلت عما أخذ الله عليَّ من الحكم والعدل .

يا ابن عباس ، إنني أذنت لها وأعرف ما يكون منها ، ولكني استظهرت بالله عليهما ، والله لأقتلنهما ولأخيبن ظنهما ، ولا يلقيان من الأمر مناهما ، وإنَّ الله يأخذهما بظلمهما لي ؛ ونكتها بيعتي ، وبغيها عليَّ^(١) .

طلب طلحة والزبير للمال مع ثرائهما العظيم

جاء طلحة والزبير للإمام عليه السلام واستأذنا عليه ، فأذن لها ، وكان في عليَّة في داره ، فصعدا إليه وجلسا عنده بين يديه ، وقالوا : يا أمير المؤمنين ، قد عرفت حال هذه الأزمنة وما نحن فيه من الشدة ، وقد جئناك لتدفع إلينا شيئاً نصلح به أحوالنا ، ونقضي به حقوقاً علينا !

فقال عليه السلام : قد عرفتما ما لي بينبع^(٢) ، فإنَّ شئتما كتبت لكما منه ما تيسر !!

فقالا : لا حاجة لنا في مالك بينبع .

فقال لها : فما أصنع ؟

فقالا له : أعطنا من بيت المال شيئاً فيه لنا كفاية .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : سبحان الله ! وأي يد لي في بيت المال ! ذلك للمسلمين ، وأنا خازنهم وأمين لهم ، فإن شئتما رقيت المنبر وسألتم ذلك مما شئتما ، فإن أذونا فيه فعلت . وأي لي بذلك وهو لكافة المسلمين ؛ شاهدهم وغائبهم !! لكني

(١) حلية الأبرار ، البحراني ٢ / ٢٥ ، البحار ٩٧ / ٣٦٦ ، شرح النهج ١ / ٢٢٢ ، الجمل ، المفيد ٨٩ ، أعلام الوري ، الطبرسي ١ / ٢٣٧ .

(٢) يُنْبَعُ : بليدة بالقرب من المدينة ، بها عيون وحضر وحصن (تقويم البلدان ٨٩) .

أبلي لكما عذراً.

قالا: ما كنا بالذي يكلفك ذلك، ولو كلفناكه لما أجا بك المسلمون.

فقال لها: فما أصنع؟

قالا: سمعنا ما عندك^(١).

وفي رواية لم يكن [بعد بيعة علي عليه السلام] إلا يسيراً حتى دخل عليه طلحة والزبير، فقالا: يا أمير المؤمنين، إن أرضنا أرض شديدة، وعيالنا كثير، ونفقتنا كثيرة!

قال: ألم أقل لكم إنني لا أعطي أحداً دون أحد؟!

قالا: نعم.

قال: فأتوني بأصحابكم، فإن رضوا بذلك أعطيتكم، وإلا لم أعطكم دونهم. ولو كان عندي شيء أعطيتكم من الذي لي لو انتظرت حتى يخرج عطائي أعطيتكم من عطائي.

فقالا: ما نريد من مالك شيئاً، وخرجنا من عنده. فلم يلبثنا إلا قليلاً حتى دخلا عليه، فقالا: أتأذن لنا في العمرة؟

قال: ما تريدان العمرة، ولكن تريدان الغدرة^(٢).

وجاء: أمّ الإمام علي عليه السلام عمار بن ياسر، وعبيد الله بن أبي رافع، وأبا الهيثم بن تيهان، أن يقسموا فينبأ بين المسلمين، وقال لهم: اعدلوا فيه، ولا تفضلوا أحداً على أحد.

فحسبوا، فوجدوا الذي يصيب كل رجل من المسلمين ثلاثة دنانير، فأعطوا

(١) الجمل ١٦٤.

(٢) المناقب للخوارزمي، طبعة مكتبة نينوى ١١٢ وطبعة مؤسسة النشر الإسلامي ١٧٨ / ٢١٦ وفيه جميع ضمائر المثني بصيغة الجمع، تذكرة الخواص ٥٩ نحوه، وراجع الكافي ١٤ / ١٢ و ١٣.

الناس. فأقبل إليهم طلحة والزبير، ومع كل واحد منهما ابنه، فدفعوا إلى كل واحد منهم ثلاثة دنانير. فقال طلحة والزبير: ليس هكذا كان يعطينا عمر! فهذا منكم أو عن أمر صاحبكم؟ قالوا: بل هكذا أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام.

فضيا إليه، فوجداه في بعض أمواله قائماً في الشمس على أجير له يعمل بين يديه، فقالا: ترى أن ترتفع معنا إلى الظل؟ قال: نعم.

فقالا له: إننا أتينا إلى عمالك على قسمة هذا النية، فأعطوا كل واحد منا مثل ما أعطوا سائر الناس!

قال: وما تريدان؟!

قالا: ليس كذلك كان يعطينا عمر!

قال: فما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيكم؟ فسكتا، فقال علي عليه السلام: أليس كان صلى الله عليه وسلم

يقسم بالسوية بين المسلمين من غير زيادة؟!

قالا: نعم.

قال: أفستنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى بالاتباع عندكم، أم سنة عمر؟!

قالا: سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن يا أمير المؤمنين لنا سابقة وعناء وقراية،

فإن رأيت أن لا تسوينا بالناس فافعل.

قال: سابقتكما أسبق، أم سابقتي؟ قالا: سابقتك.

قال: فقرايتكما أقرب، أم قرايتي؟ قالا: قرايتك.

قال: فعناؤكما أعظم أم عنائي؟ قالا: بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم عناءً.

قال: فوالله، ما أنا وأجيري هذا في هذا المال إلا بمنزلة واحدة^(١)!

(١) دعائم الإسلام ١ / ٣٨٤، المناقب لابن شهر آشوب ٢ / ١١١ نحوه وفيه من «قالا: ليس كذلك...»، بحار الأنوار ٤١ / ١١٦ / ٢٣.

اجتماع جند الجمل في مكة

الاسئلة المفروضة هنا هي: هل سمى النبي ﷺ لعائشة اسم بعيرها وأوصافه؟ وكيف كانت العلاقة بين جنود عائشة وهم متعادون؟ ثقافة مكة ثقافة جاهلية بعيدة عن الدين والأخلاق والأعراف الأصيلة لذا لم يتفق أهالي مكة مع رسول الله ﷺ. وبعد فتحه لمكة عاد النبي ﷺ إلى المدينة لسوء الثقافة في مكة وعلو الأخلاق والدين في المدينة. ففشل طلحة والزبير في مسعاها في المدينة وجاء إلى مكة لتواجد بذور الفرقة والفتنة فيها.

فوجدنا بني أمية قد أحاطوا بعائشة، ولحق بها جماعة من منافقي قريش، عبيد الله بن عمر، ومروان بن الحكم، وأولاد عثمان، وعبيده وخاصته من بني أمية، وجعلوا عائشة ملجأ لهم فيما دبروه من كيد للإمام عليه السلام، وصار كل من يبغض علياً، أو يحسده، أو يخاف منه استيفاء الحقوق منه، يلتحق بهذه الجماعة. وعائشة تنعى عثمان وتبرأ من قاتله، وتحرض الناس على عداوة الإمام، وتظهر بأن علياً قتل عثمان ظلماً.

فرح عائشة بمقتل عثمان وتولي طلحة الزعامة

ولما وصلت عائشة إلى مكة، وأدت مناسك الحج، بلغها خبر قتل عثمان فاستبشرت وقالت للناعي: قتلته أعماه، إنه أحرق كتاب الله، وأمات سنة رسول الله فقتلوه، ومن بايع الناس؟ فقال الناعي: لم أبرح من المدينة حتى أخذ طلحة نعاجاً لعثمان وعمل مفاتيح لأبواب بيت المال، ولا شك أن الناس بايعوه.

فقال عائشة وهي فرحة: بُعداً لعنل وسحقاً! إيه ذا الأصبح! إيه أبا شبل! إيه ابن عم! الله أبوك يا طلحة، أما إيتهم وجدوا طلحة لها كفواً، لكأني أنظر إلى

أصبعه وهو يبائع احتووها لا بل دغدغوها! وجدوك لها محسناً، ولها كافياً، شدوا رحلي فقد قضيت عمري، لأتوجه إلى منزلي.

سارت عائشة حتى إذا وصلت إلى موضع يقال له (شرقاء) لقيها رجل يقال له: عبيد بن أم كلاب، فسألته عائشة: ما الخبر؟ فقال الرجل: قتل عثمان.

فقال عائشة: قتل نعثل! أخبرني عن قصته وكيف كان أمره؟

فقال الرجل: لما أحاط الناس بالدار، رأيت طلحة قد غلب على الأمر، واتخذ مفاتيح على بيوت الأموال والخزائن، وتهيباً لبياع له، فلما قتل عثمان مال الناس إلى علي بن أبي طالب عليه السلام، ولم يعدلوا به طلحة ولا غيره، وخرجوا في طلب علي عليه السلام، يقدمهم الأستر ومحمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر، حتى إذا أتوا علياً وهو في بيت سكن فيه قالوا له: بايعنا على الطاعة لك. وكان علي يتفكر ساعة، فقال الأستر: يا علي، إن الناس لا يعدلون بك غيرك فبايع قبل أن يختلف الناس. وكان في الجماعة طلحة والزبير، فظننت أن سيكون بين طلحة والزبير وعلي بن أبي طالب كلام قبل ذلك، فقام طلحة والزبير فبايعا، وأنا أرى أيديهما على يد علي عليه السلام يصفقانهما بييعته، ثم صعد علي بن أبي طالب المنبر، فتكلم بكلام لا أحفظه إلا أن الناس بايعوه يومئذ على المنبر من الغد، فلما كان اليوم الثالث خرجت ولا أعلم.

فقال عائشة: لو دددت أن السماء انطبقت على الأرض إن تم هذا، أنظر ماذا تقول؟! فقال الرجل: هو ما قلت لك يا أم المؤمنين.

فقال عائشة: إنا لله، أكره والله هذا الرجل، وغضب علي بن أبي طالب أمرهم، وقتل خليفة الله مظلوماً، ردوا بغالي، ردوا بغالي.

فقال الرجل: ما شأنك يا أم المؤمنين؟ والله، ما أعرف بين لابتها أحداً أولى بها من علي، ولا أحق، ولا أرى له نظيراً فلماذا تكرهينه؟ فسكتت عائشة ولم ترد

جواباً ، وعزمت على الرجوع إلى مكة .

وفي طريقها رآها قيس بن حازم فقالت عائشة تخاطب نفسها : قتلوا ابن عقان مظلوماً .

فقال قيس : يا أم المؤمنين ، ألم أسمعك آنفاً تقولين : أبعد الله ؛ وقد رأيتك قبل أشد الناس عليه ، وأقبحهم فيه قولاً؟!!

فقالت عائشة : لقد كان ذلك ، ولكن نظرت في أمره فرأيتهم استتابوه حتى إذا تركوه كالفضة البيضاء أتوه صائماً محرماً في شهر حرام فقتلوه .

وهذا يبين تبعية عائشة لانفعالاتها وعدم ورعها عن الكذب والافتراء !!
فقال عبيد بن أم كلاب :

فمنك البداء ومنك الغير	ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام	وقلت لنا : إنه قد كفر
فهنا أطمعناك في قتله	وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا	ولم تنكسف شمسنا والقمر
وقد بايع الناس ذا تُدرٍ	بزيل الشبا ويقم الصعر
ويلبس للحرب أوزارها	وما من وقى مثل من قد عثر

وصلت عائشة إلى مكة ، وجاءها رجل يقال له : يعلى بن منية ، وكان من بني أمية وشيعة عثمان ، وقال لها : قد قتل خليفتك الذي كنت تحرضين على قتله .

فقالت عائشة : برئت إلى الله ممن قتله .

فقال الرجل : الآن أظهرى البراءة ثانياً من قاتله .

فخرجت إلى المسجد ، فجعلت تتبرأ ممن قتل عثمان ، وهنا وصل خبر عائشة إلى طلحة والزبير وهما في المدينة ، فكتبوا إليها كتاباً مع ابن أختها عبدالله بن الزبير ، وكان مضمون الكتاب « خذلي الناس عن بيعة علي ، وأظهري الطلب بدم عثمان » .
فأرأت عائشة ذلك الكتاب ، وكشفت عما في ضميرها ، وجعلت تطلب بدم

عثمان ، وجاءت ووقفت عند الحجر الأسود وقالت : أيها الناس : إن الغوغاء « السفلة » من أهل الأمصار وأهل المياه وعبيد أهل المدينة ، اجتمعوا على هذا الرجل فقتلوه ظلماً بالأمس ، ونقموا عليه استعجال الأحداث ، وقد استعمل أمثالهم من قبله ، ومواضع الحمى حماها لهم ، فتابعهم ونزل عنها ، فلما لم يجدوا حجة ولا عذراً بادروا بالعدوان ، فسفكوا الدم الحرام ، واستحلوا البلد الحرام والشهر الحرام ، وأخذوا المال الحرام .

والله ، لإصبع من عثمان خير من طباق الأرض أمثالهم .

والله ، لو أن الذي اعتدوا عليه كان ذنباً لخلص منه كما يخلص الذهب من خبثه ، والثوب من درنه ، إذ ما صوّه كما يماص الثوب بالماء .

فتقدم عبدالله بن عامر الحضرمي وكان عامل عثمان على مكة وقال : أنا أول طالب بدمه . فكان أول مجيب ، فتبعه بنو أمية ، وكانوا قد هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان إلى مكة فرفعوا رؤوسهم ، فكان أول ما تكلموا في الحجاز (١) .

الاستعدادات في مكة

ولما اجتمعت كلمتها (طلحة والزبير) على المسير حاولوا اقناع عبدالله بن عمر بالمسير معها وعرضوا عليه الأمر ، وقالوا : يا أبا عبد الرحمن ، إن أمنا عائشة قد خفت لهذا الأمر رجاء الإصلاح بين الناس فإذهب معنا فإن لك بها أسوة ، فإن بايعنا الناس فأنت أحق بالأمر ، فقال لها أتريدان أن تخرجاني من بيتي وتلقياني بين مخالف ابن أبي طالب (٢) .

(١) الصراط المستقيم ٣ / ١٦٤ ، الجمل ، المدني ٢٤ ، البحار ٣٢ / ١٤٢ ، تاريخ ابن الاثير ٣ / ٨٠ ، تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٩ ، تذكرة الخواص ، ابن الجوزي ٦١ ، الإمامة والسياسة ١ / ٤٩ ،

السيرة الحلبية ٣ / ٢٨٦ ، المناقب للخوارزمي ١١٧ .

(٢) الإمامة والسياسة ١ / ٧٩ .

وتعبيره قاس وجاهلي ويعبر عن قائله، فسيف علي عليه السلام به الاسلام، ان كان عبد الله مرتاحا لصرح الاسلام الذي أقامه علي .
ولقد حكم بنو عدى على مغموريتهم وأصلهم الحبشي وجهلهم، فلو كانت الخلافة بالدور فمن الواجب اعطائها لبني هاشم، فكيف لا تعطى اليهم مع النص الالهي والوصية النبوية .وعبدالله لم يعترف بالحق بل خاف سيف الإمام علي عليه السلام .
ولمّا ألحّ عليه لاحقاً بين أحفياً علي عليه السلام عليها :
ويضيف الرواة إلى ذلك أنّها رجعا إليه في محاولة ثانية لاقتناعه بالذهاب معها ، فقال له طلحة : يا أبا عبد الرحمن إنّه والله لربّ حقّ ضيّعناه وتركناه ، فلما حضر الغد قضينا بالحقّ وأخذنا بالحظّ أنّ علياً يرى نفاذ بيعته وأنّ معاوية لا يرى أن يبايع له ، وإنا نرى أن نردّها شورى فإن سرت معنا ومع أمّ المؤمنين صلحت الأمور وإلاّ فهي الهلكة .فردّ عليها بقوله : إن كان قولكما حقاً فضلاً ضيّعته وإن يكن باطلاً فشرّ نجوت منه واعلما أنّ بيت عائشة خير لها من هودجها ، وأنتما بالمدينة خير لكما من البصرة والذلّ خير لكما من السيف ولن يقاتل علياً إلاّ من كان خيراً منه ، وأما الشورى فقد والله كانت قدّم وأخرتما ولن يردّها إلاّ أولئك الذين حكموا فيها فاكفيا في أنفسكما (١).

تجمع الناكثين في مكة والتحرق الزبير وطلحة بمكة

واستمرّ في طريق الشيطان والعصية الجاهلية فجهّزوا جيشاً مؤلفاً من ثلاثة آلاف مقاتل كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين ، وكتبوا إلى ثلاثة من زعماء البصرة يستجدونهم المساعدة على علي بن أبي طالب ، كعب بن المسور والأحفن بن قيس والمنذر بن ربيعة ، ولكنّها لم يجدا في أجوبة الثلاثة ما يشجّعهما على المضي

في طريقها ، ومع ذلك فقد تحرّكا .
ولمّا وصل طلحة والزبير إلى مكة أرسلوا عبد الله بن الزبير إلى عائشة يطلبان منها الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان .
وفكرت عائشة أن تذهب إلى أمّ سلمة ، وكانت في مكة ، بعنوان استشارتها ، ولكنّها محاولة منها في إقناعها بالخروج معها والاشترك معها في محاربة الإمام ، كما أقنعت حفصة بالخروج معها غير أنّ أخاها عبد الله بن عمر منعها ، ولمّا دخلت على أمّ سلمة نعت إليها عثمان وأنه قتل مظلوماً .
صرخت أمّ سلمة صرخة وهي متعجّبة من كلام عائشة ، وقالت : يا عائشة ، بالأمس كنت تشهدين عليه بالكفر وهو اليوم أمير المؤمنين وقتل مظلوماً؟!
ثمّ إنّ عائشة ذكرت لأمّ سلمة عزمها على الخروج إلى البصرة للطلب بدم عثمان ، وطلبت منها أن ترافقها وتشاركها في تلك النهضة .
فجعلت أمّ سلمة تعاتب عائشة على تحريض الناس بقتل عثمان ثمّ الطلب بدمه ، مع العلم أنّ عثمان من بني عبد مناف ، وعائشة امرأة من تيم بن مرّة ، وليس بينها قرابة .
ثمّ ذكرت أمّ سلمة شيئاً من فضائل علي عليه السلام وأنه لا ينبغي لأحد أن يحارب علياً ووعظتها ، وذكرتها بما سمعت من رسول الله ﷺ في فضل علي عليه السلام .

وذكرتها بحديث النبي يوم قال :

أَيُّكُمْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الْأَدْبِيِّ تَنْبَحُهَا كِلَابُ الْحَوَابِ (١)؟

فتذكّرت عائشة كلّ ذلك وقتعت بكلام أمّ سلمة ، غير أنّ التأثير كان مؤقتاً ،

ثمّ عازمت على السفر إلى البصرة .

أمّا يعلى بن منية فقد اشترى أربعمئة بعير ونادى : أيها الناس ، من خرج

(١) الحوآب منطقة في الطريق ، وفيها بساتين ، ونهر يسمّى بالحوآب ، وهو على مسير يومين أو ثلاث عن البصرة .

للطلب بدم عثمان فعلياً جهازه .

ووصل الخبر إلى أم سلمة فقالت لعائشة : لقد وعظمتك فلم تتعظي ... ثم حذرتها من تلك الفكرة ، وذكرت لها بأنها تهتك حرمة رسول الله ﷺ ، لأنها زوجته وعرضه ... إلى آخر الكلام .

انتخاب العصاة لبلد العيصان

واختلف العصاة في بلد العيصان ذلك ما حصل في مكة بعد اجتماع الناكثين هناك بعد مقتل عثمان بأربعة أشهر في بيت عائشة .

ومكة ثقافتها من الأول مع طغاة قريش بعيدة الورع والتقوى فأشار الزبير إلى الشام كبلد للعيصان على الإمام عليه السلام قائلاً : فيها الرجال والأموال .

وقال عبدالله بن عامر الأموي : عليكم بالبصرة فإن غلبتم علينا فلکم الشام . وكان معاوية هو المخطط للعيصان في البصرة ومنه أخذ الأمويون وإلا فرغبة الناكثين كانت في الشام . فقد أراد معاوية إضعاف الطرفين المتحاربين بعيداً عنه ، وسيحارب المنتصر لاحقاً .

فقال يعلى بن منية^(١) : أيها الشيخان ! قدراً قبل أن ترحلوا أن معاوية قد سبقكم إلى الشام وفيها الجماعة ، وأنتم تقدمون عليه غداً في فرقة ، وهو ابن عم عثمان دونكم ؛ أرايتم إن دفعكم عن الشام ، أو قال : أجعلها شوري ، ما أتم صانعون ؟ أتقاتلونهم أم تجعلونها شوري فتخرجوا منها ؟ وأقبح من ذلك أن تأتيا رجلاً في يده أمر قد سبقكما إليه ، وتريدا أن تخرجاه منه .

فقال القوم : فإلى أين ؟

قال : إلى البصرة^(٢) .

(١) في المصدر : « منه » وهو تصحيف ، والصحيح ما أثبتناه .

(٢) الإمام والسياسة ١ / ٧٩ ، وراجع تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٠ ، والكامل في التاريخ ٢ / ٣١٤ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٣١ .

فقال الوليد بن عقبة : لا والله ما في أيديكم من الشام قليل ولا كثير ! وذلك أن عثمان بن عفان قد كان استعان بمعاوية لينصره وقد حوصر ، فلم يفعل وترى حتى قتل ، لذلك يتخلص له الشام ، أفتطمع أن يسلمها^(١) إليكم ؟ مهلاً عن ذكر الشام وعليكم بغيرها^(٢) .

فكان الأمويون يعتقدون أن الشام قلعة لهم ولأولادهم ، فقالوا : نسير إلى علي فنقاتله .

فقال بعضهم : ليس لكم طاقة بأهل المدينة ، ولكننا نسير حتى ندخل البصرة والكوفة ، وطلحة بالكوفة شيعة وهوى ، ولزبير بالبصرة هوى ومعونة .

فاجتمع رأيهم على أن يسيروا إلى البصرة وإلى الكوفة . فأعطاهم عبدالله بن عامر مالا كثيراً وإيلاً ، فخرجوا في سبعائة رجل من أهل المدينة ومكة ، ولحقهم الناس حتى كانوا ثلاثة آلاف رجل^(٣) .

رسائل عائشة

كتبت إلى الأحنف بن قيس في البصرة وكتبت إلى مدن أخرى وكتبت إلى أهالي الكوفة وتأمروهم أن يثبطوا الناس عن علي ، وتحثهم على طلب قتلة عثمان ، وكتبت إلى أهل اليمامة وإلى أهل المدينة بما كان منهم أيضاً^(٤) .

(١) في المصدر : « أسلمها » ، والصحيح ما أثبتناه كما يقتضيه السياق .

(٢) الفتوح ٢ / ٤٥٣ .

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٢ ، أنساب الأشراف ٣ / ٢١ نحوه وزاد فيه « قالوا : ففسر إلى الشام فيه الرجال والأموال وأهل الشام شيعة لعثمان ، فنطلب بدمه ونجد على ذلك أعواناً وأنصاراً ومشايخين . فقال قائل منهم : هناك معاوية وهو والي الشام والمطاع به ، ولن تنالوا ما تريدون ، وهو أولى منكم بما تحاولون لأنه ابن عم الرجل » بعد « بأهل المدينة » .

(٤) الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٢ ، وراجع تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٢ وفيه نص الكتاب والبداية والنهاية : ٧ / ٢٣٤ .

وكتبت إلى زيد بن صوحان : من عائشة بنت أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله ﷺ إلى ابنها الخالص زيد بن صوحان ، أما بعد : فإذا أتاك كتابي هذا فأقدم ، فانصرنا على أمرنا هذا ؛ فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي .

فكتب إليها : من زيد بن صوحان إلى عائشة بنت أبي بكر ﷺ ، أما بعد ، فأنا ابنك الخالص إن اعتزلت هذا الأمر ، ورجعت إلى بيتك ، وإلا فأنا أول من نابذك .

قال زيد بن صوحان : رحم الله أم المؤمنين ! أمرت أن تلزم بيتها ، وأمرنا أن نقاتل ، فتركت ما أمرت به وأمرتنا به ، وصنعت ما أمرنا به ونهتنا عنه (١) !

كتبت عائشة عن نفسها حبيبة رسول الله ﷺ بينا أشار النبي إلى مسكنها أنه منيع الفتنة من حيث يخرج قرن الشيطان (٢) .

وطلقها الرسول ﷺ ثم أرجعها وقال لها : إنهما ستنبحها كلاب الحوآب (٣) .

في اعتراف منه ﷺ لمخالفتها القرآن والسنة وخروجها في أعظم فتنة في الإسلام .

خروج عائشة إلى البصرة

كان منادي عائشة والزبير وطلحة ينادون في سنوات ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٥ بكفر عثمان وأنه يهودي وقاتل وظالم فاقتلوه فجاء الناس من الأمصار وقتلوه وفي سنة ٣٥ كانت في كل يوم تقيم مناديا ينادي بالتأهب للمسير إلى البصرة ، وكان المنادي ينادي ويقول : من كان يريد المسير فليسير ؛ فإن أم المؤمنين سائرة إلى

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٧٦ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٩ ، العقد الفريد ٣ / ٣١٧ ، شرح نهج البلاغة : ٦ / ٢٢٦ عن الحسن البصري ؛ رجال الكشي ١ / ٢٨٤ / ١٢٠ ، الجمل ٤٣١ والأربعة الأخيرة نحوه وراجع البداية والنهاية ٧ / ٢٣٤ .

(٢) الجمل ، المدني ٤٧ ، البحار ٣١ / ٦٣٩ ، الصراط المستقيم ٣ / ١٤٢ ، صحيح البخاري ٦ / ١٨٨ ، صحيح مسلم ٢ / ٥٠٣ .

(٣) شرح النهج ٦ / ٢٢٤ ، البحار ٣٢ / ١٣٨ .

البصرة تطلب بدم عثمان بن عفان المظلوم (١) .

ونادى المنادي : إن أم المؤمنين وطلحة والزبير شاخصون إلى البصرة ، فن كان يريد إعزاز الإسلام ، وقاتل المحلّين ، والطلب بأثر عثمان ، ومن لم يكن عنده مركب ، ولم يكن له جهاز ؛ فهذا جهاز ، وهذه نفقة (٢) .

فكانت أعظم فتنة إسلامية أشار إليها النبي ﷺ قادتها عائشة وطلحة والزبير ، أفقدت العالم الإسلامي توازنه !

هل سُمّي النبي ﷺ لعائشة اسم جملها ؟

لما عزمّت عائشة على الخروج إلى البصرة طلبوا لها بغيراً أيّداً (٣) يحمل هودجها ، فجاءهم يعلى بن أمية ببعيره المسمّى عسكراً ؛ وكان عظيم الخلق شديداً ، فلما رأته أعجبها ، وأنشأ الجمل يحدّثها بقوّته وشدّته ، ويقول في أثناء كلامه : عسكراً . فلما سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت : ردّوه لا حاجة لي فيه ، وذكرت حيث سئلت أن رسول الله ﷺ ذكر لها هذا الاسم ، ونهاها عن ركوبه ، وأمرت أن يُطلب لها غيره ، فلم يوجد لها ما يشبهه ، فعُيّر لها بجمل (٤) وقيل لها : قد أصبنا لك أعظم منه خلقاً ، وأشدّ قوّة ، وأُتيت به فرضيت (٥) .

ولم يخف على عائشة الداهية أن الجمل نفسه لم يبدلوه لكنّها لم تعتن بالأوامر النبوية .

وكان النبي ﷺ قد سُمّي لعائشة اسم جملها عسكراً ونبح كلاب الحوآب لها (٦) .

(١) الجمل ٢٣٣ ، وراجع شرح الأخبار ١ / ٤٠١ / ٣٥١ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥١ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٤ .

(٣) أيّد : أي قويّ (النهاية ١ / ٨٤) .

(٤) جلال كل شيء : غطاؤه (لسان العرب ١١ / ١١٨) .

(٥) شرح نهج البلاغة ٦ / ٢٢٤ ، بحار الأنوار ٣٢ / ١٣٨ / ١١٢ .

(٦) المصدر السابق .

أحداث الطريق

روى ابن قتيبة أن القوم لما نزلوا بأوطاس من أرض خيبر أقبل عليهم سعيد بن العاص ومعه المغيرة بن شعبة فنزل سعيد عن راحلته وأتى عائشة وقال لها: أين تريدن يا أم المؤمنين؟

فألت: أريد البصرة.

فقال لها: وما تصنعين بها؟

قالت: أطلب بدم عثمان.

قال: هؤلاء قتلة عثمان معك.

(يقصد طلحة والزبير).

والنفت إلى مروان بن الحكم وأعاد عليه نفس السؤال الذي وجهه إلى عائشة، وقال له: إن قتلة عثمان معكم، والله ما قتله إلا طلحة والزبير وهما يريدان الأمر لأنفسهما.

والنفت المغيرة بن شعبة إلى الناس وقال: إن كنتم خرجتم مع أمكم فارجعوا بها خير لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نعمتم على علي بن أبي طالب شيئاً فبينوا ما نعمتم عليه.

وقال سعيد بن العاص لهم أن عبدالله بن عامر قد دعاكم إلى البصرة وقد فر منها فرار العبد الأبق وأهلها في طاعة عثمان بن عفان، والآن يريد أن يقاتل بهم علياً وهم في طاعته وقد خرج من بينهم أميراً ويعود الآن إليهم طريداً، وقد وعدكم الرجال والأموال، أما الأموال فعنده ما وعدكم به أما الرجال فلا رجل عنده.

وقال مروان بن الحكم لطلحة والزبير: أيها الشيخان ما يمنعكما أن تدعوا الناس إلى بيعة مثل بيعة علي بن أبي طالب؟ فإن أجابوكما عارضته بيعة مثل بيعته، وإن لم يستجيبوا عرفتم ما لكما عند الناس.

فقال له طلحة: يمنعنا أن الناس بايعوا علياً بيعة عامة فبم ننقضها؟ وقال الزبير: ويمنعنا مع ذلك تناقلنا عن نصره عثمان وخفتنا إلى بيعة علي بن أبي طالب.

فقال له الوليد: إن كنا أسأمتا فلقد أحسننا، وإن كنا أخطأتما فلقد أصبنا اليوم، وأنتما اليوم خير منكما بالأمس.

وقال مروان: أما أنا فهواي الشام وهواكم البصرة وأنا معكما وإن كانت الهلكة.

وفي أيام الكفر الجاهلي كان المال مسيطراً على الناس لفقدانهم الدين فسارت عائشة على هذا المنهج في معركة الجمل:

ففي معركة الجمل كانت عائشة تخرج يدها من الهودج تحمل بدرة من الدنانير وتصيح بأعلى صوتها: من يأتيني برأس علي وله هذه البدر.

بينما عائشة هي التي روت حديث أشق الآخرين في قاتل علي عليه السلام (١) ورغم ذلك أرادت قتله!

وقال عبد الملك بن مروان: لولا أن أبي أخبرني بأنه قد قتل طلحة ما تركت تيمياً إلا قتلته بعثمان (٢).

خرجت عائشة بالجيش نحو البصرة، وفي أثناء الطريق وصلوا إلى ماء الحوآب فنبحت الكلاب، وقال قائل: ما أكثر كلاب الحوآب، وما أشد نباحها! فأمسكت عائشة زمام بعيرها وصرخت: إنا لله وإنا إليه راجعون، إنني هي سمعت رسول الله ﷺ وعنده نساؤه يقول: ليت شعري، أيتكن صاحبة الجمل

(١) تذكرة الخواص ١٧٢، البحار ٤٢ / ١٩٧، الاستيعاب ٣ / ٦٠، شرح النهج ٩ / ١١٧، شواهد التنزيل، الحسكاني ٢ / ٤٣٦، تاريخ دمشق ٤٢ / ٥٤٦، المناقب، ابن الدمشقي ٢ / ٨٦، سبل الهدى، الشامي ١١ / ٣٠٥.

(٢) شرح النهج ٩ / ١١٤.

الأديب ، تخرج فتنبجها كلاب الحوآب ، يقتل عن يمينها ويسارها قتلى كثيرة ، تنجو بعدما كادت تقتل ... ردّوني ، ردّوني .
فأقبل جماعة وشهدوا وحلفوا أنّ هذا ليس بماء الحوآب فسارت عائشة لوجهها نحو البصرة^(١) .

وعائشة التي لم يردعها عن الخروج قول الله تعالى لنساء النبي : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى...﴾^(٢) لا تردع بالحديث وهي شاركت في قتل زوجها رسول الله ﷺ وفرحت بقتل فاطمة الزهراء عليها السلام ثم صمّمت على قتل علي عليه السلام ولم تكلم فاطمة عائشة وحفصة وأبا بكر وعمر إلى أن ماتت^(٣) .
وقد روت في أيامها الأخيرة : علي سيّد العرب وإمام المتقين^(٤) .
ويقتل علياً عليه السلام أشقى الآخرين^(٥) .

سيقاتل علي عليه السلام الناكثين والقاسطين والمارقين^(٦) .
فقد كان قلبها من حجر لا تردّد عن أمر ولا تتراجع عن هدف فقد تردّدت حفصة بنصيحة أخيها عبدالله وبقيت عائشة .

(١) تاريخ الطبري ٢ / ٤٨٦ .

(٢) الأحزاب ٣٣ .

(٣) سنن البخاري باب فرض الخمس ٥ / ١٧٧ ، تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٢ ، الامامة والسياسة ١ / ١٤ ، اعلام النساء ٣ / ٣١٤ ، سنن مسلم ح ١٢٥٩ .

(٤) المعجم الكبير ٣ / ٨٨ / ٢٧٤٩ عن أبي ليلى ، حلية الأولياء ١ / ٦٣ ، بشارة المصطفى ١٠٩ عن سلمان عنه عليه السلام .

(٥) تذكرة الخواص ١٧٢ ، البحار ٤٢ / ١٩٧ ، الاستيعاب ٣ / ٦٠ ، شرح النهج ٩ / ١١٧ ، شواهد التنزيل ، الحسكاني ٢ / ٤٣٦ ، تاريخ دمشق ٤٢ / ٥٤٦ ، المناقب ، ابن الدمشقي ٢ / ٨٦ ، سبل الهدى ، الشامي ١١ / ٣٠٥ .

(٦) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

ونصحتها أم سلمة وابن عباس وصعصعة بن صوحان ولم تتراجع .
وكانت معتقدة بأفضلية الطلقاء على أهل بيت محمد ﷺ فبايعت معاوية الطليق ولم تبايع الإمام علياً عليه السلام .
دهشت عائشة من تحقّق معجزة النبي ﷺ في الحوآب ثم فسّرتها تفسيراً قرشياً ومضت في مشروعها اذ كان حزبها القرشي يفسر ذلك بالسحر .

من هم الناكثون في القرآن والستة

فضح الله تعالى الناكثين والقاسطين والمارقين ونزل قرآن فيهم : في قوله تعالى : ﴿قَائِمًا تَدْعِينَنَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾^(١) .
نزلت في علي بن أبي طالب ؛ أنه ينتقم من الناكثين والقاسطين والمارقين بعدي^(٢) .

وجاء رسول الله ﷺ منزل أم سلمة ، فجاء علي عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ :
يا أم سلمة ، هذا والله قاتل القاسطين والناكثين والمارقين بعدي^(٣) .
وقال رسول الله ﷺ لعلي عليه السلام : تقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين^(٤) .

(١) سورة الزخرف ٤١ .

(٢) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

(٣) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

(٤) الجمل ٨٠ ، الشافي ٣ / ٦١ ، كنز الفوائد ٢ / ١٧٥ ، علل الشرائع ٢٢٢ عن الإمام علي عليه السلام

وقال أبو أيوب الأنصاري: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب: تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالشفعات^(١).

قال أبو أيوب: قلت: يارسول الله، مع من تقاتل هؤلاء الأقوام؟! قال: مع علي بن أبي طالب^(٢).

وقال رسول الله ﷺ لأُمّ سلمة: يا أمّ سلمة اسمعي واشهدي! هذا علي بن أبي طالب سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين^(٣). وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين^(٤).

قلت: يارسول الله، من الناكثون؟ قال: الذين يبايعونه بالمدينة وينكثونه بالبصرة.

قلت: من القاسطون؟ قال: معاوية وأصحابه من أهل الشام.

ثم قلت: من المارقون؟ قال: أصحاب التهروان^(٥).

وخرج النبي ﷺ من عند زينب بنت جحش، فأقْبى بيت أمّ سلمة وكان يومها

بِأَعْتَه ﷺ وفيه «أمرت بقتال» بدل «تقاتل بعدي» وفي ذيله: وروي هذا الحديث من ثمانية عشر وجهاً؛ شرح نهج البلاغة ١/ ٢٠١ و ١٣/ ١٨٣.

(١) الشَّفَعَاتُ: جمع شفعة؛ وهي رؤوس الجبال (تاج العروس ١٢/ ٣٠٥).

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣/ ١٥٠ / ٤٦٧٥.

(٣) المستدرک، الحاكم ٣/ ١٣٧، كنز العمال ٣/ ١٥٧، مجمع الزوائد، الهيثمي ٩/ ١٢١، حلية الأولياء ١/ ٦٣-٦٤، تاريخ بغداد ١١/ ١١٢، ١٣/ ١٢٢، الإصابة، ابن حجر ٤/ ١٧٠-١٧١.

(٤) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي ٦٩، كنز العمال ٦/ ١٥٤، الاستيعاب ٣/ ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢/ ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣/ ١٣٩، أسد الغابة ٤/ ١١٤، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠، فرائد السمطين ١/ ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧/ ٣٣٨.

(٥) معاني الأخبار ٢٠٤ / ١ عن المفضل بن عمر، الأمالي للصدوق ٤٦٤ / ٦٢٠، الأمالي للطوسي ٤٢٥ / ٩٥٢، بشارة المصطفى ٥٩٠ والثلاثة الأخيرة عن المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عن أبيه عن جدّه ﷺ، الاحتجاج ١/ ٤٦٢ / ١٠٦ عن أمّ سلمة.

من رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن جاء علي، فدقّ الباب دقّاً خفياً، فاستثبت رسول الله ﷺ الدقّ وأنكرته أمّ سلمة، فقال لها رسول الله ﷺ: قومي فافتحي له الباب! فقالت: يارسول الله، من هذا الذي بلغ من خطره ما أفتح له الباب، فأتلّقاء بمعاصمي، وقد نزلت في آية من كتاب الله بالأمس؟!

فقال لها كالمغضب: إنّ طاعة الرسول طاعة الله، ومن عصى الرسول فقد عصى الله، إنّ بالباب رجلاً ليس بالترق^(١) ولا بالحرق، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله.

فتحت له الباب، فأخذ بعضادتي الباب، حتّى إذا لم يسمع حسّاً ولا حركة وصرت إلى خدري استأذن، فدخل. فقال رسول الله ﷺ: أتعرفينه؟ قلت: نعم، هذا علي بن أبي طالب. قال: صدقت سحنته^(٢) من سحنتي، ولحمه من لحمي، ودمه من دمي، وهو عيبة^(٣) علمي.

اسمعي واشهدي! هو قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين من بعدي^(٤). اسمعي واشهدي! هو والله محبي ستنّي. اسمعي واشهدي! لو أن عبداً عبد الله ألف عام من بعد الف عام بين الركن والمقام ثمّ لقي الله مبعضاً لعلي لأكبّه الله يوم القيامة على منخريه في النار^(٥).

(١) التَّرْقُ: حَقْفَةٌ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَجَلَةٌ فِي جَهْلٍ وَحُمُقٌ؛ تَرَقُّ بِزَنْقٍ فَهُوَ زَنْقٌ (لسان العرب ١٠/ ٣٥٢).

(٢) السحنة: بشرة الوجه وهيأة وحاله (النهاية ٢/ ٣٤٨).

(٣) العيبة: وعاء من أدم يكون فيها المتاع، والعرب تكنّي عن الصدور والقلوب التي تحتوي على الضمائر المخففة بالعياب (لسان العرب ١/ ٦٣٤).

(٤) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي ٦٩، كنز العمال ٦/ ١٥٤، الاستيعاب ٣/ ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢/ ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣/ ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣/ ١٣٩، أسد الغابة ٤/ ١١٤، تاريخ بغداد ٨/ ٣٤٠، فرائد السمطين ١/ ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧/ ٣٣٨.

(٥) المناقب للخوارزمي ٨٦ / ٧٧، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٧٠ / ٩٠٤٢، علل الشرائع ٦٥ / ٣ عن عبدالله بن عباس وكلاهما نحوه.

وقال رسول الله ﷺ: إن الله تبارك وتعالى أوحى إليّ أنّه جاعل لي من أمتي أخاً ووارثاً وخليفة ووصياً. فقلت: يارب، من هو؟ فأوحى إليّ عزّ وجلّ: يا محمد، إنّ إمام أمتك، وحجّتي عليها بعدك. فقلت: يارب من هو؟ فأوحى إليّ عزّ وجلّ: يا محمد ذلك من أحبّه وبجّتي، ذلك المجاهد في سبيلي، والمقاتل لناكثي عهدي والقاسطين في حكمي والمارقين من ديني، ذلك وليّ حقاً، زوج ابنتك، وأبو ولدك؛ علي بن أبي طالب^(١).

قال الإمام عليه السلام: فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة، ومرقت أخرى، وفسق آخرون: فأما الطائفة الناكثة فهم أصحاب الجمل، وأما الطائفة الفاسقة فأصحاب صفين، وسأهم رسول الله ﷺ القاسطين، وأما الطائفة المارقة فأصحاب النهروان. وأشرنا نحن بقولنا: «سأهم رسول الله ﷺ القاسطين» إلى قوله عليه السلام: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»^(٢)، وهذا الخبر من دلائل نبوته ﷺ؛ لأنّه إخبار صريح بالغيّب، لا يحتمل التويه والتدليس كما تحتمله الأخبار المجمّلة، وصدق قوله عليه السلام: «المارقين» قوله أولاً في الخوارج: «يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية». وصدق قوله عليه السلام: «الناكثين» كونهم نكثوا البيعة بادي بدء، وقد كان عليه السلام يتلو وقت مبايعتهم له: «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ»^(٣). وأما أصحاب صفين فإنّهم عند أصحابنا مخلّدون في النار؛ لفسقهم، فصحّ فيهم قوله تعالى: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا»^(٤).

(١) الأمالي للصدوق ٦٤١ / ٨٦٧ عن ابن عباس، بحار الأنوار ٣٨ / ١٠٧ / ٣٥.

(٢) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنزي، ٦٩، كنز العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

(٣) سورة الفتح ١٠.

(٤) سورة الجن ١٥.

قال الإمام علي عليه السلام يوم النهروان: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين^(١).

وقال عليه السلام: عهد إليّ النبي ﷺ أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(٢).

وقال عليه السلام: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣).

وقال عليه السلام: أمرت أن أقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، ففعلت ما أمرت به؛ فأما الناكثون: فهم أهل البصرة وغيرهم من أصحاب الجمل، وأما المارقون: فهم الخوارج، وأما القاسطون: فهم أهل الشام وغيرهم من أحزاب معاوية^(٤).

وقال عليه السلام في لوم العصاة: ألا وقد قطعتم قيد الإسلام، وعطلتم حدوده، وأتممّ أحكامه. ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوّخت، وأما شيطان الردهة فقد كفيته بصعقة سمعت لها وجبة^(٥) قلبه، ورجة^(٦) صدره^(٧).

(١) تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ / ٤٤٤٧ عن خلود العصري، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٦٨ عن زيد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه عنه عليه السلام وص ٤٧٠ عن خلود القصري، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٦ عن خلود المصري؛ شرح الأخبار ١ / ٣٣٨ / ٣٠٦ عن خالد بن الأعصري وج ٢ / ٣٨ / ٤٠٨.

(٢) مسند أبي يعلى ١ / ٢٦٩ / ٥١٥، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٦٨، أسد الغابة ٤ / ١٠٨ / ٣٧٨٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٥ كلّها عن علي بن ربيعة.

(٣) الخصال ١٤٥ / ١٧١ عن علقمة، علل الشرائع ٢٢٢، عيون أخبار الرضا ٢ / ٦١ / ٢٤١ عن الحسن بن عبدالله الرازي عن الإمام الرضا عن أبيه عنه عليه السلام، الخرائج والجرائح ١ / ١٩٩ / ٣٩، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٦٩ عن عمرو وأبي سعيد التيمي وإبراهيم بن علقمة، المعجم الأوسط ٨ / ٢١٣ / ٨٤٣٣ عن ربيعة بن ناجد، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٥ عن علقمة.

(٤) دعائم الإسلام ١ / ٣٨٨، شرح الأخبار ١ / ٣٣٩ / ٣٠٨، تاريخ دمشق ٤٢ / ٤٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٠٦ كلاهما عن سعد بن جنادة، المناقب للخوارزمي ١٧٦ / ٢١٢ عن أبي سعيد التيمي وكلّهما نحوه.

(٥) وجبة قلبه: أي خفقانه (النهاية ٥ / ١٥٤).

(٦) رجّة صدره: اضطرابه (انظر النهاية ٢ / ١٩٨).

(٧) نهج البلاغة المخطبة ١٩٢، غرر الحكم ٢٧٩٠، عيون الحكم والمواعظ ١٠٩ / ٢٣٩٧.

وقال عليه السلام: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين؛ طلحة والزبير، والقاسطين؛ معاوية وأهل الشام، والمارقين؛ وهم أهل النهروان، ولو أمرني بقتال الرابعة لقاتلتهم^(١)!

وقال الإمام عليه السلام: أما والله لقد عهد إلي رسول الله ﷺ، وقال لي: يا علي، لتقاتلن الفئة الباغية، والفئة الناكثة، والفئة المارقة^(٢)!

وقال الإمام عليه السلام في خطبته الزهراء: والله، لقد عهد إلي رسول الله ﷺ غير مرة ولا اثنتين ولا ثلاث ولا أربع فقال: «يا علي، إنك ستقاتل بعدي الناكثين والمارقين والقاسطين»^(٣)، فأضيق ما أمرني به رسول الله ﷺ، أو أكفر بعد إسلامي^(٤)؟!

قال الإمام عليه السلام ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي والنكث والفساد في الأرض، فأما الناكثون فقد قاتلت، وأما القاسطون فقد جاهدت، وأما المارقة فقد دوّخت: قد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال له عليه السلام: «ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين»، فكان الناكثون أصحاب الجمل؛ لأنهم نكثوا بيعته ﷺ، وكان القاسطون أهل الشام بصفين، وكان المارقون الخوارج في النهروان. وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى:

﴿بحار الأنوار ١٤ / ٤٥٧ / ٣٧﴾

(١) الأمامي للطوسي ٧٢٦ / ١٥٢٦ عن عبدالله بن شريك عن أبيه، الملاحم والفتن ٢٢٢ / ٣٢٠ عن عبدالله بن شريك نحوه.

(٢) تفسير العياشي ٢ / ٧٨ / ٢٥ عن الحسن البصري، مجمع البيان ٥ / ١٨، المناقب لابن شهر آشوب ٣ / ١٤٧ وزاد في آخره «إنهم لا إيمان لهم لعلهم ينتهون».

(٣) الفوائد الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنز ٦٩، كتر العمال ٦ / ١٥٤، الاستيعاب ٣ / ٥٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢ / ٢٦٣، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩، المستدرک، الحاكم ٣ / ١٣٩، أسد الغابة ٤ / ١١٤، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨.

(٤) تفسير القمي ١ / ٢٨٣.

﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾^(١).

وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾^(٢).

وقال النبي ﷺ: «يخرج من ضئضئ هذا قوم يرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوق فلا يجد شيئاً، سبق الفرت والدم». وهذا الخبر من أعلام نبوته ﷺ، ومن أخباره المفصلة بالغيوب^(٣).

جاء الزبير وطلحة إلى علي عليه السلام بعد البيعة بأيام، فقالا له: يا أمير المؤمنين، قد رأيت ما كنا فيه من الجفوة في ولاية عثمان كلها، وعلمت رأي عثمان كان في بني أمية، وقد ولّك الله الخلافة من بعده، فولّنا بعض أعمالك!

فقال لهما: أرضيا بقسم الله لكما، حتى أرى رأيي. واعلما أنني لا أشرك في أمانتي إلا من أرضى بدينه وأمانته من أصحابي، ومن قد عرفت دخيلته. فانصرفا عنه وقد دخلها اليأس^(٤).

أفعال الأشعري المنكرة في معركة الجمل

وبعد إبعاد قريش لعلي عليه السلام (وصي المصطفى ﷺ) عن الخلافة دام أربعاً وعشرين سنة استمرّ رجال الحزب القرشي في معارضتهم لعلي وأهل البيت عليه السلام متنكّرين لبيعة الغدير، والبيعة الشعبية له، بعد مقتل عثمان، فسيطر معاوية على الشام، وسيطرت عائشة على البصرة، ودعا أبو موسى الأشعري إلى التنكّر لدعوات علي عليه السلام، وعدم الانضواء في صفوف جيشه. وهو يقول: «إنّ هذه فتنة

(١) سورة الفتح ١٠.

(٢) سورة الجن ١٥.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣ / ١٨٢.

(٤) شرح النهج ١ / ٢٣١ / ٨٠، ١٣٨.

عمياء صمّاء تطأ خطامها، النائم فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي. فوصف هاشم بن عتبة أبا موسى الأشعري: أنه غال مشاق ظاهر الغلّ والشنان»^(١).

ورغم كلّ مساعي الأشعري فقد التحق بعلي عليه السلام إثنًا عشر ألف رجل. فقال أبو الطفيل لقد أحصيتهم فما زادوا رجلاً ولا نقصوا رجلاً، كما كان قد قال لنا من قبل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام^(٢).

أرسل الإمام عليه السلام إلى الأشعري محمد بن أبي بكر ومحمد بن الحنفية إلى الكوفة ليستنفرا أهل الكوفة.

ووالي الكوفة يومذاك أبو موسى الأشعري، وكان عثمان الهوى، منحرفاً عن الإمام عليه السلام، وقد كتبت عائشة إليه كتاباً تأمره أن يخذل الناس عن نصرته الإمام، ووعدته معاوية بالمال والمنصب فلبّى طلبه!! فخطب فيهم وأمرهم أن يجتنبوا الفتنة ويبتعدوا عن سفك دماء المسلمين، فلم يستطع محمد بن الحنفية ومحمد بن أبي بكر مقاومة الأشعري، فرجعا إلى الإمام.

وكان الإمام قد كتب قبل ذلك كتاباً إلى الأشعري يأمره أن يخرج بالناس لمؤازرته، ولكن الأشعري استمرّ على رأيه وامتنع عن البيعة، وأظهر العداء الكامن في صدره.

فأخبروا الإمام بذلك، فكتب الإمام كتاباً إلى الأشعري فيه خبر عزله من الحكم والتهديد إن لم يعتزل، وكتباً أخرى إلى أهل الكوفة يذكر لهم فيه عمّا جرى على عثمان. ثمّ يذكر بيعة الناس له، ومن جملتهم طلحة والزبير، ثمّ نكبتها البيعة وخروجهما ضده.

وقبل وصول هذين الكتابين كان الإمام الحسن عليه السلام وعمّار بن ياسر وزيد بن

(١) تاريخ الطبري ٥١٢، ٥٠١/٣.

(٢) تاريخ الطبري ٥١٣/٣.

صوحان وقيس بن سعد جاؤوا إلى الكوفة وخطبوا في الناس الخطب المفصلة المطوّلة، يحثّون الناس على نصرته الإمام، فكان الأشعري يقوم ويخطب وينتفض كلامهم، ويخذل الناس، ويأمرهم باعتزال الفتنة، وعدم الخوض في المعركة.

وانقضت أيّام وأيّام والأمر هكذا في الكوفة، والإمام ينتظر المدد وهو في أرض يقال لها «ذيقار» واليوم تسمّى «المقيّة» وهي قريبة من الناصرية في طريق البصرة.

وأخيراً خرج البطل الضرغام مالك الأستر وأقبل إلى الكوفة ودخلها وهجم على دار الإمارة، واستولى عليها، وأخرج غلمان الأشعري منها، وكانت الحرب الباردة قائمة في المسجد بين الأشعري وبين أصحاب الإمام، وإذا بغلمان الأشعري دخلوا المسجد، وهم ينادون: يا أبا موسى، هذا الأستر.

ودخل أصحاب الأستر وصاحوا: اخرج من المسجد، يا ويلك، أخرج الله روحك، إنك والله من المنافقين.

خرج أبو موسى معزولاً خائباً مخذولاً، وأراد الناس أن ينهبوا أمواله فنعمهم الأستر.

وأقبل الأستر فصعد المنبر وقال: ... وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأعظمهم في الإسلام سهماً، وابن عمّ رسول الله ﷺ وأفقه الناس في الدين، وأقرأهم لكتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس، وقد استنفركم، فما تنتظرون؟ أسعيدياً؟ أم الوليد الذي شرب الخمر وصلّى بكم على سكر واستباح ما حرّمه الله فيكم؟ أي هذين الرجلين تريدون؟ قبيح الله من له هذا الرأي، فانفروا مع الحسن ابن بنت نبيكم، ولا يختلف رجل له قوّة، فوالله ما يدري رجل منكم ما يضركم، وما ينفعه، وإني لكم ناصح شفيق عليكم إن كنتم تعقلون، أو تبصرون، أصبحوا إن شاء الله غداً غادين مستعدّين، وهذا وجهي إلى ما هناك بالوفاء.

ثمّ قام ابن عباس وعزل الأشعري عن الولاية وخلعه عنها، وجعل مكانه

قرضة بن كعب ، فلم يبرحوا من الكوفة حتى سَـيَـرُوا سبعة آلاف رجل والتحقوا بالإمام في ذي قار ، والتحق به قبل ذلك ألفان من قبيلة طي ، وخرج الإمام نحو البصرة^(١).

أحداث البصرة

إنّ الزبير وطلحة أغمداً السير بعائشة حتى انتهوا إلى حفر أبي موسى الأشعري وهو قريب من البصرة ، وكتبنا إلى عثمان بن حنيف الأنصاري وهو عامل علي عليه السلام على البصرة أن أخل لنا دار الإمارة ، فلما وصل كتابها إليه بعث [إلى] ^(٢) الأحنف بن قيس فقال له : إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا ومعهم زوجة رسول الله ، والناس إليها سراع كما ترى .

فقال الأحنف : إثم جاؤوك بها للطلب بدم عثمان ، وهم الذين ألبوا على عثمان الناس ، وسفكوا دمه ، وأراهم والله لا يزيلون^(٣) حتى يلقوا العداوة بيننا ويسفكوا دماءنا ، وأظنهم والله سيركبون منك خاصة ما لا يقبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصرة : فإتك اليوم الوالي عليهم ، وأنت فيهم مطاع ، فيسر إليهم بالناس ، وبأدرهم قبل أن يكونوا معك في دار واحدة : فيكون الناس لهم أطوع منهم لك .

فقال عثمان بن حنيف : الرأي ما رأيت ، لكنني أكره الشرّ وأن أبدأهم به ، وأرجو العافية والسلامة إلى أن يأتيني كتاب أمير المؤمنين ورأيه فأعمل به .

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة العبدي من بني عمرو بن وداعة ، فأقرأه

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥١٣ ، تاريخ اليعقوبي ٢/١٧٩ الغارات، الثقفى ٢ / ٩٢٢ ، البداية والنهاية

٧ / ٢٣٥ ، شرح النهج ١٤ / ٢٠ ، بهج الصباغة ٦ / ٣٧٢ ، تاريخ ابن خلدون ٢ / ١٦٠ .

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المصدر ، وأثبتناه من الدرجات الرفيعة .

(٣) زابلهوم : أي فارقهم في الأطفال التي لا ترضي الله ورسوله (النهاية ٢ / ٣٢٥) .

كتاب طلحة والزبير ، فقال له مثل قول الأحنف ، وأجابه عثمان بمثل جوابه للأحنف ، فقال له حكيم : فأذن لي حتى أسير إليهم بالناس ، فإن دخلوا في طاعة أمير المؤمنين وإلا نأبذتهم على سواء ، فقال عثمان : لو كان ذلك رأبي لسرت إليهم بنفسي . قال حكيم : أما والله إن دخلوا عليك هذا المصر لينتقلن قلوب كثير من الناس إليهم ، وليزيلنك عن مجلسك هذا وأنت أعلم ، فأبى عليه عثمان .

وكانت عائشة وطلحة والزبير ومن معهم قد وصلوا إلى البصرة قبل ذلك ، وتعجّب الناس من قدمهم إلى البصرة للطلب بدم عثمان المقتول بالمدينة .

وسمع عثمان بن حنيف (والي البصرة) بوصول القوم ، فأرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمران بن حصين للتحقيق ، فدخلوا على عائشة وقالوا لها : يا أمّ المؤمنين ، ما حملك على المسير ؟ ما الذي أقدمك هذا البلد وأنت حبيسة رسول الله ، وقد أمرك الله أن تقرّي في بيتك ؟

فجری كلام وجدال طويل بين عائشة والرجلين ، وكلّما خوفاها من إراقة دماء المسلمين وإفساد الأمر قابلتهم بكلّ صلابة وحدة .

ودخلا على طلحة فلم يسمعا منه إلا الكلام القبيح والطرده ، ثمّ السبّ لأمر المؤمنين عليه السلام ، واستعدت عائشة للحرب ، وخرجت بمن معها إلى محلّة في البصرة يقال لها (المربد) وخطبت في أهل البصرة خطبة ، فنعت عثمان وتأسفت على قتله ، ثمّ ذكرت علياً وبيعتة وأفرطت في كلامها ، ثمّ طلبت من أهل البصرة نقض خلافة الإمام .

فصدّقها ناس وكذبها آخرون ، واضطرب الناس بأقوالهم ، واشتغلوا بالسبّ والشتم واللعن^(١).

لماذا غدر الزبير وطلحة وعائشة بعهودهم

(١) بلاغات النساء ٩ ، العقد الفريد ٣ / ٩٨ ، البيان والتبيين ، الجاحظ ٢ / ٢١٠ ، الإمامة

والسياسة ١ / ٦٠ ، شرح النهج ٢ / ٤٩٩ .

في أحداث البصرة ؟

وبعد وصول قيادة الجمل إلى البصرة تعاهدوا مع عثمان بن حنيف الأنصاري (والي علي عليه السلام على البصرة) وكتبوا بينهم كتاباً: أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب، ولعثمان دار الامارة والمسجد الجامع وبيت المال^(١).

لكن عائشة والزبير وطلحة نفصوا اتفاقهم مع عثمان بن حنيف وهاجموا عليه في ليلة باردة، قال الطبري: « فظهروا فأردوا قتله، ثم خشوا غضب الأنصار، فنالوه في شعره وجسده » وقال طلحة: إنما أردنا أن يستعقب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلياء، حتى قتلوه، فقال الناس لطلحة: يا أبا محمد قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا^(٢).

وتسببت قيادة معركة الجمل في مقتل عشرين ألف مسلم^(٣)، ذهبوا ضحية نكبتهم بيعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقبل أن تصل عائشة ومن معها إلى البصرة أرسل عثمان بن حنيف أبا الأسود الدؤلي وعمران بن حصين وأوصاهما أن يقابلا القوم قبل دخولهم البصرة عسى أن يكف الله شرهم، وكان أبو الأسود المتكلم الأول مع طلحة فقال له: إنكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله وبايعتم علياً غير مؤامرين لنا في بيعته فلم تغضب لعثمان إذ قتل ولم تغضب لعلي إذ بوع فأردتم خلع علي ونحن على الأمر الأول فعليكم المخرج مما دخلتم فيه.

وتكلم بعده عمران بن حصين بما يشبه ذلك، وكان جواب طلحة لها كما يدعي المؤرخون، إن صاحبكم لا يرى أن معه في هذا الأمر غيره وليس على هذا بايعناه، والله ليسفكن دمه، فقال أبو الأسود لعمران: أن طلحة قد غضب للملك،

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٢٩٣ / ٤.

(٢) تاريخ الطبري ٤٨٦ / ٣.

(٣) العقد الفريد ٣٠٤ / ٤.

ثم تكلموا مع الزبير فقال لها: أن طلحة وإيادي كروح واحدة في جسدين، وأضاف إلى ذلك: لقد كان لنا مع عثمان بن عفان فلتنا احتجنا فيها إلى المعاذير ولو استقبلنا من أمرنا ما استدبرنا لنصرناه.

ثم أتيا عائشة فقالا لها: يا أم المؤمنين ما هذا المسير أمعك من رسول الله عهد بذلك؟ فقالت: إن عثمان قتل مظلوماً لقد غضبنا لكم من السوط والعصي أفلا نغضب لقتل عثمان.

فرد عليها أبو الأسود بقوله: وما أنت من عصانا وسيفنا وسوطنا وأنت حبيس رسول الله أمرك أن تقرّي في بيتك فجتت تضريين الناس بعضهم ببعض.

فقالت: وهل أحد يقاتلني؟

فقال: أي والله، لتقاتلين قتالاً أهونه الشديد.

وقال لها جارية بن قدامة السعدي مرّة أخرى: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان بن عفان أهون من خروجك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح. لقد كان لك من الله ستر وحرمة فهتكت سترك وأبحت حرمتك، وإن من رأى قتالك فقد رأى قتلك فإن كنت قد أتيتنا طائفة فارجعي إلى منزلك وإن كنت مستكرهة فاستعيني بالناس إلى كثير من المواقف التي وقفها جماعة من أهل البصرة وغيرهم مع طلحة والزبير وعائشة وباءت جهودهم بالفشل، ومضى القوم على موقفهم المتصلّب حتى دخلوا البصرة فانضمّ إليهم جماعة من الطامعين والحاقدين والمكرهين.

وجاء في رواية الطبري أنهم لما دخلوا البصرة جاءهم عثمان بن حنيف عامل أمير المؤمنين عليها وقال لهم: ما الذي نتمتم على علي حتى خرجتم عليه تقاتلوه، فقالوا: لأنه ليس بأولى بالخلافة منا وقد صنع ما صنع، فقال لهم: إن الرجل أمرني أن أسألكم وأكتب إليهم بجوابكم، وطلب منهم أن يصلي بالناس حتى يأتي جوابه فوافقوا على ذلك. ومضى الطبري يقول: أنهم لم يلبثوا إلا يومين حتى وثبوا عليه فقاتلوه وأخذوه أسيراً ولولا خوف الأنصار لقتلوه ومع ذلك فقد مثّلوا به ونفوا

شعر حاجبيه ولحيته وأشفار عينيه .

انقضت أيام وعائشة وطلحة والزبير يخطبون في الناس ويهيجونهم ويحذرونهم من الإمام عليه السلام وقد كان ينتهي كلامهم إلى ذم الإمام وسبه ، وأرسلت عائشة كتباً ورسائل إلى البلاد والأمصار ، كتبت فيها ما أرادت^(١).

محاصرة دار الإمارة

ونادى عثمان بن حنيف في الناس فتسلحوا ، وأقبل طلحة والزبير وعائشة حتى دخلوا المريد مما يلي بني سليم ، وجاء أهل البصرة مع عثمان ركباناً ومشاة ، وخطب طلحة فقال : إن عثمان بن عفان كان من أهل السابقة والفضيلة من المهاجرين الأوّلين ، وأحدث أحداثاً تقمناها عليه ، فبإيأاه ونافرناه ، ثمّ أعتب حين استعتبناه ، فعدا عليه امرؤ ابتزّ هذه الأمة أمرها بغير رضئ ولا مشورة ، فقتله ، وساعده على ذلك رجال غير أبرار ولا أتقياء ، فقتلوه بريئاً تائباً مسلماً ، فنحن ندعوكم إلى الطلب بدمه : فإنّه الخليفة المظلوم . فقتلوا منهم أربعين رجلاً صبراً ! يتولّى منهم ذلك الزبير خاصّة ، ثمّ هجموا على عثمان فأوثقوه رباطاً ، وعمدوا إلى لحيته وكان شيخاً كَثَّ اللحية فنتفوها حتى لم يبق منها شيء ولا شعرة واحدة^(٢). وقال طلحة : عدبوا الفاسق ، وانتفوا شعر حاجبيه ، وأشفار عينيه ، وأوثقوه بالحديد^(٣)!

(١) بلاغات النساء ٩ ، العقد الفريد ٣ / ٩٨ ، البيان والتبيين ، الجاحظ ٢ / ٢١٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٠ ، شرح النهج ٢ / ٤٩٩ ، البحار ٣٢ / ١٣٩ ، الاستيعاب ٤ / ٣٦١ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٥٧ ، أسد الغابة ٤ / ١٣٤ ، العقد الفريد ٢ / ٢٧٨ ، المعيار والموازنة ٥٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٩ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٩ ، مروج الذهب ٢ / ٣٦٧ ، أنساب الأشراف ٣ / ٢٦ ، الإمامة والسياسة ١ / ٨٨ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨١ .

(٣) الجمل ٢٨٤ .

ولما أخذوا عثمان بن حنيف ، أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره ، قالت : اقتلوه .

فقالت لها امرأة : نشدتك بالله يا أمّ المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله ﷺ ! قالت : زدوا أباناً ، فردّوه .

فقالت : احبسوه ولا تقتلوه ، قال : لو علمت أنك تدعيني لهذا لم أرجع . فقال لهم مجاشع بن مسعود : اضربوه وانتفوا شعر لحيته . فضربوه أربعين سوطاً ومنتفوا شعر لحيته ورأسه وحاجبيه وأشفار عينيه وحبسوه^(١).

فقال أبو بكر^(٢) : لقد نفعني الله بكلمة أيام الجمل ، لما بلغ النبي ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كسرى قال : « لن يُفْلح قوماً ولّوا أمرهم امرأة »^(٣).

قتل عائشة للأسرى

وذكر المسعودي أفعال عائشة وطلحة والزبير في البصرة وذكر أمرهم بقتل خزّان بيت مال البصرة ، فقتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح ، وخمسون من السبعين ضربت رقابهم صبراً من بعد الأسر ، وهؤلاء أوّل من قُتل ظلماً في الإسلام وصبراً^(٤).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٦٨ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٩ نحوه .

(٢) أبو بكر هو الذي كان يحثّ الأحنف بن قيس على الاعتزال وينهاه عن الوقوف إلى جانب الإمام علي عليه السلام ، استناداً إلى الحديث النبوي : « إذا تواجه مسلمان بسيفيهما فكلاهما من أهل النار » (صحيح البخاري ٦ / ٢٥٩٤ / ٦٧٢) .

لكنه شخصياً كان يميل إلى نصره عائشة ، غير أنه بعد ذكر هذا الحديث اعتزل الفريقين . نقل ابن حجر عن ابن التين : كلام أبي بكر يدلّ على أنه لولا عائشة لكان مع طلحة والزبير ؛ لأنه لو تبين له خطؤهما لكان مع علي (فتح الباري ١٣ / ٥٦) .

(٣) صحيح البخاري ٦ / ٢٦٠٠ / ٦٦٨٦ ، السنن الكبرى ٣ / ١٢٧ / ٥١٢٨ ، البداية والنهاية ٦ / ٢١٢ ، العمدة ٤٥٤ / ٩٤٨ كلها نحوه ، بحار الأنوار ٣٢ / ١٩٤ / ١٤٣ .

(٤) مروج الذهب ، المسعودي ٢ / ٣٥٨ .

وأمرت عائشة بقتل والي البصرة عثمان بن حنيف الأسير في أيديهم .
فهذه الأعمال المشينة في قتل الأسرى المسلمين مخالفة للمنهج النبوي الشريف .
فالنبي ﷺ لم يقتل الأسرى الكفار وأهل الكتاب فكيف بقتل الأسرى المسلمين .
ولقد أطلق الإمام علي عليه السلام أسرى المسلمين في معركة الجمل وصفين ومعارك الخوارج .
فالذي سار في التاريخ على منهج النبي محمد ﷺ وعلي عليه السلام أطلق سراح الأسرى والذي سار على منهج عائشة والخوارج قتل الأسرى المسلمين (١) .
وكانت عائشة متعمدة على قتل الأبرياء في زمن أبيها وعمر !!

صراع الزبير - طلحة

وقال الإمام علي عليه السلام في وصف طلحة والزبير: كل واحد منهما يرجو الأمر له ، ويعطفه عليه دون صاحبه ، لا يمتان إلى الله بحبل ، ولا يمدان إليه بسبب . كل واحد منهما حامل ضب لصاحبه ، وعمّا قليل يكشف قناعه به !
والله ! لئن أصابوا الذي يريدون لَيَنْتَرِعَنَّ هذا نفس هذا ، وليأتين هذا هذا .

قد قامت الفئة الباغية ، فأين المحتسبون ! فقد سُنَّت لهم السنن ، وقُدِّم لهم الخبر ، ولكل ضلّة علة ، ولكل ناكث شبهة .

والله لا أكون كمستمع اللدم ؛ يسمع الناعي ، ويحضر الباكي ، ثم لا يعتبر !
قال الإمام علي عليه السلام قد سارت عائشة وطلحة والزبير ، كل واحد منهما يدعي الخلافة دون صاحبه ، فلا يدعي طلحة الخلافة إلا أنه ابن عمّ عائشة ، ولا يدعيها الزبير إلا أنه صهر أبيها ، والله لئن ظفرا بما يريدان ليضربن الزبير عنق طلحة ، وليضربن طلحة عنق الزبير ؛ ينازع هذا على الملك هذا (٢) .

خلا سعيد بن العاص بطلحة والزبير ، فقال : إن ظفرتما ، لمن تجعلان الأمر ؟
أصدقاني !

قالا : لأحدنا ؛ أيّنا اختاره الناس .

قال : بل اجعلوه لولد عثمان ؛ فإنكم خرجتم تطلبون بدمه .

قالا : ندع شيوخ المهاجرين ونجعلها لأبنائهم (٣) !

وخرج أصحاب الجمل في ستائة ، معهم : عبدالرحمن بن أبي بكر ، وعبدالله بن صفوان الجمحي ، فلما جاوزا بئر ميمون (٤) إذا هم بجزور قد نُحِرت ونحرها ينتعب (٥) ، فتطيروا .

وأذن مروان حين فصل من مكة ، ثم جاء حتى وقف عليها ، فقال : على أيكما أسلم بالإمرة ، وأؤذن بالصلاة ؟!

فقال عبدالله بن الزبير : على أبي عبدالله . وقال محمد بن طلحة : على أبي محمد .

فأرسلت عائشة إلى مروان ، فقالت : ما لك ! أتريد أن تفرّق أمرنا ؟! ليصل

(١) الإرشاد ١ / ٢٤٦ ، الكفاية ١٩ / ١٩ ؛ شرح نهج البلاغة ١ / ٢٣٣ نحوه .

(٢) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٣ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٥ وفيه « لأيتام » بدل « لأبنائهم » .

(٣) بئر ميمون : بئر بمكة منسوبة إلى ميمون بن خالد الحضرمي (معجم البلدان ١ / ٣٠٢) .

(٤) ثَقَّبَ الماء والدم ونحوهما : فجّره ، فأنثعب كما ينثعب الدم من الأنف (لسان العرب ١ /

(١) بلاغات النساء ٩ ، العقد الفريد ٣ / ٩٨ ، البيان والتبيين ، الجاحظ ٢ / ٢١٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٠ ، شرح النهج ٢ / ٤٩٩ ، البحار ٣٢ / ١٣٩ ، الاستيعاب ٤ / ٣٦١ ، تاريخ يعقوبى ٢ / ١٥٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٥٧ ، أسد الغابة ٤ / ١٣٤ ، العقد الفريد ٢ / ٢٧٨ ، المعيار والموازنة ٥٧ .

ابن أُخْتِي! فكان يصلي بهم عبدالله بن الزبير، حتى قدم البصرة.
فكان معاذ بن عبيدالله يقول: والله لو ظفرنا لأفتتنا؛ ما خلى الزبير بين طلحة
والأمر، ولا خلى طلحة بين الزبير والأمر^(١).
ولما أصبحوا [الناكثون بعد استيلائهم على البصرة]، اجتمع الناس إليهم،
وأذن مؤذن المسجد لصلاة الغداة، فرام^(٢) طلحة أن يتقدم للصلاة بهم، فدفعه
الزبير وأراد أن يصلي بهم، فنهه طلحة، فما زالا يتدافعان حتى كادت الشمس أن
تطلع.
فنادى أهل البصرة: الله الله يا أصحاب رسول الله في الصلاة، نخاف فوتها!
فقال عائشة: مروا أن يصلي بالناس غيرها.
فقال لهم يعلى بن منية: يصلي عبدالله بن الزبير يوماً، ومحمد بن طلحة يوماً،
حتى يتفق الناس على أمير يرضونه. فتقدم ابن الزبير، وصلى بهم ذلك اليوم^(٣).

مسير الإمام إلى البصرة

وصل الخبر إلى أمير المؤمنين عليه السلام فأمر المنادي فننادى: الصلاة جامعة.
فاجتمع الناس في المسجد (مسجد رسول الله) في المدينة وصعد الإمام عليه السلام المنبر،
وخطب فيهم خطبة ذكر فيها الخلافة وأطوارها وأدوارها،... إلى أن قال:
بايعني هذان الرجلان طلحة والزبير في أول من بايع، وتعلمون ذلك، وقد
نكنا غدرًا، ونهضنا إلى البصرة بعائشة ليفرقًا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم.
اللهم فخذها بما عملاً أخذة واحدة رابية، ولا تنعش لها ضرعة، ولا تقلها

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٤، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٤ نحوه.

(٢) رام الشيء: طلبه (لسان العرب ١٢ / ٢٥٨).

(٣) الجمل ٢٨١، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨١ نحوه وراجع مروج الذهب ٢ / ٣٦٧ وشرح نهج

البلاغة ٩ / ٣٢٠، والفتوح ٢ / ٤٥٩.

عثرة، ولا تهلهها فواقًا، فإنتها يطلبان حقًا تركاه ودمًا سفكاه.
اللهم إني أفتضيك وعدك، وإتاك قلت: وقولك الحق: «ثُمَّ يُعَيِّنُ عَلَيْهِ لِيَنْصُرْتَهُ
اللَّهُ».

اللهم أنجز لي موعدتي، ولا تكلني إلى نفسي، إتك على كل شيء قد ير.
ثم استشار الإمام أصحابه، فقال عمار بن ياسر: الرأي عندي أن تسير إلى
الكوفة، فإن أهلها شيعة، وقد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة.
وأشار عليه ابن عباس أن يأمر أم سلمة لتخرج معه تقوية لجانبه، فقال
الإمام: أمّا أم سلمة فإني لا أرى إخراجها من بيتها كما رأى الرجلان إخراج
عائشة.

وأشار عليه جماعة أن يعتزل الفتنة ويذهب إلى ماله (ينبع) فلم يقبل منهم،
وأخيراً نادى الإمام: تجهزوا للمسير، فإن طلحة والزبير نكثا البيعة وتقضا العهد،
وأخرجوا عائشة من بيتها يريدان البصرة لإثارة الفتنة، وسفك دماء أهل القبلة.
ورفع يديه للدعاء قائلاً: اللهم هذين الرجلين قد بغيا عليّ، ونكثا عهدي،
وتقضا عقدي، وشتاني بغير حقّ سومها ذلك، اللهم فخذها بظلمها وأظفري بها،
وانصرتني عليها.

وجعل الإمام عليه السلام قثم بن العباس والياً على المدينة، وخرج بمن معه إلى
الربذة، وإذا بطلحة والزبير قد ارتحلوا منها^(١).

الإمام علي في البصرة

وصل أخيراً الإمام بجيشه الجرار إلى البصرة فيهم ثمانون بدرياً، ومائتان

(١) بلاغات النساء ٩، العقد الفريد ٣ / ٩٨، البيان والصبين، الجاحظ ٢ / ٢١٠، الإمامة
والسياسة ١ / ٦٠، شرح النهج ٢ / ٤٩٩، البحار ٣٢ / ١٣٩، الاستيعاب ٤ / ٣٦١، تاريخ
اليعقوبي ٢ / ١٥٧، مروج الذهب ٢ / ٣٥٧، أسد الغاية ٤ / ١٣٤، العقد الفريد ٢ / ٢٧٨،
المعيار والموازنة ٥٧.

ومخسون ممن بايع تحت الشجرة . وبلغه الخبر عن المجزرة الرهيبة التي أقامها هؤلاء ، فأرسل الإمام صعصعة بن صوحان للتفاهم أو لإتمام الحجّة على عائشة والرجلين ، فالتقى بهم صعصعة فلم يسمع منهم إلا التهديد والخشونة في الكلام ، وأرسل الإمام عليه السلام عبدالله بن العباس وأمره أن يلتقي بطلحة والزبير ، فلم تنجح مذاكراته معها .

كان وصول الجيش العلوي إلى البصرة على أحسن هيئة وأجمل نظام ، وفيهم المشايخ من أهل بدر والمهاجرين والأنصار ، وقواد الجيش ومعهم الأولوية والرايات ، والمواكب تترى بعضها خلف بعض ، وفي الأخير وصل موكب الإمام ، وهو موكب عظيم وفيه خلق كثير عليهم السلاح والحديد ، ومعهم الإمام وعليه الوقار والسكينة ، ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى السماء ، والجنود خلفه كأنّ على رؤوسهم الطير ، والإمام الحسن عن يمينه ، والإمام الحسين عن شماله ، وابنه محمد بن الحنفية بين يديه ومعه الراية .

أمر الإمام عليه السلام ابن عباس أن يرجع إلى عائشة تانياً ويذكر لها خروجها من بيت رسول الله ﷺ ويخوفها من الخلاف على الله ، والتبرج الذي نهاها الله عنه . دخل ابن عباس على عائشة وأدى رسالته ، وذكر لها فضل علي وسابقته ، ولكنّها لم تردع ولم تقنع .

ورجع ابن عباس إلى الزبير فوجده وحده ، فجعل يلين له في الكلام ويخوّفه عواقب أعماله ، ويلومه على إسراره في الخلاف ، فجاء ابنه عبدالله ، وكان شاباً شرساً قليل الحياء متهوراً ، وقابل ابن عباس بكلّ صلافة ..

وكانت المباحثات بلا جدوى ولا فائدة ، واستعدّ الفريقان للحرب .

كان كعب بن سور سيد الأزدي قد امتنع عن الخوض في المعركة ، فجاء طلحة والزبير إلى عائشة وطلبا منها أن تتوجّه بنفسها إلى كعب وتطلب منه المؤازرة والتعاون معها ، فأرسلت عائشة إليه تطلب منه الحضور ، فلم يجبهها كعب ، فركبت

بغلاً وأحاط بها نفر من أهل البصرة وسارت إليه بنفسها ، وسألته عن سبب امتناعه ، فقال : يا أمّاه ، لا حاجة لي في خوض هذه الفتنة .

فاستعبرت عائشة باكية وطلبت منه أن ينصرها بحركة إيليسية منها ، فرق لها كعب وأجابها وعلّق المصحف في عنقه وخرج معها^(١) .

اشتركت العشائر والقبائل من المدينة إلى الكوفة إلى طي إلى أهل البصرة في نصرة الإمام عليه السلام .

وكان خطباء الفريقين يخطبون في قومهم ويحرضونهم على الحرب^(٢) .

رسالة عائشة الخطيرة إلى حفصة

قال أبو مخنف : ولما نزل علي عليه السلام ذاقار كتبت عائشة إلى حفصة أمّا بعد فإنّي أخبرك أنّ علياً قد نزل ذاقار وأقام بها مرعوباً خائفاً لما بلغه من عدّتنا وجماعتنا فهو بمنزلة الأشقر إن تقدّم عقر وإن تأخّر نحر . فدعت حفصة جواري لها يتغنين ويضربن بالدفوف فأمرتهنّ أن يقلن في غنائهنّ : ما الخبر ما الخبر؟ علي في السفر كالفرس الأشقر إن تقدّم عقر وإن تأخّر نحر^(٣) . وجعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصة ويجتمعن لسماع ذلك الغناء .

فبلغ أمّ كلثوم (زينب) بنت علي عليه السلام ذلك فلبست جلابيبها ودخلت عليهنّ في

(١) الثقات ، ابن حبان ٥ / ٣٣٣ ، الجمل ، المفيد ١٧٣ .

(٢) العقد الفريد ٣ / ٩٨ ، البيان والتبيين ، الجاحظ ٢ / ٢١٠ ، الإمامة والسياسة ١ / ٦٠ ، شرح النهج ٢ / ٤٩٩ ، البحار ٣٢ / ١٣٩ ، الاستيعاب ٤ / ٣٦١ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٥٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٥٧ ، أسد الغابة ٤ / ١٣٤ ، العقد الفريد ٢ / ٢٧٨ ، المعيار والموازنة ٥٧ ، بلاغات النساء ٩ .

(٣) والحديث رواه أيضاً يوسف بن حاتم الشامي في قصّة حرب الجمل من كتاب الدرّ النظيم الورق ١١٤ . ولكن وأسفاه من بقاء هذا الكتاب وأمثاله غير منشور مع حاجة المجتمع إليها ، وإلى الله المشتكى من غفلة العلماء وكسلة الفضلاء وسفلة الزملاء وبخل التجار والأغنياء !

نسوة متنكرات ثم أسفرت عن وجهها فلما عرفتها حفصة خجلت واسترجعت فقالت أم كلثوم: لئن تظاهرتما عليه اليوم لقد تظاهرتما على أخيه من قبل فأنزل الله فيكما ما أنزل (١).

فقالت حفصة: كفى رحمك الله وأمرت بالكتاب فزق واستغفرت الله (٢).

لماذا لم تكلم أم سلمة عائشة حتى ماتت؟

كانت أم سلمة أفضل نساء النبي ﷺ بعد خديجة حتى قالت عائشة عنها:

كان رسول الله يقسم لنا من بيتها.

فكانت أم سلمة مخلصه للإسلام ومتعبدة بالنصوص النبوية فأحبت أهل

البيت طبقاً لوصايا النبي ﷺ فيهم (٣).

ولما طلبت عائشة من أم سلمة مشاركتها في حرب الجمل رفضت ذلك

وذكرت عائشة بأحاديث النبي ﷺ في الإمام علي عليه السلام وتحذير النبي ﷺ لها بعدم

إثارة الفتنة والخروج لحرب البصرة، لكن عائشة لم تعط أذناً صاغية لها وعصت

الأوامر والنصائح النبوية لها في هذا المجال.

وذهبت إلى البصرة وحاربت وصي المصطفى محمد ﷺ وقتلت عشرين ألف

مسلم يشهد الشهادة.

ثم عادت إلى المدينة وواصلت نهجها في إثارة الناس على أمير المؤمنين

(١) إشارة إلى ما أجمرت هي وزميلتها على رسول الله ﷺ حتى نزلت في تهديدهما وعظم جرمهما الآية الأولى إلى الآية الرابعة من سورة التحريم: (٦٦) وهذا نص الآية الرابعة: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾.

(٢) البحار ٣٢ / ٩١، شرح النهج ١٤ / ١٢.

(٣) تاريخ ابن أعمش ١٦٨ / ٢، شرح النهج، المعتزلي ٢ / ٦٠٧٧، ٢١٧.

علي عليه السلام فعارضتها أم المؤمنين أم سلمة ولم تكلمها (١).

فاتت أم سلمة وهي معرضة عنها ومخالفة لها لأعمالها القبيحة وفتنها المتكررة وعصيانها اليبين لخاتم الأنبياء.

وكانت فاطمة بنت محمد ﷺ سيّدة نساء العالمين قد ماتت وهي ناقة على

عائشة وتكثر الشكوى من عائشة ولم تكلم أباهما إلى أن ماتت (٢).

ولم تسمح لها بدخول بيتها بعد هجوم قوات أبي بكر عليها وكسر ضلعها،

ولما ماتت فاطمة رضي الله عنها فرحت عائشة وأعلنت سرورها بهذا.

أثر عبدالله بن عامر في حرب الجمل

وترف عبدالله بن عامر وأسرف وعاث في الأرض الفساد.

وقد نغم الناس من سياسته وسوء تصرفاته، وعابوا على عثمان ولايته له،

وخفّ إلى يثرب عامر بن عبدالله موفداً من قبل أهل البصرة يطالب عثمان

بالاستقامة في سلوكه فقال له:

إن أناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أموراً

عظماً، فاتق الله عز وجل وتب إليه وانزع عنها.

فاحتقره عثمان وأعرض عنه، وقال لمن حوله:

انظروا إلى هذا، فإن الناس يزعمون أنه قارئ، ثم هو يجيء فيكلمني في

المحقرات، فوالله! ما يدري أين الله؟..

ولم يكلمه عامر إلا بتقوى الله وطاعته، وإيثار مصلحة المسلمين، فهل هذه

الأمر من المحقرات؟

والنفت إليه عامر فقال له:

(١) الجمل، المفيد ١٢٥.

(٢) سنن البخاري ٥ / ١٧٧، تاريخ الطبري ٣ / ٢٠٢، الامامة والسياسة ١ / ١٤.

أنا لا أدري أين الله ..

نعم .

إني لأدري إنَّ الله بالمرصاد ..

وغضب عثمان ، فعقد مؤتمراً من مستشاريه ، وعرض عليهم انتقاد المعارضين لسياسته ، فأشار عليه ابن خاله عبدالله بن عامر أن يتخذ معهم الاجراءات الصارمة قائلاً :

أرى لك يا أمير المؤمنين أن تأمرهم بجهاد يشغلهم عنك ، وأن تجمهم في المغازي حتى يذلوا لك ، فلا يكون همّة أحدهم إلا نفسه ، وما هو فيه من دبر دابته وقل فروته ..

وأشار عليه آخرون بخلاف ذلك ، إلا أنه استجاب لرأي ابن خاله ، وأوعز إلى عماله بالتضييق على الجبهة المعارضة ، ومقابلتهم بالشدّة والعنف ، فاستجاب له ، وطبق ما أشار عليه ، فقد أمر عماله بتجمير الناس في البعث ، وعزم على حرمانهم من العطاء حتى يشيع الفقر فيهم والبؤس ، فيضطروا إلى طاعته (١) .

ولما قفل عبدالله بن عامر إلى البصرة عمد إلى التنكيل بعامر بن عبدالله ، وأوعز إلى عملائه أن يشهدوا عليه شهادة زور بأنه خالف المسلمين في أمور قد أحلها الله كان منها :

١- أنه لا يأكل اللحم .

٢- لا يشهد الجمعة .

٣- لا يرى مشروعية الزواج (٢) .

ودوّنت شهادتهم ، ورفعتها إلى عثمان ، فأمره بنفيه إلى الشام ، وحمله على قتب حتى يشقّ عليه السفر ، ولما انتهى إلى الشام أنزله معاوية (الخضراء) ، وبعث إليه

(١) تاريخ الطبري ٩٤ / ٥ ، تاريخ ابن خلدون ٣٩ / ٢ .

(٢) الفتنة الكبرى ١ / ١١٦ .

بجارية تكون عيناً عليه ، وأشرفت عليه الجارية فرأته يقوم في الليل متعبداً ، ويخرج من السحر فلا يعود إلا بعد العتمة ، ولا يتناول من طعام معاوية شيئاً ، وكان يتناول كسراً من الخبز ويجعلها في الماء تحرجاً من أن يدخل جوفه شيء من الحرام ، وانبرت الجارية فأخبرت معاوية بشأنه ، فكتب إلى عثمان بأمره (١) .

هكذا كان عبدالله بن عامر رجل لا يعرف الحق أبداً . وكان عامر بن عبدالله يعيش مع الحق أبداً !!

عراب حرب الجمل يعلى بن مثنىة (٢)

صهر الزبير (٣) ، وعامل أبي بكر (٤) وعمر وعثمان على اليمين (٥) ، عزله أمير المؤمنين عليه السلام بعد مقتل عثمان ، فذهب بيت مال اليمين (٦) وجمع لنفسه ثروة مالية طائلة سرقها من المسلمين ولجأ إلى مكة ومعه ستمائة ألف درهم وستائة بعير (٧) ، فالتحق فيها بعائشة وطلحة والزبير ، وتعهد بنفقات الحرب ، فدفع أربعمئة ألف درهم للمحاربين ، وجعل الإبل تحت تصرفهم (٨) .

(١) الإصباة ٣ / ٨٥ .

(٢) مثنىة هذه هي أمه ، وقد اشتهر بالنسبة إليها ، وهي مثنىة بنت غزوان . وأمّا أبوه فهو أمية بن

أبي عبيدة التميمي المكي .

(٣) المعارف لابن قتيبة ٢٧٦ .

(٤) المعارف لابن قتيبة ٢٧٦ .

(٥) الإصباة ٦ / ٥٣٩ ، أسد الغابة ٥ / ٤٨٦ / ٥٦٤٧ ، تهذيب الكمال ٣٢ / ٣٨٠ /

٧١١٠ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠١ / ٢٠ وفيهما « كان عامل عمر على نجران » .

(٦) الجمل ٢٣٣ .

(٧) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥٠ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٣ ، الفتوح ٢ / ٤٥٣ ، وفيه « ومعه

أربعمئة بعير » البداية والنهاية ٧ / ٢٣١ .

(٨) أسد الغابة ٥ / ٤٨٧ / ٥٦٤٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٦٦ ، العقد الفريد ٣ / ٣٢٣ وفيه « وجّه

من ماله خمسمئة فارس بأسلحتهم وأزودتهم » ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠١ / ٢٠ وفيه

وهو الذي اشترى جمل عسكر (الشیطان) الذي كانت عليه عائشة (١).
وعرف بالسقاء (٢).
ومات في أيام معاوية (٣).
وقال الإمام علي عليه السلام: والله إن ظفرت باین منیة وابن أبي ربيعة لأجعلن
أموالها في مال الله عز وجل.
لأنَّ عبد الله بن أبي ربيعة ويعلى بن منیة سرقا تلك الأموال .

استغاثة مروان

أرسل مروان رسالة إلى معاوية ورسالة إلى يعلى بن منیة أثناء حصار عثمان :
إن بني أمية في الناس كالشامة الحمراء ، وقد علمت أنها لم تأت عثمان إلا كرهاً تجذب
من ورائها ، وإني خائف إن قتل أن تكون من بني أمية بمناسط التريسا إن لم نصبر
كرصيف الأساس المحكم ، ولئن وهى عمود البيت لتتداعين جدرانها ، والذي عيب
عليه إطعامكما الشام واليمن ، ولا شك أنكما تابعاه إن لم تحذرا ، وأنا أنا فساعف كل
مستشير ، ومعين كل مستصرخ ، ومجيب كل داع ، أتوقع الفرصة فأثب وثبة الفهد
أبصر غفلة مقتنصة ، ولولا مخافة عطب البريد وضياح الكتب لشرحت لكما من
الأمر ما لا تفزعان معه إلى أن يحدث الأمر ، فجداً في طلب ما أنتما وليّاه ، وعلى ذلك

﴿فأنفق أموالاً جزيلة في العسكر كما ينفق الملوك﴾ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٤ ، البداية
والنهاية ٧ / ٢٣١ وفيهما «ستمائة بعير وستمائة الف درهم» .

(١) الكامل في التاريخ ٢ / ٣١٥ ، المعارف لابن قتيبة ٢٧٦ ، أسد الغابة ٥ / ٤٨٧ / ٥٦٤٧ ،
العقد الفريد ٣ / ٣٢٣ ، الفتح ٢ / ٤٦٨ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٣١ .

(٢) أسد الغابة ٥ / ٤٨٧ / ٥٦٤٧ ، تهذيب الكمال ٣٢ / ٣٨٠ / ٧١١٠ ، سير أعلام النبلاء ٣ /
٢٠ / ١٠١ .

(٣) تهذيب الكمال ٣٢ / ٣٨١ / ٧١١٠ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ١٠١ / ٢٠ ، الإصابة ٦ / ٥٣٩ /
٩٣٧٩ ، أسد الغابة ٥ / ٤٨٧ / ٥٦٤٧ ، مختصر تاريخ دمشق ٢٨ / ٥٨ / ٤٠ وفيهما «ثم صار
من أصحاب علي وقتل معه بصقين» .

فليكن العمل إن شاء الله

فلما ورد الكتاب على معاوية أذن في الناس الصلاة جامعة ، ثم خطبهم خطبة
المستنصر المستصرخ ، وفي أثناء ذلك ورد عليه قبل أن يكتب الجواب كتاب مروان
بقتل عثمان

فلما ورد الكتاب على معاوية أمر بجمع الناس ، ثم خطبهم خطبة أبكى منها
العيون ، وقلقل القلوب ، حتى علت الرثة ، وارتفع الضجيج ، وهم النساء أن
يتسلحن .

رسائل معاوية إلى طلحة والزبير

كتب إلى طلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وسعيد بن العاص ، وعبدالله
بن عامر بن كريز ، والوليد بن عقبة ، ويعلى بن منية .
فكان كتاب معاوية إلى طلحة : أمّا بعد ؛ فإنك أقلّ قريش في قريش وتراً ،
مع صباحة وجهك ، وسباحة كفك ، وفصاحة لسانك ؛ فأنت بإزاء من تقدّمك في
السابقة ، وخامس المبشرين بالجنة ، ولك يوم أحد وشرفه وفضله ، فسارع رحمك
الله إلى ما تقلّدك الرعية من أمرها ممّا لا يسعك التخلف عنه ، ولا يرضى الله منك إلا
بالقيام به ، فقد أحكمت لك الأمر قبلي ، والزبير فغير متقدّم عليك بفضل ، وأيكما
قدّم صاحب فالتقدّم الإمام والأمر من بعده للمقدّم له ، سلك الله بك قصد المهتدين ،
ووهب لك رشد الموقفين ، والسلام .

وكتب إلى الزبير : أمّا بعد ؛ فإنك الزبير بن العوام بن أبي خديجة ، وابن عمّة
رسول الله ﷺ ، وحواريّه وسلفه ، وصهر أبي بكر ، وفارس المسلمين ، وأنت الباذل
في الله مهجته بمكّة عند صيحة الشيطان ، بعثك المنبث فخرجت كالثعبان المنسلخ

بالسيف المنصلت، تحبب خطب الجمل الرديع^(١)، كل ذلك قوة إيمان وصدق يقين، وسقت لك من رسول الله ﷺ البشارة بالجمعة، وجعلك عمر أحد المستخلفين على الأمة.

واعلم يا أبا عبدالله، أن الرعية أصبحت كالغنم المتفرقة لغيبة الراعي، فسارع رحمك الله إلى حقن الدماء، ولم الشعث، وجمع الكلمة، وصلاح ذات البين قبل تفاقم الأمر، وانتشار الأمة؛ فقد أصبح الناس على شفا جرف هارٍ عما قليل ينهار إن لم يُرأب^(٢)، فشمّر لتأليف الأمة، وابتغ إلى ربك سبيلاً. فقد أحكمت الأمر على من قبلي لك ولصاحبك، على أن الأمر للمقدم، ثم لصاحبه من بعده، جعلك الله من أئمة الهدى، وبنغة الخير والتقوى، والسلام^(٣).

وبعث [معاوية] رجلاً من بني عميس، وكتب معه كتاباً إلى الزبير بن العوام وفيه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبدالله بن الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبي سفيان، سلام عليك. أما بعد؛ فإنني قد بايعت لك أهل الشام، فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الجلب^(٤) فدونك البصرة لا يسبقنك إليها ابن أبي طالب فإنه لا شيء بعد هذين المصرين. وقد بايعت لطلحة بن عبيدالله من بعدك فأظها الطلب بدم عثمان وادعو الناس إلى ذلك وليكن منكما الجد والتسمير، أظفركما الله بعدوكما وخذل مناوئكما.

فلما وصل الكتاب إلى الزبير سر به. وأعلم به طلحة واقراه إياه فلم يشكاً في النصح لها من قبل معاوية وأجمعا عند ذلك على خلاف علي عليه السلام^(٥).

(١) أي المردوع؛ من زده إذا كفه (هامش المصدر).

(٢) الرأب: الجمع والشد برفق (النهاية ٢ / ١٧٦).

(٣) شرح نهج البلاغة ١٠ / ٢٣٣.

(٤) ما جلب من خيل وائبل ومتاع.

(٥) شرح النهج ١ / ٢٣١.

قال الإمام عن كتاب معاوية السري لها: ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه فكتماه عني وخرجا يوهان الطعام أتهما يطلبان بدم عثمان^(١).

أحداث ما قبل المعركة

كانت ساحة القتال في الحربية، وهي اليوم بين الزبير والبصرة يقال لها (الحير) وهناك قبر طلحة وهي مدينة الزبير المعروفة حالياً. وخرج علي عليه السلام وعليه عمامة سوداء وقيص ورداء، وهو راكب على بغلة رسول الله ﷺ الشهباء.

ومعه جيش المتقين المؤمنين من الأنصار والمهاجرين. وجاءت عائشة وهي في هودج على بعير، وعن يمينها وشمالها طلحة والزبير وابنه عبدالله، ومعها جندها يقودهم الجمل عسكر. وكان النشاط في أصحاب الإمام أكثر، وكانوا يريدون الهجوم على العدو، لكن الإمام يمنهم ويقول لهم: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر فيما بيني وبين الله وبينهم. فقام عليه السلام إليهم وقال خاطباً:

يا أهل البصرة، هل تجدون علياً جوراً في حكم؟

قالوا: لا.

قال: فحيفاً في قسم؟

قالوا: لا.

قال: فرغبة في دنياً أصبتها لي ولأهل بيتي دونكم، فنقمتم علياً فنكنتم

بيعتي؟

(١) الجمل ٢٦٨، شرح النهج ١ / ٣١٠، البحار ٣٢ / ٦٣.

قالوا: لا.

قال: فأقت فيكم الحدود وعطلتها عن غيركم؟

قالوا: لا.

قال: فال بيعتي تنكث وبيعة غيري لا تنكث؟ إنني ضربت الأمر أنفه وعينه

فلم أجد إلا الكفر أو السيف.

ثم التفت إلى أصحابه وقال: إن الله تعالى يقول في كتابه:

﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ

لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ﴾^(١).

ثم قال عليه السلام والذي فلق الحبة وبرأ النسمة واصطفى محمداً للنبوّة إنهم

لأصحاب هذه الآية، وما قوتلوا منذ نزلت.

ثم التفت إلى ابن عباس وقال له: امض بهذا المصحف إلى طلحة والزبير

وعائشة وادعهم إلى ما فيه.

جاء ابن عباس فبدأ بالزبير وقال له: إن أمير المؤمنين يقول: ألم تبايعني

طائعاً؟ فبم تستحلّ دمي؟ وهذا المصحف وما فيه بيني وبينك فإن شئت تحاكمنا

إليه.

فقال الزبير: أرجع إلى صاحبك، فإننا بايعنا كارهين، ومالي حاجة في

محاكمته.

انصرف ابن عباس إلى طلحة، فوجد فيه الاستعداد للشرّ والحرب، فقال

له: والله، ما أنصفت رسول الله ﷺ إذ حبستم نساءكم وأخرجتم حبيسته.

ونادى طلحة: ناجزوا القوم، فإنكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

ورجع ابن عباس وأخبر الإمام بالنتيجة السلبية، وقال له: ما تنتظر؟ والله

لا يعطيك القوم إلا السيف، فاحمل عليهم قبل أن يحملوا عليك.

فقال الإمام: نستظهر بالله عليهم. وهناك خرج أمير المؤمنين عليه السلام بين الصّفين

وكان حاسراً ونادى بأعلى صوته: أين الزبير؟ فليخرج. ثم نادى ثانية، وكان

طلحة والزبير واقفين أمام صّفّيها، فخرج الزبير، وخرج الإمام إليه، فصاح به

أصحابه: يا أمير المؤمنين، أخرج إلى الزبير الناكث بيعته وأنت حاسر^(١) وهو على

فرس شاكي السلاح، مدجج في الحديد وأنت بلا سلاح؟!

فقال الإمام: ليس عليّ منه بأس، إن عليّ منه جنة واقية، ولن يستطيع أحد

فراراً من أجله، وإني لا أموت، ولا أقتل إلا بيد أشقاها، كما عقر الناقة أشقى ثود.

فخرج إليه الزبير، فقال عليه السلام: أين طلحة؟ ليخرج. فخرج، وقربا من

الإمام، حتى اختلفت أعناق دابّتيها.

فقال الإمام للزبير: ما حملك على ما صنعت؟

فقال الزبير: الطلب بدم عثمان. فقال الإمام: أنت وأصحابك قتلتموه، فيجب

عليك أن تقيد من نفسك، ولكن أنشدك الله الذي لا إله إلا هو، الذي أنزل الفرقان

على نبيّه ﷺ أما تذكر يوماً قال لك رسول الله يا زبير، أحبّ علياً؟ فقلت: وما

يمنعني عن حبّه وهو ابن خالي؟ فقال لك: أمّا أنت ستخرج عليه يوماً وأنت له ظالم؟

فقال له الزبير: اللهمّ بلى، قد كان ذلك.

فقال الإمام: فأنشدك الله الذي أنزل الفرقان على نبيّه ﷺ أما تذكر يوماً

جاء رسول الله ﷺ من عند ابن عوف، وأنت معه، وهو آخذ بيدك، فاستقبلته أنا

فسلمت عليه فضحك في وجهي، فضحكت أنا إليه، فقلت أنت: لا يدع ابن أبي

طالب زهوه أبداً. فقال لك النبي ﷺ: مهلاً يا زبير، فليس به زهو، ولتخرجنّ عليه

يوماً وأنت ظالم له؟

(١) دون سلاح، نيل الاوطار، الشوكاني ١٦٦/٨.

(١) سورة التوبة ١٢.

فقال الزبير: اللهم بلى، ولكن نسيت، فأما إذ ذكرتني ذلك فلا تصرفن عنك، ولو ذكرت هذا لما خرجت عليك.

ثم التفت إليهما معاً وقال: نشدتكما الله، أتعلمان وأولوا العلم من أصحاب محمد وعائشة بنت أبي بكر أن أصحاب الجمل، وأهل النهروان ملعونون على لسان النبي ﷺ وقد خاب من افترى؟ غير مكرهين، وكننا أول من فعل ذلك ولم يقل أحد: لتبايعان أو لنقتلكما.

ثم انصرف كل رجل إلى صفه، فأراد الزبير الخروج من الحرب والانصراف إلى البصرة، فقال له طلحة: ما لك يا زبير؟ ما لك تتصرف عتاً؟ سحرك ابن أبي طالب؟^(١) فقال الزبير: لا، ولكن ذكرتني ما كان أنسانيه الدهر، واحتج على بيعتي له. فقال طلحة: لا، ولكن جبت وانتفخ سحرك.

فقال الزبير: لم أجبن، ولكن أذكر فذكرت.

فقالت عائشة: ما وراءك يا أبا عبد الله؟

فقال الزبير: الله ورائي، إني ما وقفت موقفاً في شرك ولا إسلام إلا ولي فيه بصيرة، وأنا اليوم على شك من أمري، وما أكاد أبصر موضع قدمي.

فقالت عائشة: لا والله، بل خفت سيف ابن أبي طالب، أما إنها طوال حداد، تحملها سواعد أمجاد، ولئن خفتها فلقد خافها الرجال من قبلك.

فقال ابنه عبد الله: جبناً جبناً.

فقال الزبير: يابني، قد علم الناس أنني لست بجبان، ولكن ذكرتني علي شيئاً سمعته من رسول الله ﷺ فحلفت أن لا أقاتله.

فقال عبد الله بن الزبير: يا أبة، أجتت بهذين العسكرين العظيمين حتى إذا اصطفا للحرب قلت اتركهما وانصرف! فما تقول قريش غداً بالمدينة؟! الله الله

(١) كان كفار مكة يفسرون معاجز النبي ﷺ بالسحر وطلحة على نهجهم، وعائشة على اعتقادهم أيضاً فلم تهتم بنباح كلاب الحوالب لها!!

يا أبة، لا تشمت بنا الأعداء، ولا تشن نفسك بالهزيمة قبل القتال.

فقال الزبير: ما أصنع يا بني وقد حلفت أن لا أقاتله؟

فقال ابنه: كفر عن يمينك، ولا تفسد أمرنا.

فقال الزبير: عبيد مكحول حز لوجه الله، كفارة ليميني^(١).

ثم عاد معهم للقتال، فعند ذلك أخذ الإمام ﷺ المصحف بيده وطلب من يقرأ عليهم هذه الآية: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾^(٢).

فقام غلام حدث السن من مجاشع، يقال له (مسلم) عليه قباء أبيض، فقال له: أنا أخذه يا أمير المؤمنين.

فقال له: يافتى، إن يدك اليمنى تقطع، فتأخذه بيدك اليسرى فتقطع اليسرى، ثم تضرب عليه بالسيف حتى تقتل.

فقال الفتى: لأصبر على ذلك.

فنادى الإمام ثانية، فقام الفتى ثانية، فأعاد عليه مقاتله، فقال الفتى لا عليك، فهذا قليل في ذات الله، فأخذ المصحف ووقف أمام الصفوف، وقال: هذا كتاب الله، وأمير المؤمنين يدعوكم إلى ما فيه.

فأمرت عائشة بإعدامه، فقطعوا يديه، ثم أحاطوا به وطعنوه بالرماح من كل جانب.

وكانت أمه واقفة تنظر فصاحت فطرحت نفسها على ولدها.

كان الإمام ﷺ ينتظر وقت الظهر لتنزل الملائكة، وكان يقول: لا تقاتلوا القوم حتى يبدأوكم، فإنكم بحمد الله على حجة، وكفكم عنهم حجة أخرى، فإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح، فإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبراً، ولا تكشفوا

(١) الامالي، الطوسي ١٣٨، البحار ٩٢/٢٠٥.

(٢) سورة الحجرات ٩.

عورة، ولا تَمْتَلُوا بِقَتِيلٍ، وإذا وصلتُم إلى رحال القوم فلا تَهْتَكُوا سِتْرًا، ولا تدخلوا داراً، ولا تأخذوا من أموالهم شيئاً، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهم ضعاف القوى والأنفوس والعقول... إلى آخر الوصايا.

كانت سهام القوم تترى على الإمام وأصحابه كالطر، فصاح الناس: حتى متى يا أمير المؤمنين ندلي نحورنا للقوم يقتلوننا رجلاً رجلاً، والله قد أعذرت إن كنت تريد الإعذار (١).

وكانت عائشة قد قالت: اقتلوا نعتلاً فقد كفر، وآلبت عليه الناس، لكنّها عند سماعها ببيعة الناس لعلي بن أبي طالب عليه السلام قالت: ليت هذه انطبقت على هذه، ردوني، ردوني (٢).

وعندما رجعت إلى مكّة انقلبت على حالها من معادية لعثمان إلى مطالبة بأخذ ثأره، غافلة عن أنّها الأمّارة بقتله! فقالت: قتل والله عثمان مظلوماً والله لأطلبنّ بدمه، فقال لها ابن أمّ كلاب: ولم فوالله إنّ أوّل من أمار حرقه لأنت، وقد كنت تقولين: اقتلوا نعتلاً فقد كفر (٣).

وفعالاً نجحت عائشة في قتل عثمان بن عفّان بشخصيّتها القوية وبفتواها (بعد أن جعلها عمر أحد أصحاب الفتوى)، فقال ابن أمّ كلاب:

مِنْكَ الْبَدَاءُ وَمِنْكَ الْغَيْرُ وَمِنْكَ الرِّيحُ وَمِنْكَ الْمَطَرُ
وَأَنْتِ أَمْرٌ بِقَتْلِ الْإِمَامِ وَقُلْتِ لَنَا إِنَّهُ قَدْ كَفَرَ

(١) شرح النهج ٢ / ١٧٠، تاريخ الطبري ٥ / ١٩٩، مختصر تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٦٤، الاستيعاب ٣ / ٢٠٣، أسد الغابة ٢ / ١٩٩، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٤، العقد الفريد ٤ / ٣٢٢، المستدرک، الحاكم ٣ / ٣٦٦، كنز العمال ٦ / ٨٢.

(٢) تاريخ الطبري ٢ / ٤٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٢ / ٤٧٧.

فَهَبْنَا أَطْغَنَّاكَ فِي قَتْلِهِ وَقَاتِلُهُ عِنْدَنَا مَمْنٌ أَمْرٌ (١)
قال الإمام علي عليه السلام عن حركة طلحة والزبير وعائشة ضده: بُليت بأنضّ الناس، وأنطق الناس، وأطوع الناس في الناس، يريد بأنضّ الناس يعلى بن منية، وكان أكثر الناس ناضاً، ويريد بأنطق الناس طلحة بن عبيدالله، وأطوع الناس في الناس عائشة أمّ المؤمنين (٢).

وقتل في فتنه معركة الجمل خمسة وعشرون ألفاً (٣).

لقد جعل عمر رجال الشورى من أمثال الزبير وطلحة وسعد وابن عوف وعثمان معتقدين أهليتهم للخلافة، لذلك عارض الزبير وطلحة سلطة عثمان، وقاوماه وقتلاه، ولما مآها معاوية بالخلافة، وفشلا في الحصول على ولاية البصرة والكوفة من علي عليه السلام عارضاً علياً عليه السلام وحاربا.

وكذلك عائشة، إذ منحها عمر منزلة عالية، باعطاتها أعلى راتب سنوي، مفضلاً إياها على رجال المسلمين ونسائهم، وجعلها مفتية يرجع إليها في الفتوى. ولما أنقصها عثمان راتبها وأبطل فتواها ثارت عليه عائشة وأقتت بقتله، على أمل وصول ابن عمّها طلحة إلى الخلافة.

ولما فشلت في ذلك وباع المسلمون علياً عليه السلام، ثارت عليه كما ثارت على عثمان بن عفّان، فركبت جملها متوجّهة نحو العراق، عسى أن تتمكّن من قتل أمير المؤمنين علي عليه السلام وتتنصيب ابن عمّها طلحة، أو ابن أختها عبدالله بن الزبير خليفة للمسلمين، فتعود سلطتها السابقة في الدولة، ويعود عطاؤها إلى سابق عهده كأعلى راتب عند المسلمين.

لقد كانت حرب الجمل أعظم فتنة تصيب المسلمين فكلّا الجيشين ينادي لا

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٤٧٧.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤ / ٣٠٣.

(٣) العقد الفريد، ابن عبد ربّه ٤ / ٣٠٤.

إله إلا الله والله أكبر^(١).

وعائشة تستغل كونها زوجة الرسول ﷺ لمحاربة أهل بيته عليه السلام، إذ قال لها عبدالله بن عباس: ما كان ذلك جزاؤنا منك إذ جعلناك للمؤمنين أمماً.

فقال له عائشة: أتمنّي عليّ برسول الله يا بن عباس؟

فقال: نعم فمنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلة منّا لمننت به علينا^(٢).

وقد ارتكبت قيادة حرب الجمل عائشة والزبير وطلحة أخطاءً جسيمة تمثّلت في: خروجهم على الإمام المفترض الطاعة علي بن أبي طالب عليه السلام الذي نصّ عليه النبي ﷺ بقوله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه وبايعه المسلمون في الغدير وفي البيعة العامة بعد مقتل عثمان وخالفت عائشة الآية القرآنية المخاطبة لها ولأمّاتها: يانساء النبي قرن في بيوتكن^(٣).

قيادة جند أمير المؤمنين عليه السلام

القائد: الإمام علي عليه السلام.

علي الخيّالة: عمّار بن ياسر^(٤).

علي الرّجالّة: شرح بن هاني^(٥).

علي الساقّة: هند المرادي^(٦).

(١) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤ / ٣٠٥.

(٢) المصدر السابق ٤ / ٣٠٦.

(٣) شرح النهج ٢ / ١٧٠، تاريخ الطبري ٥ / ١٩٩، مختصر تاريخ ابن عسّاكر ٥ / ٣٦٤، الاستيعاب ٣ / ٢٠٣، أسد الغابة ٢ / ١٩٩، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٤، العقد الفريد ٤ / ٣٢٢، المستدرك، الحاكم ٣ / ٣٦٦، كنز العمال ٦ / ٨٢.

(٤) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨، الإمامة والسياسة ١ / ٩٠، الجمل ٣١٩.

(٥) الفتوح، ابن أعمش ١ / ٤٧٢.

(٦) الإمامة والسياسة ١ / ٩٠، الجمل ٣١٩ وزاد فيه «فمّ الجملي».

علي المقدّمة: عبدالله بن عباس^(١).

علي الميمنة: الإمام الحسن عليه السلام^(٢).

علي الميسرة: الإمام الحسين عليه السلام^(٣).

صاحب الراية: محمّد ابن الحنفية^(٤) - ^(٥).

علي خيل القلب: محمد بن أبي بكر^(٦).

قيادة جند الجمل

القائد: عائشة.

الزبير: انهزم من المعركة.

علي الخيّالة: طلحة بن عبيدالله^(٧).

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨، الإمامة والسياسة ١ / ٩٠، تاريخ الطبري ٤ / ٤٨٠ وفيه «أبو ليلى بن عمر بن الجراح»، الجمل ٣١٩.

(٢) العقد الفريد ٣ / ٣١٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨ وفيهما: «علاء بن الهيثم السدوسي ويقال عبدالله بن جعفر ويقال الحسن بن علي» على نحو التردد بينهم، تاريخ الطبري ٤ / ٤٨٠ وفيه «عبدالله بن عباس»، الأخبار الطوال ١٤٧ وفيه «الأشتر»، هامش تاريخ دمشق ١٣ / ٢٦٠.

(٣) تاريخ دمشق ١٤ / ١٨٧، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨، تاريخ الطبري ٤ / ٤٨٠ وفيه «عمر بن أبي سلمة أو عمرو بن سفيان بن عبد الأسد»، الأخبار الطوال ١٤٧ وفيه «عمّار بن ياسر».

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٤٨٠، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، الأخبار الطوال ١٤٧، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨.

(٥) لمزيد الأطلّاح حول قادة جيش الإمام عليه السلام راجع الفتوح ٢ / ٤٦٨.

(٦) الفتوح، ابن أعمش ١ / ٤٧٢.

(٧) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨، الإمامة والسياسة ١ / ٨٩، الفتوح ٢ / ٤٦١، الأخبار الطوال ١٤٦ وفيه «محمّد بن طلحة».

على خيالة الميمنة : مروان بن الحكم^(١).
 على خيالة الميسرة : هلال بن وكيع الدارمي^(٢).
 على الرجالة : عبدالله بن الزبير^(٣).
 على رجالة الميمنة : عبدالرحمن بن عتاب بن أسيد^(٤).
 على رجالة الميسرة : عبدالرحمن بن الحارث^(٥).
 هؤلاء وقفوا أمام عمار بن ياسر الذي قال فيه رسول الله ﷺ :

« الحق مع عمار » ، و « تقتلك الفئة الباغية »^(٦).

وقالت أم سلمة : يا أمير المؤمنين لولا أن أعصي الله عز وجل وأتك لا تقبله مني لخرجت معك ، وهذا ابني عمر والله ، هو أعز علي من نفسي يخرج معك فيشهد مشاهدك . فخرج فلم يزل معه^(٧).

وفي جيش الجمل عائشة وطلحة والزبير ومروان بن الحكم وعبدالله بن عامر وكعب بن سور ، وقال أمير المؤمنين عليه السلام قولته المشهورة : « إن الحق لا يعرف

(١) الجمل ٣٢٤ ، الفتوح ٢ / ٤٦١ ، الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ وفيه « على المقدمة مروان » ،

تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥ ، تاريخ خليفة بن خياط ١٣٨ وفيهما « على الميسرة » .

(٢) الجمل ٣٢٤ ، الفتوح ٢ / ٤٦١ .

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٥ ، العقد الفريد ٣ / ٣١٤ ، الأخبار الطوال ١٤٦ ، تاريخ

خليفة بن خياط ١٣٨ ، الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ الفتوح ٢ / ٤٦١ .

(٤) الجمل ٣٢٤ ، الفتوح ٢ / ٤٦١ ، الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ وفيه « عبدالرحمن بن عباد » ،

تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٧ وفيه « إلى الميسرة » .

(٥) الجمل ٣٢٤ ، الأخبار الطوال ١٤٧ وفيه « وإلى الميسرة » ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٧ ، الكامل

في التاريخ ٢ / ٣٣٧ وفيهما « كان قائد الميمنة ، وفي الأخير : عبدالرحمن بن الحرث » ،

الفتوح ٢ / ٤٦١ وفيه « حاتم بن بكير الباهلي » ، الإمامة والسياسة ١ / ٨٩ وفيه « وعلى

الميسرة هلال بن وكيع » .

(٦) الأخبار الطوال ١٤٧ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٣٥ و ٣٣٧ ، نهاية الأرب ٢٠ / ٦٨ ، البداية

والنهاية ٧ / ٢٤٠ ، وراجع تاريخ الطبري ٤ / ٥١٠ .

(٧) تاريخ الطبري ٤ / ٤٥١ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٢٣ ، الفتوح ٢ / ٤٥٦ .

بالرجال : إعرف الحق تعرف أهله » .

وقتل في معركة الجمل من جيش الإمام علي عليه السلام خمسة آلاف^(١).

وقتل من أصحاب الجمل عشرون ألفاً^(٢)، بينما جاء في أخبار أخرى أنه قتل

منهم ثلاثة عشر ألفاً^(٣)، وعلى خير آخر عشرة آلاف^(٤)، أو خمسة آلاف^(٥).

« وقد والله علمت أنها الراكبة الجمل لا تحل عقدة ولا تسير عقبه ولا تنزل

منزلاً إلا إلى معصية ؛ حتى تُورد نفسها ومن معها مورداً يُقتل ثلثهم ، ويهرب

ثلثهم ، ويرجع ثلثهم^(٦).

وذكر الشيخ المفيد في كتاب الجمل أن مجموع القتلى بلغ خمسة وعشرين ألفاً ،

فإذا نقص منها خمسة آلاف ممن قتلوا في جيش الإمام يبقى العدد عشرون ألفاً ،

وهذا يؤيد النص الواحد في أن عدد من قتل منهم عشرون ألفاً .

وواصل الشيخ المفيد يقول : وروى عبدالله بن الزبير رواية شاذة أنهم كانوا

خمس عشرة ألفاً . قيل : ويوشك أن يكون قول ابن الزبير أثبت . ولكن القول بذلك

باطل ؛ لبعده عن جميع ما قاله أهل العلم به^(٧).

ذكرت بعض المصادر أن مجموع قتلى الفريقين كان ثلاثين ألفاً^(٨)، فيما ذكرت

أخرى أنه كان عشرين ألفاً^(٩).

(١) تاريخ الطبري ٤ / ٥٣٩ ، العقد الفريد ٣ / ٣٢٤ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٦ ، مروج

الذهب ٢ / ٣٦٠ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٥ .

(٢) العقد الفريد ٣ / ٣٢٤ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٦٠ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٥٣٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٥٣٩ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٦ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٥ .

(٦) الإرشاد ١ / ٢٤٦ .

(٧) الجمل ٤١٩ .

(٨) تاريخ يعقوبي ٢ / ١٨٣ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٨٤ .

(٩) أنساب الأشراف ٣ / ٥٩ .

ودخلت أم أوفى العبدية على عائشة [بعد وقعة الجمل] فقالت: يا أم المؤمنين، ما تقولين في امرأة قتلت ابناً لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار. قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً؟ قالت: خذوا بيد عدوة الله^(١).

جيش الإمام عليه السلام وجيش عائشة

كان عسكر الإمام عشرين ألفاً، وكان عسكر عائشة ثلاثين ألفاً، ونقل المسعودي وصفاً رائعاً عن المنذر أبي الجارود لعسكر الإمام: لما قدم علي البصرة خرجت أنظر إليه، فإذا بموكب في الف فارس يتقدمهم فارس على فرس أشهب، عليه فلسوة وثياب بيض متقلد سيفاً، ومعه راية، وإذا تيجان القوم الأغلب عليها البياض والصفرة مدججين في الحديد والسلاح، فقلت من هذا؟ قالوا: هذا أبو أيوب الأنصاري صاحب رسول الله ﷺ وهؤلاء الأنصار.

ثم تلاه فارس آخر، عليه عمامة صفراء، وثياب بيض، متقلد سيفاً، متنكب قوساً، ومعه راية، وهو على فرس أشقر في نحو الف فارس، قلت: من هذا؟ قالوا خزيمة بن ثابت الأنصاري ذو الشهادتين^(٢).

ثم مرّ فارس آخر على فرس أشهب، عليه ثياب بيض، وعمامة سوداء، وقد سدّها من بين يديه ومن خلفه، شديد الأدمة عليه سكينته ووقار، رافع صوت براءة القرآن، وحوله مشيخة وكهول وشبان، كأنما قد أوقفوا للحساب قد أترّ السجود في جباههم، فقلت: من هذا؟ قيل: هذا عمّار بن ياسر في عدّة من أصحاب رسول الله من المهاجرين والأنصار وأبنائهم.

ثم مرّ آخر وآخر، حتّى ورد موكب فيه خلق من الناس، عليهم السلاح

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢٠٢/١، العقد الفريد ٣٢٨/٣، وراجع أنساب الأشراف ٥٩/٣.

(٢) سمي «ذو الشهادتين» لأن النبي جعل شهادته شهادة رجلين.

والحديد مختلفو الرايات، يتقدمهم رجل شديد الساعدين ينظر إلى الأرض أكثر من نظره إلى فوق وعن يمينه شاب حسن الوجه، وعن يساره شاب حسن الوجه، وبين يديه شاب مثلها، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا علي بن أبي طالب عليه السلام وهذان الحسنان عن يمينه وشماله، وهذا محمّد بن الحنفية بين يديه معه الراية العظمى والذين خلفه عبدالله بن جعفر وولد عقيل وغيرهم من فتيان قريش، وهؤلاء المشايخ من حوله أهل بدر من المهاجرين والأنصار.

وصاحب الراية: عبدالله بن حكيم^(١) - (٢).

رموز أصحاب الإمام

شارك أصحاب الرسول ﷺ في معركة الجمل إلى جانب الإمام علي عليه السلام وكان منهم ثمانون من أهل بدر، وألف وخمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ. ومن بين الشخصيات البارزة التي شاركت في جيش الإمام علي عليه السلام يمكن الإشارة إلى كل من:

أبي أيوب الأنصاري، أبي الهيثم بن التيهان، خزيمة بن ثابت، عبدالله بن بديل، عبدالله بن عباس، عثمان بن حنيف، عدي بن حاتم، عمّار بن ياسر، عمرو بن الحمق، عمر بن أبي سلمة، هاشم بن عتبة، وأويس القرني، جارية بن قدامة، حجر بن عدي، زيد بن صوحان، سيحان بن صوحان، صعصعة بن صوحان، مالك الأشتر، شريح بن هاني، محمّد بن أبي بكر، محمّد ابن الحنفية، وابن مسلمة^(٣).

(١) الجمل ٣٢٤، تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨٥/٣، العقد الفريد ٣١٤/٣، تاريخ خلفية بن

خياط ١٣٨، الأخبار الطوال ١٤٦ وفيه «عبدالله بن حرام بن خويلد».

(٢) لمزيد الإطلاع حول قادة جيش واقعة الجمل راجع الفتوح ٤٦١/٢.

(٣) الأمالي للطوسي ١٥٢٧/٧٢٦، شرح الأخبار ٤٠١/١، مروج الذهب ٣٦٧/٢،

تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨٤/٣، تاريخ الإسلام للذهبي ٤٨٤/٣، تاريخ خليفة بن خياط

وإن الزبير لما علم أنّ عمّاراً مع علي عليه السلام ارتاب بما كان .

قال الإمام علي عليه السلام في معركة الجمل لما اجتمع عليّ ملائكم ، نظرت فلم يسعني ردكم حيث اجتمعتم ؛ فبايعتموني مختارين ؛ وبايعني في أولكم طلحة والزبير طائعين غير مكرهين ، وأنا أعرف الغدر في وجهيها ، والنكت في عينيها .

ثمّ ما لبثنا أن استأذنا في العمرة فأعلمتها أن ليس العمرة يردان ، والله يعلم أنّها أرادوا الغدرة .

فجدّدت عليهما العهد في الطاعة ، وأن لا يبغيا للأمة الغوائل ؛ فعاهداني ثمّ لم يبق لي ، ونكتا بيّعتي ، ونقضا عهدي ، فسارا إلى مكة ، واستخفا عائشة وخذعاها ؛ وشخص معها أبناء الطلقاء ، فقدما البصرة ، وقد اجتمع أهلها على طاعة الله وبيعتي ، فدعواهم إلى معصية الله وخلافي ؛ فن أطاعها منهم فتنوه ، ومن عصاها قتلوه .

فيا عجباً لاستقامتها^(١) لأبي بكر وعمر وبغيتها عليّ !

والله إنّها ليعلمان أنّي لست بدون أحد الرجلين^(٢) .

ولو شئت أن أقول لقلت : اللهم اغضب عليها بما صنعا في حقّي ، وظفّرني

بهما .

وقد كان من قتلهم حكيم بن جبلة ما بلغكم وقتلهم السابجة ، وفعلهم بعثان

بن حنيف ؛ ما لم يخف عليكم .

والله إنّني منيت بأربعة لم يمين بمثلهم أحد بعد النبي ﷺ .

منيت بأدهى الناس وأسخاهم طلحة بن عبيدالله .

وأشجع الناس الزبير بن العوام .

وأطوع الناس في الناس عائشة بنت أبي بكر .

وأسرع الناس إلى فتنة يعلى بن أمية^(١) .

^(٢) والله ما أنكروا عليّ منكراً ، ولا جعلوا بيني وبينه نصفاً ، ولا استأثرت

بمال ، ولا ملت بهوى^(٣) .

وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه ، ودماً هم سفكوه ؛ فإن كنت شريكهم فيه ، كما

يزعمون فإنّ لهم لنصيبهم منه ؛ ولئن كانوا أولوه دوني ، فما التبعة إلّا قبلهم ، وما

الطلبة إلّا قتلهم .

وإنّ أعظم حجّتهم لعلّ أنفسهم ، وإنّ أول عدلهم للحكم على أنفسهم .

ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعها فيه ، فكتابه عنيّ ،

وخرجا يوهمان الطعام والأعراب أنّها يطلبان بدم عثمان ؛ وإنّ دم عثمان لمعصوب

بهما ، ومطلوب منها .

والله إنّها لعلّ ضلالة صماء ، وجهالة عمياء .

وا عجباً لطلحة ؛ ألّب الناس على ابن عفّان ، حتّى إذا قتل أعطاني صفقة بينه

(١) مئيّة . ورد في الفتوح ٢ / ٤٦٥ ، ونهج السعادة ١ / ٢٥٩ و ٢٧١ ، ووردت الفقرات في

المصدرين السابقين ٢٥٨ و ٢٩٨ ، وأنساب الأشراف ٢ / ٢٣٧ ، وتاريخ الطبري ٣ / ٤٩٦ ،

والعقد الفريد ٥ / ٦٧ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ / ٣٠٩ ، والاحتجاج ١ / ١٦١ ، والبحار ٨ / ٣٨٦ ، ومنهاج البراعة ٣ / ٣١٦ و ١٧ / ٣١ ، والمستدرک لکاشف الغطاء ٩٤ ، ومصادر نهج

البلاغة ٣ / ٣٠٩ ، ونهج البلاغة الثاني ١٤٠ باختلاف بين المصادر .

(٢) من : والله إلى : حجّتهم لعلّ أنفسهم ورد في خطب الشريف الرضي تحت الرقم ٢٢ . وورد

باختلاف تحت الرقم ١٣٧ .

(٣) ورد في نهج السعادة للمحمودي ١ / ٢٥٩ .

١٣٨ ، العقد الفريد ٣ / ٣١٤ ، شرح الأخبار ٢ / ٩ / ٣٩٣ وفيه « وتسعمائة » بدل

« وأربعمائة » وج ١ / ٣٨٢ / ٣٢٤ نحوه وفيه « سبعمائة رجل من المهاجرين والأنصار » بدل

« ثمانمائة من الأنصار » .

(١) لانقيادهما . ورد في الاحتجاج ١ / ١٦١ ، ومناقب آل أبي طالب ٢ / ٣١٤ ، والبحار ٨ /

٣٨٦ ، ومنهاج البراعة ١٧ / ٣٣ و ٣٤ .

(٢) التاريخ للطبري ٣ / ٤٩٦ ، ومناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ٢ / ٣١٤ ، ومنهاج

البراعة ١٧ / ٣٤ .

طائعا، ثم نكت بيعتي وطفق يعنى ابن عقان ظالماً، وجاء يطلبني، يزعم بدمه^(١).
والله ما استعجل^(٢) متجرداً للطلب بدم عثمان إلا خوفاً من أن يطالب بدمه؛
لأنه مطمئن، ولم يكن في القوم أحرص عليه منه، فأراد أن يغالط بما أجلب فيه،
ليلتبس الأمر^(٣)، ويقع الشك.

والله ما صنع في أمر عثمان واحدة من ثلاث:

لئن كان ابن عقان ظالماً، كما كان يزعم حين حصره وآلب عليه^(٤)، لقد كان
ينبغي له أن يواز قاتليه، وأن يباذ ناصريه.

ولئن كان في تلك الحال مظلوماً، لقد كان ينبغي له أن يكون من المسنين
عنه، والمعدرين فيه.

ولئن كان في شك من الخصلتين، لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد جانباً،
ويدع الناس معه.

فما فعل واحدة من الثلاث؛ وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره.

أيها الناس؛ إن الله عز وجل أقرض الجهاد فعظمه، وجعله نصرته وناصره.
والله ما صلحت الدنيا قط، ولا الدين إلا به^(٥).

^(٦) ألا وإن الشيطان قد جمع حزبه، واستجلب خيله ورجله ومن أطاعه،

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ / ٣١٠، ومنهاج البراعة ٣ / ٣١٦ و ١٧ / ٢٢، ونهج السعادة ١ / ٢٩٩ و ٣١٠ باختلاف بين المصادر.

(٢) من: والله إلى؛ معاذيره ورد في خطب الشريف الرضي تحت الرقم ١٧٤.

(٣) ليليس الأمر. ورد في المصدر السابق. وهامش نسخة الأملي ١٤٩ ونسخة عبده ٣٧٣.

(٤) ورد في البحار للمجلسي ٨ / ٣٨٧.

(٥) ورد في الإرشاد للمفيد ١٣٤، وجمهرة الإسلام (مصور عن نسخة مخطوطة) ١٨٨، وشرح
ابن ميثم ١ / ٣٣٣، والبحار للمجلسي (مجلد قديم) ٨ / ٣٧٧ و ٣٩٠، ومنهاج البراعة ٣ /
٣١٢ و ١٧ / ٤٦، ونهج السعادة ١ / ٢٥٨ و ٣٠٢، ومصادر نهج البلاغة ٢ / ٣٠٩ باختلاف
يسير.

(٦) من: ألا وإن إلى؛ خيله ورجله ورد في خطب الشريف الرضي تحت الرقم ١٠ وورد مع
اختلاف الرواية تحت الرقم ٢٢.

ليعود له دينه وسنته؛ وحث زينته في ذلك وخدعه وغروره^(١)، وينظر ما يأتيه.
وقد رأيت أموراً قد تحصصت^(٢).

أيها الناس؛ إن عائشة سارت إلى البصرة ومعها طلحة والزبير، و^(٣) - ^(٤) كل واحد منها يرجو الأمر له، ويبغضه عليه دون صاحبه.

أما طلحة فابن عتها، وأما الزبير فختنها.

لا يمتان إلى الله بحبل، ولا يمدان إليه بسبب.

كل واحد منها حامل ضرب لصاحبه؛ وعماً قليل يكشف قناعه به.

والله لئن أصابوا الذي يريدان، ولن ينالوا ذلك أبداً، لينترعن هذا نفس هذا،
وليأتين هذا على هذا.

والله لقد علمت أن راكبة الجمل الأحمر ما تقطع عقبة، ولا تحل عقدة، ولا
تنزل منزلاً، إلا في معصية الله وسخطه، حتى توردها ومن معها موارد الملكة.

إي، والله، ليقتلن ثلثهم، ولهبرين ثلثهم، ولتوبين ثلثهم.

وأيها، والله، التي تنبها كلاب الحوآب.

فهل يعتبر معتبر، ويتفكر متفكر^(٥)!

[ألا] قد قامت الفتنة وفيه الفتنة الباغية.

(١) شبه في ذلك وخدع. ورد في البحار للمجلسي (مجلد قديم) ٨ / ٣٩٠، ونهج السعادة
للمحمودي ١ / ٣٠٢، موسوعة الإمام علي عليه السلام شهرى ٥ / ٢٣٠.

(٢) تمخضت. ورد في شرح ابن ميثم ١ / ٣٣٣، والبحار (مجلد قديم) ٨ / ٣٧٧، ومنهاج
البراعة ٣ / ٣١٢، ووردت الفقرة في المصدرين السابقين، وجمهرة الإسلام ١٨٨، ونهج
السعادة ١ / ٢٥٨ و ٣٠٢.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ / ٢٣٣، ونهج السعادة ١ / ٢٥٠، ونهج البلاغة الثاني
١٤٣.

(٤) من: كل واحد إلى؛ على هذا. ومن: قد قامت إلى؛ لكل ناكث شبهة وورد في خطب
الشريف الرضي تحت الرقم ١٤٨.

(٥) الإرشاد للمفيد ١٣٢، والبحار (مجلد قديم) ٨ / ٣٨٩ باختلاف.

فأين المحتسبون؟ أين المؤمنون؟ فقد سُتت لهم السنن، وقدم لهم الخير.
ولكل ضلّة علة، ولكل ناكث شبهة.
(١) وإنما سميت الشبهة شبهة لأنها تشبه الحق.

بداية المعركة

كانت معركة الجمل أول معركة بين أتباع راية لا إله إلا الله، محمد رسول الله، وهي أس الأساس للمعارك اللاحقة بين المسلمين!
وندم الزبير قبل المعركة قائلاً: إن هذه هي الفتنة التي كُنّا نحدث عنها، فقال له مولاة: أسمىها فتنة وتقاتل فيها؟(٢)

وقال علي عليه السلام للزبير في أرض المعركة: أما تذكر يوم كنت أنا وأنت في سقيفة قوم من الأنصار فقال لك رسول الله ﷺ: أتحميه؟ فقلت: وما يعني؟ قال: أما إنك ستخرج عليه وتقاتله وأنت ظالم. قال: فرجع الزبير(٣).

وفي رواية وشهد الزبير الجمل مقاتلاً لعلي عليه السلام: فناداه علي عليه السلام ودعاه فانفرد به، وقال له: أتذكر إذ كنت أنا وأنت مع رسول الله ﷺ فنظر إليّ وضحك وضحكت فقلت أنت: لا يدع ابن أبي طالب زهوه، فقال: ليس به زهو ولتقاتلته وأنت له ظالم؟ فذكر الزبير ذلك فانصرف عن القتال.

وذكره ابن عبد البر في استيعابه ١ / ٢٠٣ باختلاف يسير في اللفظ(٤).

(١) من: وإنما إلى: العمى ورد في خطب الشريف الرضي تحت الرقم ٣٨.

(٢) تاريخ الطبري ٣ / ٤٩٢.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٤١٢ / ٥٥٧٣، ٥٥٧٤، ٥٥٧٥، الرياض النضرة ٤ / ٢٤٩، مروج الذهب ٢ / ٣٨٠، دلائل النبوة للبيهقي ٦ / ٤١٥، السيرة الحلبية ٣ / ٢٨٧.

(٤) أسد الغابة ٢ / ٢٥٢ / ١٧٣٢، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٣٥، تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٢، الاستيعاب ١ / ٥٨٤. وانظر أيضاً في مضمون هذه الأحاديث: الإصابة ٣ / ٦، تهذيب

وذكر الطبري: قال علي عليه السلام للزبير: أتذكر يوماً أتانا النبي ﷺ وأنا أناجيك، فقال: أتناجيه، والله ليقاتلتك وهو ظالم لك، فصرف الزبير وجهه دابته وانصرف، فقتله ابن جرموز(١).

هناك دعا الإمام ابنه محمد بن الحنفية فأعطاه الراية، وهي راية سوداء كبيرة، وهي راية رسول الله ﷺ، فقال له: يا بني، هذه راية ما زدت قط ولا تردت قط.

وقال الإمام عليه السلام لابنه ابن الحنفية: يا بني لا يستفزك ما ترى؛ قد حملت الراية وأنا أصغر منك فما استفزني عدوي، وذلك أنني لم ألق أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله، فحدث نفسك بعون الله بظهورك عليهم، ولا يخذلك ضعف النفس باليقين؛ فإن ذلك أشد الخذلان.

قال فقلت: يا أبة أرجو أن أكون كما تحب إن شاء الله. قال: فالزم رايتك، فإذا اختلطت الصفوف قف في مكانك وبين أصحابك، فإن لم تر أصحابك فسيرونك. قال: والله إنني لفي وسط أصحابي فصاروا كلهم خلفي وما بيني وبين القوم أحد يردهم عني، وأنا أريد أن أتقدم في وجوه القوم، فما شعرت إلا بأبي من خلفي قد جرّد سيفه وهو يقول: لا تقدم حتى أكون أمامك. فتقدمت بين يدي يهروا ومعهم طائفة من أصحابه، فضربوا الذين في وجهي حتى أنهضوهم ولحقهم بالراية، فوقفوا وقفاً، واختلط الناس، وركدت السيوف ساعة، فنظرت إلى أبي يفرج الناس يميناً وشمالاً ويسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلافه(٢).

وقال الإمام علي عليه السلام لابنه ابن الحنفية:

التهديب ٦ / ٣٢٥، كنز العمال ٦ / ٨٢، ٨٣، ٨٥، الإمامة والسياسة ٦٣.

(١) العقد الفريد ٤ / ٣٠١، تاريخ الطبري ٢ / ٥١٤.

(٢) الجمل ٣٦٨.

اطعمهم طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
بالمشرفي والقنا المسرد^(١).

وبعد ان اصطفَّ الفريقان وتقابلا للقتال ، قالت عائشة : ناولوني كفاً من
الحصاة ، فأخذتها ، وحصبت بها وجوه أصحاب الإمام ، وصاحت بأعلى صوتها :
شاهت الوجوه ، كما صنع رسول الله يوم بدر ، فناداها رجل من أصحاب علي : وما
رमित ولكن الشيطان رمى . فتسببت في مقتل عسكرها !^(٢)

ولما ترك الزبير القتال بعدما ذكره الإمام بقول النبي له : « أنك والله ستقاتل
علياً ، وأنت له ظالم » وتبعه ابن جرموز فقتله غيلة ، أما طلحة فقال له الإمام :
جئت بعرس رسول الله ﷺ تقاتل بها ، وخبأت عرسك في البيت ؟ أنشدك الله
أسمعت رسول الله يقول : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من
عاداه ؟ قال طلحة : نعم ، ولكن جئت أطلب بدم عثمان . وحين أُتيحت الفرصة
لمروان بن الحكم رمى طلحة بسهم فقتله ، وقال : والله إن دم عثمان عند هذا .

وحين استوت الصفوف قال الإمام لمحمد بن الحنفية : أقدم بالراية حتى
تركزها في عين الجمل . وما أن قدم محمد حتى رشقته السهام من كل جانب ، فوقف
رويداً لتخفَّ السهام ، فقال له أبوه : احمل عليهم قال : أما ترى السهام كالمطر ؟!
فدفع صدره ، وقال : أخذك عرق من أمك ، ثم أخذ الراية فهزَّها ، وقال :

أطعن بها طعن أبيك محمد لا خير في الحرب إذا لم توقد
ثم ليس الإمام درع رسول الله ﷺ وحزم بطنه بعصابة أسفل من سُرته ، ثم

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٧٦ ، وقعة الجمل لضامن بن شدقم ١٤٣ ، وراجع شرح نهج البلاغة ١ /
٢٤٣ . والمناب للخوارزمي ١٨٧ ، والمناب لابن شهر آشوب ٣ / ١٥٥ ، والصراف
المستقيم ٢ / ٢٦٧ ، وبحار الأنوار ٣٢ / ١٧٥ و ٤٢ / ٩٩ .

(٢) الجمل ، المقيد ١٩٦ ، شرح النهج ٢ / ١٧٠ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٩٩ ، مختصر تاريخ ابن
عساكر ٥ / ٣٦٤ ، الاستيعاب ٣ / ٢٠٣ ، أسد الغابة ٢ / ١٩٩ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٤ ، العقد
الفريد ٤ / ٣٢٢ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ٣٦٦ ، كنز العمال ٦ / ٨٢ .

قال لولده محمد بن الحنفية : يا أبا القاسم ، قد حملت الرواية وأنا أصغر منك فسا
استغفري عدوي ، وذلك أني لم أبارز أحداً إلا حدثتني نفسي بقتله ، فحدثت
نفسك بعون الله تعالى بظهورك عليهم .

وزحف أصحاب الجمل نحو معسكر الإمام ، فصاح الإمام بابنه محمد : امض .
فضى ، وتبعه أصحابه واشتعلت الحرب ، ودار القتال .

أحداث المعركة

وقالت الأنصار : يا أمير المؤمنين لولا الحسن والحسين لما قدمنا على محمد
أحداً من العرب . فقال الإمام : أين النجم من الشمس والقمر ؟!

وشدَّ الإمام على عسكر العدو ، فضضع أركانه ، وفرت الرجال من بين يديه
فرار المعزى من الذئب ، وجرت الأرض بدماء القتلى ، وانحنى سيفه ، فرجع إلى
معسكره ، وقومه بركبته وأرجع الراية إلى ولده محمد فحمل حملات أزال القوم عن
مواقفهم ، فقال بعض أصحاب الإمام للإمام : لو كان غير محمد لا فتضح .

وتكاثفت الرجال حول الجمل كلِّها خفَّ قوم جاء أضعافهم ، وكان الإمام
يزأر زئير الأسود ، يحمل على القوم الحملة تلو الحملة ، حتى خاف عليه أصحابه ،
وقالوا له : إنك إن تصب يذهب الدين ، فأمسك ، ونحن نكفيك . فقال : والله ما أريد
بما ترون وجهه والدار الآخرة .

ولما رأى مروان بن الحكم يوم الجمل طلحة بن عبيدالله ، قال : لا أنتظر بعد
اليوم تأري في عثمان ، فانتزع له سهماً فقتله . فقال طلحة عند الموت :

نَدِمْتُ نَدَامَةَ الْكُوسِيِّ^(١) لَمَّا طَلَبْتُ رِضَا بَنِي حَزْمٍ بِرَغْمِي^(٢)

(١) الكسعي رجل يضرب به المثل في الندامة .

(٢) العقد الفرید ، ابن عبد ربّه ٤ / ٢٩٩ .

وقال: لم أركب اليوم شيخاً أضيع دماً مني^(١).

وقيل: إن مروان بن الحكم لما رماه بسهم فقتله قال: أينما أصابت فتح.

ورغم عظم الفتنة فإن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لم يخرج عن قوانين الإسلام العظيمة وتعاليم النبوة السمحة إذ كان مناديه ينادي يوم الجمل: لا يُسلبن قتيلاً، ولا يتبع مدبر، ولا يجهز على جريح^(٢).

وقال عبدالله بن الزبير: كذباً «التقيت مع الأشتر يوم الجمل، فما ضربته ضربة حتى ضربني خمسة أو ستة، ثم جرّ برجلي فألقاني في الخندق، وقال: والله لولا قربك من رسول الله ﷺ، ما اجتمع فيك عضو إلى آخر^(٣)».

وأقبل الإمام يهول ويده السيف يصعد وينزل فتطير الرؤوس وتطيح الأيدي ولا يتلطف السيف بالدم لسرعة اليد وسبق السيف الدم، وزحف الجيش خلفه.

وحمل عمار بن ياسر على الميسرة، ومالك الأشتر على الميمنة، وحملوا حملة رجل واحد، ونادى الإمام: عليكم بالسيوف. فجعلوا يضربون بالسيوف على الرؤوس.

ثم نادى المناادي: عليكم بالأقدام، وكان للفريقين أراجيز كثيرة، مذكورة في كتب التاريخ.

وكان أهل البصرة كل من أراد منهم القتال أخذ بخطام الجمل الشيطان ويرتجز ويقاتل حتى يقتل، فخرج كعب بن سور فأخذ بخطام الجمل وهو يرتجز ويقول:

يامعشر الأزد عليكم أممكم فإيتها صلاتكم وصومكم

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٣٤.

(٢) العقد الفريد، ابن عبد ربه ٤ / ٣٠٢.

(٣) العقد الفريد ٤ / ٣٠٤، أنا أشكك في مواجهته للأشتر البطل.

والنعمة العظمى التي تعتمكم فاحضروها جدكم وحزمكم
لا يغفلن سمّ العدو سمكم إن العدو إن علاكم رمكم
وخصمكم بجوره وعمكم لا تفضحوا اليوم فداكم قومكم
فقاتل حتى قتل، فخرج آخر فأخذ بخطام الجمل وارتمى:

يا أمّ يا أمّ خلا مني الوطن لا أبتغي القبر ولا أبغي الكفن
من ههنا محشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم علي ألغين
أو فاتنا ابناء حسين وحسن إذن أمت بطول همّ وحزن

نهاية المعركة

وأخذ الامام الراية من يده، ثم حمل فدخل عسكرهم، وإن الميمنتين والميسرتين تضطربان، في إحداها عمار، وفي الأخرى عبدالله بن عباس، ومحمد بن أبي بكر.

قال: فشقّ علي في عسكر القوم يطعن ويقتل، ثم خرج... ثم أعطى الراية لابنه وقال: هكذا فاصنع. فتقدّم محمد بالراية ومعه الأنصار، حتى انتهوا إلى أمير المؤمنين! فلم يجب أحداً منهم، ولا ردّ إليهم بصره، وظلّ يتحطّ^(١) ويزأر زئير الأسد، حتى فرّق من حوله، وتبادروه، وإته لطاع ببصره نحو عسكر البصرة، لا يبصر من حوله، ولا يردّ حواراً.

ثم دفع الراية إلى ابنه محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده، فدخل وسطهم فضرهم بالسيف قدماً قدماً، والرجال تفرّ من بين يديه، وتناحز عنه يمينه ويسرة، حتى خضب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع وقد انحنى سيفه، فأقامه بركبته، فاعصوب^(٢) به أصحابه، وناشدوه الله في نفسه وفي الإسلام، وقالوا: إنك إن نضب يذهب الدين! فأمسك ونحن نكفيك.

(١) النخط: شبه الزفير (لسان العرب ٧ / ٤١٢).

(٢) اعصوبوا: اجتمعوا وصاروا عصابة واحدة (النهاية ٣ / ٢٤٦).

فقال: والله، ما أريد بما ترون إلا وجه الله والدار الآخرة. ثم قال لمحمد ابنه: هكذا تصنع يا بن الحنفية. فقال الناس: من الذي يستطيع ما تستطيعه يا أمير المؤمنين^(١)!!

وكان علي عليه السلام يحمل فيضرب بسيفه حتى ينثني، ثم يرجع فيقول: لا تلوموني ولوموا هذا. ثم يعود فيقومه^(٢).

وخرج عبدالله بن خلف الخزاعي وهو رئيس البصرة، وأكثر أهلها مالاً وضياً فطلب البراز، وسأل ألا يخرج إليه إلا علي عليه السلام، وارتجز فقال:

أبا ترابٍ ادنْ منِّي فترأَ فإبْئني دانٍ إليك شبراً
وإنْ في صدري عليك غمراً

فخرج إليه علي عليه السلام، فلم يُمهله أن ضربه ففلق هامته^(٣).

وفي رواية: انفرق علي عليه السلام يريد أصحابه، فصاح به صائح من ورائه، فالتفت وإذا بعبدالله بن خلف الخزاعي وهو صاحب منزل عائشة بالبصرة، فلما رآه علي عرفه، فناداه: ما تشاء يا بن خلف؟

قال: هل لك في المبارزة؟

قال علي: ما أكره ذلك، ولكن ويحك يا بن خلف ما راحتك في القتل وقد علمت من أنا!

فقال عبدالله بن خلف: دعني من مدحك يا بن أبي طالب، وادنْ منِّي لترى أيتنا يقتل صاحبه! ثم أنشد شعراً، فأجابه علي عليه السلام، والتقوا للضرب، فبادره عبدالله بن خلف بضربة دفعها علي بحجفته^(٤)، ثم انحرف عنه علي عليه السلام فضربه ضربة

(١) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٥٧، وراجع الفتوح ٢/ ٤٧٣.

(٢) المصنّف لابن أبي شيبة ٨/ ٧٠٦، العقد الفريد ٣/ ٣٢٤.

(٣) شرح نهج البلاغة ١/ ٢٦١.

(٤) الخجف: ضرب من الترس، واحدها خجفة. ويقال الترس إذا كان من جلود ليس فيه

رمى يمينه، ثم ضربه أخرى فأطار قحف رأسه^(١).

وتناول عبدالله بن أزي خطام الجمل، وكان كل من أراد الجذب في الحرب وقاتل قتال مستميت يتقدم إلى الجمل فيأخذ بخطامه، ثم شد على عسكر علي عليه السلام وقال: رحمك الله وجزاك عن الحق خيراً.

ولما كثرت القتلى، قال الإمام عليه السلام: ارشقوا الجمل بالنبل، واعقروه وإلا فنيت العرب، ولا يزال السيف قائماً، حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض، فقطعوا قوائمه، فوقف أهل البصرة تحته، ولما رأى الإمام الموت عند الجمل وضع سيفه على عاتقه، وعطف نحوه وتبعه أصحابه، وفيهم عمار والأشتر، واشتد القتال، واستأنت بنو ضبة دون الجمل، حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، ولكن الإمام عليه السلام وصل مع جماعة من أصحابه إلى الجمل، وأمر أحدهم بضربه، فضرب عجز الجمل بالسيف فوق لحينه على الأرض، وعج عجباً لم يسمع بأشد منه، ففرت الرجال، كما يطير الجراد المنتشر في الريح الشديد، واحتملت عائشة بهودجها إلى بعض الدور في البصرة.

وفي رواية: لما استعر القتال، واقتتلوا قتالاً شديداً صاح الإمام عليه السلام: ما أراه يقاتلكم غير هذا الهودج، اعقروا الجمل أو عرقوه، فإنه شيطان.

أو قال: اعقروه وإلا فنيت العرب لا زال السيف قائماً وراكعاً، يحصد الرؤوس حتى يهوي هذا البعير إلى الأرض.

فضرب عجز الجمل (عسكر) فوق لحينه، وضرب بجرائه الأرض، وعج عجباً لم يسمع بأشد منه، فها هو إلا أن صرع حتى فر الرجال كما يطير الجراد في الريح الشديد الهبوب، وسقط الهودج.

الخشب ولا عقب (لسان العرب ٩/ ٣٩).

(١) الفتوح ٢/ ٤٧٨، المناقب للخوارزمي ١٨٨، كشف اليقين ١٨٩/ ١٩١، كشف الغمّة ١/ ٢٤٢ وفيهما «ابن أبي خلف الخزاعي» وكلها نحوه وراجع شرح نهج البلاغة ١/ ٢٦١.

فصاح الإمام اقطعوا البطان . فقطعه محمد بن أبي بكر أخو عائشة وكان من أصحاب الإمام وأخرج الهودج فقالت عائشة : من أنت ؟
فقال محمد : أبغضُ أهلِكَ إليك .

فقالت عائشة : ابن الخثعمية (١)؟

فقال محمد : نعم ، ولم تكن دون أمهاتك .

فقالت عائشة : لعمرى بل هي شريفة دع عنك هذا ، الحمد لله الذي سلمك .

فقال محمد : قد كان ذلك ما تكرهين .

فقالت عائشة : يا أخي لو كرهته ما قلت الذي قلته .

فقال محمد : كنت تحبّين الظفر وأني قتلت ؟

فقالت عائشة : قد كنت أحبّ ذلك ، ولكنه لما صرنا إلى ما صرنا إليه أحببتُ

سلامتك لقرابتي منك ، فأكف ، ولا تعقب الأمور ، وخذ الظاهر ولا تكن لومة ولا عدلة (٢) .

(١) كانت أسماء بنت عميس الخثعمي امرأة مؤمنة سالحة ، وكانت زوجة جعفر الطيار عليه السلام ولما استشهد في معركة مؤتة ، تزوجها أبو بكر وأولدت منه محمداً هذا ، ولما مات عنها أبو بكر تزوجها أمير المؤمنين عليه السلام وكان محمد بن أبي بكر صغير السن ، فترتّب في كنف الإمام ، فكان ربيبه ومن أخلص أصحابه كان الإمام عليه السلام يقول : محمد ابني ولكنه من صلب أبي بكر ، وكان من أخلص أصحاب الإمام وأحبهم إليه ، وقد ولّاه أخيراً إمارة مصر من قبله ، وبدساتس من معاوية وعمرو بن العاص ، تمكنا من إثارة بعض الغوغائيين عليه فقتلوه ، وقيل قتل بالعسل المسموم وبعدها ، أدخل جسده في جوف حمار وأحرق ، وقبره لحدّ اليوم شاخص في مصر ومعلوم .

كما أنّ معاوية أرسل من يسمّ الوالي الجديد على مصر ، في الطريق بالعسل المسموم ، وهو الصحابي الجليل مالك الأشتر النخعي وعندما علم أمير المؤمنين عليه السلام رثاه وقال كلمته المشهورة ، كان مالكا لي كما كنت لرسول الله .

(٢) الجمل ، المفيد ١٩٦ ، شرح النهج ٢ / ١٧٠ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٩٩ ، مختصر تاريخ ابن عساكر ٥ / ٣٦٤ ، الاستيعاب ٣ / ٢٠٣ ، أسد الغابة ٢ / ١٩٩ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٤ ، العقد الفريد ٤ / ٣٢٢ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ٣٦٦ ، كنز العمال ٦ / ٨٢ .

وقال الإمام علي عليه السلام بعد انتصاره في المعركة : لا تهتكنّ سترأ ، ولا تدخلنّ داراً ، ولا تهيجنّ امرأة بأذى ، وإن شتمن أعراضكم وسفهن أمراءكم وصلحاءكم ، فإتهنّ ضعاف (١) .

وقال خليلد المصري : سمعت أمير المؤمنين علياً عليه السلام يقول يوم النهروان : أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والمارقين والقاسطين (٢) .

أحداث ما بعد المعركة

وبعد مقتل الجمل عسكر جاء الإمام ففرع الهودج برمحه وقال : يا حبيراء ، بهذا أوصاك رسول الله ﷺ !؟

فقالت : يابن أبي طالب ، ملكت فاصفح وظفرت فاسجع .

فقال الإمام : والله ، ما أدري متى أشفي غيظي ؟ أحين أقدر على الانتقام يقال لي : لو عفوت ؟! أم حين أعجز من الانتقام فيقال لي : لو صبرت بلى أصبر فإن لكل شيء زكاة ، وزكاة القدرة والمكنة : العفو والصفح .

ومرّ الامام على القتلى فر بعد الله بن ربيعة بن درّاج وهو في القتلى فقال : هذا البائس ، ما كان أخرجه ؛ أدين أخرجه ، أم نصر لعثمان ؟! والله ما كان رأي عثمان فيه ولا في أبيه بحسن .

ثم مرّ بمعبد بن زهير بن أبي أمية فقال : لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام ، والله ما كان فيها بذني نحيزة (٣) ، ولقد أخبرني من أدركه وإنه ليؤلول

(١) تاريخ الطبري ٣ / ٥٤٤ .

(٢) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

(٣) النحيزة : الطبيعة (مجمع البحرين ٣ / ١٧٥٩) .

فَرَقًا من السيف .

ثم مرَّ بمسلم بن قرظة فقال : البرَّ أخرج هذا ! والله ، لقد كلمني أن أكلم له عثمان في شيء كان يدعيه قبله بمكة ، فأعطاء عثمان وقال : لولا أنت ما أعطيته ، إن هذا ما علمت بسن أخو العشيبة ؛ ثم جاء المشوم للحين ينصر عثمان .

ثم مرَّ بعبده الله بن حميد بن زهير فقال : هذا أيضاً ممن أوضع في قتالنا ، زعم يطلب الله بذلك ، ولقد كتب إليّ كتباً يؤذي فيها عثمان ، فأعطاء شيئاً ، فرضي عنه .

ومرَّ بعبده الله بن حكيم بن حزام فقال : هذا خالف أباه في الخروج ، وأبوه حيث لم ينصرنا قد أحسن في بيعته لنا ، وإن كان قد كفَّ وجلس حيث شكَّ في القتال ، وما ألوم اليوم من كفَّ عنّا وعن غيرنا ، ولكن المليم الذي يقاتلنا !

ثم مرَّ بعبده الله بن المغيرة بن الأخنس فقال : أما هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار ، فخرج مغضباً لمقتل أبيه ، وهو غلام حدث حين لقتله .

ثم مرَّ بعبده الله بن أبي عثمان بن الأخنس بن شريق ، فقال : أما هذا فإني أنظر إليه وقد أخذ القوم السيوف هارباً يعدو من الصفِّ فنَهتُ^(١) عنه ، فلم يسمع من نهيتي حتى قتلته . وكان هذا مما خفي عليّ فتبان قريش ، أغمار^(٢) لا علم لهم بالحرب ، خدعوا واستزلّوا ، فلما وقفوا وقعوا فقتلوا .

ثم مشى قليلاً فرَّ بكعب بن سور^(٣) فقال : هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف ، يزعم أنه ناصر أمته ، يدعو الناس إلى ما فيه وهو لا يعلم ما فيه ، ثم استفتح وخاب كلَّ جبار عنيد^(٤) . أما إنّه دعا الله أن يقتلني ، فقتله الله . أجلسوا

(١) نهيت: إذا صحت به لتكفه (مجمع البحرين ٣ / ١٨٤١) .

(٢) أغمار: جمع غمر: الذي لم يجزّب الأمور (المحيط في اللغة ٥ / ٨١) .

(٣) كعب بن سور من بني لقيط ، قتل يوم الجمل ، كان يخرج بين الصّفين معه المصحف يدعو إلى ما فيه ، فجاءه سهم غرب فقتله ، ولأه عمر بن الخطاب قضاء البصرة بعد أبي مريم (الجرح والتعديل ٧ / ١٦٢ / ٩١٢) .

(٤) إشارة للآية ١٥ من سورة إبراهيم .

كعب بن سور ، فأجلس ، فقال أمير المؤمنين : يا كعب ، قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً ، فهل وجدت ما وعدك ربك حقاً ؟ ثم قال : أضجعوا كعباً .

ومرَّ على طلحة بن عبيدالله فقال : هذا الناكث بيعتي ، والمنسئ الفتننة في الأمة ، والمجلب عليّ ، الداعي إلى قتلي وقتل عترتي ، أجلسوا طلحة . فأجلس ، فقال أمير المؤمنين : ياطلحة بن عبيدالله ، قد وجدت ما وعدني ربّي حقاً ، فهل وجدت ما وعد ربك حقاً ؟ ثم قال : أضجعوا طلحة ، وسار .

فقال له بعض من كان معه : يا أمير المؤمنين ، أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلها ؟ قال : أمّ والله ، إنهما لقد سمعا كلامي كما سمع أهل القليب^(١) كلام رسول الله ﷺ . وبعد نصره الإلهي على جيش الجمل فتح أمير المؤمنين البصرة ودخل بيت المال وقسم ما فيه فلحق الرجل خمسمائة درهم ، فأخذ هو كأحدهم فجاءه إنسان لم يحضر الواقعة فأعطاء حصّته !

وقال القعقاع : ما رأيت شيئاً أشبه بشيء من قتال القلب يوم الجمل بقتال صّفين ، لقد رأيتنا ندافعهم بأسنننا وتتكئ على أزجّتنا^(٢) ، وهم مثل ذلك ، حتى لو أنّ الرجال مشت عليها لاستقلّت بهم^(٣) .

وقال [علي عليه السلام] لابنه محمّد بن الحنفية : ويحك ! تقدّم بالراية . فلم يستطع ، فأخذها علي عليه السلام من يده ، فتقدّم بها ، وجعلت الحرب تأخذ وتعطي ؛ فتارة لأهل البصرة ، وتارة لأهل الكوفة ، وقتل خلق كثير وجمّ غفير ولم ترّ وقعة أكثر من قطع الأيدي والأرجل فيها من هذه الوقعة^(٤) .

(١) القليب: البئر التي لم تُطوّ (النهاية ٤ / ٩٨) وأشار عليه إلى كلام رسول الله ﷺ في غزوة بدر

مع قتلى قريش الذين طرخوا في البئر (راجع السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٩٢) .

(٢) الزجّ: الحديدية التي تركب في أسفل الرمح ، والسنان يركب عاليته والجمع أزجاج وأزجّة (لسان العرب ٢ / ٢٨٥) .

(٣) تاريخ الطبري ٤ / ٥٣٢ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٨ ، وراجع العقد الفريد ٣ / ٣٢٥ .

(٤) البداية والنهاية ٧ / ٢٤٣ .

عفو الإمام عليه السلام عن الأسرى

ثم التفت عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وقال: شأنك بأختك، فلا يدنو منها أحد سواك.

وعفا عنها الإمام عليه السلام.

وأمر الإمام عليه السلام فاحتملت عائشة يهودجها إلى دار عبدالله بن خلف في البصرة، وأمر بالجمل أن يحرق ثم يذرى رماده في الريح، وقال عليه السلام إشارة إلى الجمل: لعنه الله من دابته، فما أشبهه بعجل بني إسرائيل.

ثم تلا: ﴿وَإِنظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا﴾ (١).

ركبت عائشة وهي تقول: فخرتم وغلبتم، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

ونادى الإمام: يا محمد بن أبي بكر، سلها هل وصل إليها شيء من الرماح والسهام؟ فسألتها، فقالت: نعم، وصل إلي سهم، خدش رأسي وسلمت من غيره، الله بيني وبينكم.

فقال محمد: والله ليحكمنّ عليك يوم القيامة ما كان بينك وبين أمير المؤمنين حين تخرجين عليه وتؤلّبين الناس على قتاله وتبذرين كتاب الله وراء ظهرك.

فقالت عائشة: دعنا يا محمد وقل لصاحبك يحرسني.

فجاء ابن عباس يطلب الأمان لمروان بن الحكم، فأمره الإمام بإحضاره، فلما حضر قال له الإمام: أتبايع؟ فقال: نعم وفي النفس ما فيها.

فقال الإمام: الله أعلم بما في القلوب. فلما بسط يده ليبايعه أخذ كفه من كفت مروان وجذبها، وقال:

لا حاجة لي فيها، إنها كفت يهودية غادرة لو بايعني بيده عشرين مرة لنكت

(١) سورة طه ٩٧.

بأسته (١).

ثم قال: هيه يا بن الحكم، خفت على رأسك أن تقع في هذه المععة؟! كلاً والله، حتى يخرج من صلبك فلان وفلان يسومون هذه الأمة خسفاً ويسقونهم كأساً مصبرة.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي:

وأما الحلم والصفح، فكان أحلم الناس عن ذنب، وأصفحهم عن مسيء؛ وقد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجمل: حيث ظفر بمروان بن الحكم وكان أعدى الناس له، وأشدّهم بغضاً فصّح عنه.

وكان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، وخطب يوم البصرة فقال: قد أتاك الوغد اللثيم علي بن أبي طالب وكان علي عليه السلام يقول: ما زال الزبير رجلاً منّا أهل البيت حتى شبّ عبدالله فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصّح عنه، وقال: اذهب فلا أرىك؛ لم يزد على ذلك.

وظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، وكان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً (٢).

وبعد هزيمة جيش عائشة نادى منادي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: من ألقى سلاحه فهو آمن ومن دخل داره فهو آمن.

ولما دخل عليه السلام بيت عائشة صاحت النساء وقلن يقاتلن الأختة.

فقال: لو كنت قاتل الأختة لقتلت من في هذا البيت، وأشار إلى بيت من تلك البيوت، قد اختفى فيه مروان بن الحكم وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عامر وغيرهم (الوليد بن عقبة وولد عثمان بن عفان وغيرهم من بني أمية) (٣).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ١ / ٢٢ و ٢٣.

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٦٩.

وعفا الإمام علي عليه السلام عن هؤلاء بالرغم من ذنبهم الكبير في قتلهم المؤمنين وسرقتهم الأموال .
ولم يحفظ هؤلاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام فضله فذهب عبدالله بن عامر ومروان بن الحكم والوليد بن عقبة إلى معاوية فحاربوا علياً عليه السلام ثانية في صفين ، وطالبوا بقطع الماء عنهم ليموتوا عطشاً !
وفرحت عائشة لاحقاً بمقتل علي عليه السلام ، وركبت بغلة وهي تقود بني أمية لمنع دفن الحسن بن علي عليه السلام إلى جنب جدّه محمد بن عبد الله عليه السلام .
أما عبدالله بن الزبير فجمع بني هاشم (نساءً ورجالاً وأطفالاً) وهياً لهم الحطب ليحرقهم !

هل يجوز التمثيل بجثث الموتى ؟

عند مرور جيش قريش إلى المدينة ، مرّوا بقبر أمّ رسول الله ﷺ آمنة بنت وهب فأرادت هند بنت عتبة (أمّ معاوية) نبش قبرها في منطقة الأبناء وقالت : لو بحنتم قبر أمّ محمد فإن أسروا منكم أحداً فديتم كلّ إنسان برب من آرابها أي جزء من أجزائها ، فقال بعض قريش لا يفتح هذا الباب وإلاّ نبش بنو بكر موتانا عند مجيئهم (١) .

ومرّ الحليس سيّد الأحابيش بأبي سفيان وهو يضرب في شدة حمزة عليه السلام ويقول: ذقه عقق أي ذق طعم مخالفتك لنا وتركك الذي كنت عليه ياعاق قومه ، جعل إسلامه عقوقاً ، فقال الحليس يابني كنانة هذا سيّد قريش يفعل بآبن عمّه ما ترون .

فقال أبو سفيان: اكنمها عني فأبها زلة (٢) .

(١) السيرة الحلبية ٢ / ٢١٨ .

(٢) السيرة الحلبية ، الحلبي ٢ / ٢٤٤ .

وكانت هند قد أمرت بالتمثيل بجثة حمزة ولاكت كبده .
وأحرق معاوية جثة محمد بن أبي بكر بعد قتله ، إذ جعلوه في جلد حمار وأضرموه بالنار وقيل أنّه فعل به ذلك وبه شيء من الحياة (١) .
وكان عبدالله بن بديل بن ورقاء الخزاعي على ميسرة علي عليه السلام ولما قتل أراد معاوية أن يمثّل به .
فقال له عبدالله بن عامر وكان صديقاً لابن بديل : والله لا تركتك وإيّاه ، فوهبه له ، ففظّاه بعامتته وحمله فواراه (٢) .
وسار يزيد على منهج أبيه وجدّته فحملوا رؤوس قتلى كربلاء من العراق إلى الشام على رؤوس الرماح أمام أهلهم ، بعد أن جالت الخيل على جثة أبي عبدالله الحسين عليه السلام .

ثمّ أحرق هشام بن عبد الملك بن مروان جثة زيد بن علي بن الحسين .
بينما لم يمثّل رسول الله ﷺ بجثث قتل المشركين في بدر وغيرها .
وقال الإمام علي عليه السلام قبل معركة الجمل لجيشه : لا تمثّلوا بقتيل (٣) .
فلم يمثّلوا بقتلي الناكثين في الجمل ولا قتلى القاسطين في صفين ولا قتلى المارقين في النهروان .
هذه هي أخلاق النبي محمد ﷺ وعلي عليه السلام خالفها الطغاة حقداً منهم على الإسلام والمسلمين .

بيع جثث الموتى

كانت العرب قبل الإسلام تبيع جثث قتلاها . وترتفع أثمان الجثث إن علا صاحبها نسباً وشرفاً وموقعاً .

(١) مروج الذهب ٢ / ٤٠٩ .

(٢) مروج الذهب ، المسعودي ٢ / ٣٨٨ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٦٢ .

وبعد ما جاء الإسلام العظيم منع النبي ﷺ المسلمين من بيع جثث الموق .
ففي معركة بدر كان بإمكان النبي ﷺ بيع جثث الموق وخاصة طغاة قريش
وزعمائها من أمثال أبي جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد وأمّية بن
خلف وعقبة بن أبي معيط .
وفي معركة الخندق طلبت قريش من رسول الله ﷺ شراء جثّة عمرو بن عبد
ودّ العامري وجثّة نوفل .

فأعطاهم النبي ﷺ الجثتين دون ثمن !

ولا يختلف الحكم الشرعي في منع بيع جثث الموق بين المسلم والكافر .
ففي معركة صفّين وبعدما قُتل عبيدالله بن عمر أمر معاوية « أن تأتي ربيعة
فتبذلن في جيفته عشرة آلاف ، ففعلن ذلك ، فاستأمرت ربيعة علياً عليه السلام ، فقال لهم :
إنما جيفته جيفة كلب لا يحل بيعها ، ولكن أجبتمهم إلى ذلك فاجعلوا جيفته لبنت
هانيء بن قبيصة الشيباني زوجته .

فقالوا لسوة عبيدالله : إن شئت شددناه إلى ذنب بغل ثم ضربناه حتى يدخل
إلى عسكر معاوية ، فصرخن وقلن : هذا أشد علينا ، وأخبرن معاوية بذلك ، فقال
لهن : ائتوا الشيبانية فسلوها أن تكلمهم في جيفته ، ففعلن ، وأتت القوم وقالت : أنا
بنت هانيء بن قبيصة ، وهذا زوجي القاطع الظالم ، وقد حدّرت ما صار إليه فهبوا إليّ
جيفته ، ففعلوا^(١) .

ولما قتل علي عليه السلام عمرو بن عبد ودّ ولم يسلبه شيئاً ولم يمتل به ورأته أخته
هكذا قالت تربيته :

لكن قاتله من لا يقاس به أبوه قد كان يدعى بيضة البلد^(٢)

(١) مروج الذهب ، المسعودي ٢ / ٣٨٥ ، ٣٨٦ .

(٢) الأعلام ٥ / ٢٥٢ .

أسباب بغض عائشة للإمام عليه السلام

عن عمر بن أبان قال لما ظهر أمير المؤمنين على أهل البصرة جاءه رجال
منهم فقالوا يا أمير المؤمنين ما السبب الذي دعا عائشة إلى المظاهرة عليك حتى
بلغت من خلافك وشقاقك ما بلغت ؟ وهي امرأة من النساء لم يكتب عليها القتال
ولا فرض عليها الجهاد ولا أرخص لها في الخروج من بيتها ولا التبرج بين الرجال
وليست مما تولته في شيء على حال فقال عليه السلام سأذكر أشياء حقدتها عليّ ليس في
واحد منها ذنب إليها ولكنّها تجرّمت بها عليّ .

أحدها : تفضيل رسول الله لي على أبيها وتقديعه إتيائي في مواطن الخير عليه
فكانت تضطغن ذلك ويصعب عليها وتعرفه منه فتتبع رأيه فيه .

وثانيها : لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها وبين عمر بن الخطاب
واختصني باخوتّه فغلظ ذلك عليها .

وثالثها : أوصى صلوات الله عليه بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه
إلا بابي فلما سدّ باب أبيها وصاحبه وترك بابي مفتوحاً في المسجد تكلم في ذلك
بعض أهله فقال صلوات الله عليه ما أنا سدّدت أبوابكم وفتحت باب علي بل الله
عزّ وجلّ سدّ أبوابكم وفتح بابي فغضب لذلك أبو بكر وعظم عليه وتكلم في أهله
بشيء سمعته منه ابنته فاضطغنته عليّ .

وكان رسول الله أعطى أباها الراية يوم خيبر وأمره أن لا يرجع حتى يفتح
أو يقتل فلم يلبث لذلك وانهمزم فأعطاهما في الغد عمر بن الخطاب وأمره بمثل ما أمر
صاحبه فانهمزم ولم يلبث فساء رسول الله ذلك وقال لهم ظاهراً معلناً : لأعطين
الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله كزار غير فرار لا يرجع حتى
يفتح الله على يده فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله على يدي فغمّ ذلك أباها
وأحزنه فاضطغنته عليّ ومالي إليه ذنب في ذلك فحقدت لحقد أبيها .

وبعث رسول الله ﷺ أباها ليؤدّي سورة براءة وأمره أن يستدب العهد

للمشركين فضى حتى انحرف فأوحى الله إلى نبيه أن يرده ويأخذ الآيات فيسلمها إليّ فعرف أباها بإذن الله عز وجل وكان فيما أوحى الله عز وجل إليه لا يؤدّي عنك إلّا رجل منك وكنت من رسول الله وكان منّي فاضطنن لذلك عليّ أيضاً وأتبعته عائشة في رأيه .

وكانت عائشة تمقت خديجة بنت خويلد وتشتنها شنآن الضرائر وكانت تعرف مكانها من رسول الله ﷺ فينقل ذلك عليها وتعدّي مقبتها إلى ابنتها فاطمة فتمقتني وتمقت فاطمة وخديجة وهذا معروف في الضرائر (١).

ابن عباس وعائشة

أرسل الإمام عليه السلام ابن عباس إلى عائشة يأمرها بتعجيل الرحيل ، وقلة العرجة والإقامة فجاءها ابن عباس وهي في قصر بني خلف ، فطلب الإذن عليها فلم تأذن له ، فدخل عليها بغير إذنها ، فإذا بيت قفار لم يُعد فيه مجلس ، فإذا هي من وراء ستر ، نظر ابن عباس إلى ما في الحجر ، فوقع بصره على طنفسة على رحل ، فدّالطنفسة وجلس عليها .

فقالت عائشة من وراء الستر ، يابن عباس ، أخطأت السنّة ، دخلت بيتنا بغير إذنتنا ، وجلست على متاعنا بغير إذنتنا .

فقال ابن عباس : نحن أولى بالسنّة منك ونحن علمناك السنّة ، وإنما بيتك الذي خلفك فيه رسول الله ﷺ فخرجت منه ظالمة لنفسك ، غاشّة لدينك ، عاتية على ربك ، عاصية لرسول الله ، فإذا رجعت إلى بيتك لم ندخله إلّا بإذتك ولم نجلس على متاعك إلّا بأمرك إنّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعث إليك يأمرك بالرحيل إلى المدينة وقلة العرجة .

(١) الجمل ، المفيد ٢١٨ - ٢١٩ .

فقالت عائشة : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب .

فقال ابن عباس : هذا والله أمير المؤمنين ، وإن تربدت فيه وجوه ، وورغمت معاطس ، أما والله هو أمير المؤمنين ، وأمست برسول الله رحماً ، وأقرب قرابة ، وأقدم سبقاً وأكثر علماً ، وأعلى مناراً ، وأكثر آثاراً من أبيك ومن عمر .

فقالت عائشة : أبيت ذلك .

فقال ابن عباس : أما والله ، إن كان إياؤك أي عدم قبولك فيه لتقصير المدة ، عظيم التبعة ، ظاهر الشؤم ، بين النكر ، وما كان إياؤك فيه إلّا حلب شاة حتى صرت ما تأمرين ولا تنهين ولا ترفعين ولا تضعين ، وما كان مثلك إلّا كمثل ابن الحضرمي بن بجمان أخي بني أسد حيث يقول :

ما ذاك إهداء القصائد بيننا شتم الصديق وكثرة الألقاب
حتى تركتهم كأنّ قلوبهم في كلّ جمعة طنين ذباب
سمعت عائشة فأراقت دمعها ، وبدا عويلها ، ثمّ قالت : اخرج والله عنكم ، فما في الأرض بلد أبغض إليّ من بلد تكونون فيه .

فقال ابن عباس : قليمّ؟ والله ماذا بلاؤنا عندك ، ولا يضعنا إليك ، إنّنا جعلناك للمؤمنين أمماً ، وأنت بنت أمّ رومان ، وجعلنا أباك خليفة وهو ابن أبي قحافة حامل قصاص الودك الخمر لابن جدعان إلى أضيافه .

فقالت : يابن عباس تتون عليّ برسول الله ؟

فقال : ولم لا نمنّ عليك بمن لو كان منك قلامة منه منتنتا به ؟ ونحن لحمه ودمه ومنه ، وما أنت إلّا حشية من حشايا تسع ، خلفهنّ بعده ، لست بأبيضهنّ لونا ، ولا بأحسنهنّ وجهاً ، ولا بأرشدهنّ عرقاً ، ولا بأنضهرهنّ ورقاً ، ولا بأطهرهنّ أصلاً ، صرت تأمرين فطاعين ، وتدعين فتجاين ، وما مثلك إلّا كما قال أخو بني فهر :

منتت على قومي فأبدوا عداوة فقلت لهم : كفووا العداوة والشكرا
ففيه رضا من مثلكم لصديقكم وأحجى بكم أن تجمعوا البغي والكفرا

ثم نهض ابن عباس وأتى الإمام فأخبره بمقاتلتها ، وما ردّ عليها ، فقال عليه السلام : أما إنّي كنت أعلم بك حيث بعثتك (١) .

عدد القتلى

استمرّت الحرب من الزوال إلى الغروب ، وعلى كلّ حال فقد بلغ عدد القتلى خمسة وعشرين ألف قتيل : ستة آلاف من أصحاب الإمام ، والباقيون من أصحاب الجمل ، وأما الأيدي والأرجل التي قطعت فقد بلغ عددها أربعة عشر ألفاً (٢) .

وأمر الإمام عليه السلام عائشة بالرحيل إلى المدينة ، فتهيأت لذلك ، وأنفذ معها أربعين امرأة ألبسهن العمام والقلائس (٣) ، وقلدهن السيوف ، وأمرهن أن يحفظنها ، ويكنّ عن يمينها وشمالها ومن ورائها .

فجعلت عائشة تقول في الطريق : اللهم افعل بعلي بن أبي طالب بما فعل بي ! بعث معي الرجال ولم يحفظ بي حرمة رسول الله ﷺ .

فلما قدم المدينة معها ألفين العمام والسيوف ودخلن معها ، فلما رأتهنّ ندمت على ما فرطت بدم أمير المؤمنين عليه السلام وسبّه .

وقالت : جزى الله ابن أبي طالب خيراً ، فلقد حفظ في حرمة رسول

الله ﷺ (٤) .

(١) شرح النهج ٢ / ١٧٠ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٩٩ ، مختصر تاريخ ابن عساکر ٥ / ٣٦٤ ، الاستيعاب ٣ / ٢٠٣ ، أسد الغابة ٢ / ١٩٩ ، تاريخ ابن الأثير ٣ / ٩٤ ، العقد الفريد ٤ / ٣٢٢ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ٣٦٦ ، كنز العمال ٦ / ٨٢ .

(٢) وقالوا قتل في المعركة ثلاثة عشر ألفاً من أصحاب الجمل وخمسة آلاف من أصحاب الإمام عليه السلام ، مروج الذهب ٢ / ٢٦٠ .

(٣) الأخبار الطوال ١٥٢ ، القلنسوة : تلبس في الرأس والجمع قلائس (تاج العروس ٨ / ٤٢٤) .

(٤) الجمل ٤١٥ ، الإمامة والسياسة ١ / ٩٨ ، مروج الذهب ٢ / ٣٧٩ وفيه « بعث معها علي أخاها عبدالرحمن بن أبي بكر وثلاثين رجلاً وعشرين امرأة ... » بدل « لَمَّا عزم أمير

والصحيح أنه بعث معها أخاها عبدالرحمن .

فصدق قول رسول الله ﷺ مشيراً إلى مسكن عائشة : أنه منبع الفتنة من حيث يخرج قرن الشيطان (١) .

هل ندمت عائشة ؟

الذي يقرأ أقوال عائشة بعد معركة الجمل يتصوّر أنّها تابت إلى الله تعالى من عملها .

والحقيقة أنّها لم تتنازل أبداً عن منهجها ولم تخالف ذاتها وطموحها في نصرّة الحزب القرشي وتحطيم أهل البيت عليه السلام ، وقتل من خالفها وعارض طروحاتها .

فبكاؤها وندمها لم يؤثر على أهدافها أبداً إذ خرجت بعد أكثر من عشر سنوات على حرب الجمل على بغلة تقود بني أمية لمنع دفن الإمام الحسن عليه السلام مع جدّه !!

وعن بكائها وندمها فهو ردّات فعل لها ثم تعود إلى سيرتها الأولى .

قالت عائشة بعد حرب الجمل : والله ، لو ددت أنّي متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة (٢) .

وأقوى وجوه الناس إلى عائشة وفيهم : القعقاع بن عمرو ، فسلم عليها فقالت :

المؤمنين عليه السلام على المسير ... » ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٤٤ عن محمد وطلحة ، الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٧ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٦ وكلّها نحوه وراجع تاريخ اليقوي ٢ / ١٨٣ ، والفتوح ٢ / ٤٨٧ ، موسوعة الإمام علي عليه السلام ، ري شهري ٥ / ٢٦٣ .

(١) الجمل ، المدني ٤٧ ، البحار ٣١ / ٦٣٩ ، الصراط المستقيم ٣ / ١٤٢ ، صحيح البخاري ٦ / ١٨٨ ، صحيح مسلم ٢ / ٥٠٣ .

(٢) الكامل في التاريخ ٢ / ٣٤٥ ، شرح نهج البلاغة ١ / ٢٦٤ عن جندب بن عبدالله ، الفتوح ٢ : ٤٨٧ ، المعيار والموازنة ٦١ .

والله ، لوددت أنّي متّ قبل هذا اليوم بعشرين سنة^(١)!

وذكر لعائشة يوم الجمل قالت : والناس يقولون يوم الجمل ؟

قالوا : نعم ، قالت : ووددت أنّي جلست كما جلس غيري ؛ فكان أحبّ إليّ من

أن أكون ولدت من رسول الله ﷺ عشرة كلّهم مثل عبد الرحمن بن الحارث بن هشام^(٢).

ولم تودّ ولادة شخص كالحسين عليه السلام سيّد شباب أهل الجنّة .

وقالت عائشة : ووددت أنّي كنت تكلت عشرة مثل الحارث بن هشام ، وأنّي

لم أسر مع ابن الزبير^(٣).

العجيب في ثقافة عائشة عدم تأثرها برسول الله ﷺ شيئاً ، فالنبي قدوته

للشباب المسلم الحسن والحسين ، وقدوة عائشة الحارث !

وحديث من سمع عائشة إذا قرأت هذه الآية : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(٤)

بكت حتّى تبلّ خمارها^(٥).

وما ذكرت عائشة مسيرها في وقعة الجمل قطّ ، إلّا بكت حتّى تبلّ خمارها

وتقول : باليتني كنت نسياً منسياً^(٦).

(١) نهاية الأرب ٢٠ / ٧٩ .

(٢) فتح الباري ١٣ / ٥٥ ، مجمع الزوائد ٧ / ٤٨٠ ، ١٢٠٤٠ ، أسد الغابة ٣ / ٤٢٩ / ٣٢٨٣ ، تاريخ دمشق ٣٤ / ٢٧٤ وزاد في ذيله « أو مثل عبدالله بن الزبير » .

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ١٢٩ / ٤٦٠٩ ، الاعتقاد والهداية ٢٤٦ وفيه « مثل ولد الحرث بن هشام » بدل « مثل الحرث بن هشام » وراجع المصنّف لابن أبي شيبة ٨ / ٧١٧ / ٥٥ ، وأنساب الأشراف ٣ / ٦٠ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ .

(٥) الطبقات الكبرى ٨ / ٨١ ، الزهد لابن حنبل ٣ / ٦٠ كلاهما عن أبي الضحى عمّن سمع عائشة ، سير أعلام النبلاء ٢ / ١٧٧ / ١٩ ، الدر المنثور ٦ / ٦٠٠ عن مسروق .

(٦) تاريخ بغداد ٩ / ١٨٥ / ٤٧٦٦ ، الاعتقاد والهداية ٢٤٦ ، المناقب للخوارزمي ١٨٢ / ٢٢٠ .

قالت عائشة : إذا مرّ ابن عمر فأرونيه ، فلما مرّ قيل لها : هذا ابن عمر ، قالت :

يا أبا عبد الرحمن ، ما منعك أن تنهاني عن مسيري ؟

قال : قد رأيت رجلاً قد غلب عليك [يعني ابن الزبير] ، وظننت أن لا

تخالفيه . قالت : أما إنك لو نهيتني ما خرجت .

لقد ندمت عائشة على أسلوبها الفاضل في محاربة الإمام علي عليه السلام وتفكّر في

أسلوب أفضل كالذي قتلوا به رسول الله ﷺ فكان اغتيال علي عليه السلام بيد ابن ملجم !!

غنائم معركة الجمل

اتفقت الرواة كلّها على أنّه [علياً عليه السلام] قبض ما وجد في عسكر الجمل من

سلاح ودابة ومملوك ومتاع وعروض ، فقسّمه بين أصحابه ، وأنهم قالوا له : اقسّم

بيننا أهل البصرة فاجعلهم رقيقاً ، فقال : لا .

فقالوا : فكيف نُحلّ لنا دماءهم ، ونُحرّم علينا سيّهم !

فقال : كيف يحلّ لكم ذرّية ضعيفة في دار هجرة وإسلام ! أمّا ما أجلب به

القوم في معسكرهم عليكم فهو لكم مغنم ، وأمّا ما وارت الدور وأغلقت عليه

الأبواب فهو لأهله ، ولا نصيب لكم في شيء منه .

فلما أكثروا عليه قال : فاقرعوا على عائشة ؛ لأدفعها إلى من تصيبه القرعة !

فقالوا : نستغفر الله يا أمير المؤمنين ! ثمّ انصرفوا^(١).

وكان علي صلوات الله عليه قد غنم أصحابه ما أجلب به أهل البصرة إلى

قتاله وأجلبوا به ؛ يعني أتوا به في عسكرهم ولم يعرض لشيء غير ذلك من أموالهم ،

وجعل ما سوى ذلك من أموال من قتل منهم لورثتهم ، وخمس ما أغنمه ممّا أجلبوا

به عليه ، فجزت أيضاً بذلك السنّة^(٢).

(١) شرح نهج البلاغة ١ / ٢٥٠ ، وراجع الإمامة والسياسة ١ / ٩٧ .

(٢) شرح الأخبار ١ / ٣٨٩ / ٣٣١ .

وأخذ لنفسه كما أخذ لكل واحد ممن معه من أصحابه وأهله وولده خمسمائة درهم.

فأتاه رجل من أصحابه فقال: يا أمير المؤمنين! إنني لم آخذ شيئاً، وخلفني عن الحضور كذا وأدلى بعذر فأعطاه الخمسمائة التي كانت له^(١).

ثم نزل عليه [أي بعد خطبته في أهل البصرة] واستدعى جماعة من أصحابه، فمشوا معه حتى دخل بيت المال، وأرسل إلى القراء، فدعاهم ودعا الخزان وأمرهم بفتح الأبواب التي داخلها المال^(٢)، ثم قسم المال بين أصحابه فأصاب كل رجل منهم ستة آلاف درهم، وكان أصحابه اثني عشر ألفاً، وأخذ هو عليه السلام كأحدهم، فبينما هم على تلك الحالة، إذ أتاه آت فقال: يا أمير المؤمنين! إن اسمي سقط من كتابك، وقد رأيت من البلاء ما رأيت. فدفعت سهمه إلى ذلك الرجل.

وروى الثوري عن داود بن أبي هند عن أبي حرب بن أبي الأسود قال: لقد رأيت بالبصرة عجباً! لما قدم طلحة والزبير قد أرسلوا إلى أناس من أهل البصرة وأنا فيهم، فدخلنا بيت المال معها، فلما رأيا ما فيه من الأموال قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله. ثم تليها هذه الآية: «وَعَدَكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» إلى آخر الآية وقالوا: نحن أحق بهذا المال من كل أحد.

فلما كان من أمر القوم ما كان دعانا علي بن أبي طالب عليه السلام فدخلنا معه بيت المال، فلما رأى ما فيه ضرب إحدى يديه على الأخرى وقال: ياصفراء يايبضاء،

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٨٠، وراجع الأخبار الطوال ٢١١.

(٢) قال ابن منظور: في الحديث: أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دخل بيت المال فقال: يا حمراء ويايبضاء احمزي ويايبضي، غزي غيري.

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جاني يده إلى فيه

قال أبو عبيد: يضرب هذا مثلاً للرجل يؤثر صاحبه بخيار ما عنده. وأراد علي رضوان الله عليه بقول ذلك أنه لم يتلخ بشيء من فيء المسلمين بل وضعه مواضعه. والجنبي: ما يجنى من الشجر (لسان العرب ١٤ / ١٥٥، وراجع مجمع الأمثال ٣ / ٤٨٨).

غزي غيري! وقسمه بين أصحابه بالسوية حتى لم يبق إلا خمسمائة درهم عزها لنفسه، فجاءه رجل فقال: إن اسمي سقط من كتابك. فقال عليه السلام: ردوها عليه. ثم قال:

الحمد لله الذي لم يصل إلي من هذا المال شيء، ووقره على المسلمين^(١).

وقال أبو الأسود: لما خرج عثمان بن حنيف من البصرة، وعاد طلحة والزبير إلى بيت المال فتأمل ما فيه، فلما رأوا ما حواه من الذهب والفضة قالوا: هذه الغنائم التي وعدنا الله بها، وأخبرنا أنه يعجلها لنا.

قال أبو الأسود: فقد سمعت هذا منها، ورأيت علياً عليه السلام بعد ذلك، وقد دخل بيت مال البصرة، فلما رأى ما فيه قال: ياصفراء ويايبضاء غزي غيري! المال يعسوب^(٢) الظلمة، وأنا يعسوب المؤمنين.

فلا والله ما التفت إلى ما فيه، ولا فكر فيما رآه منه، وما وجدته عنده إلا كالتراب هواناً! فعجبت من القوم ومنه عليه السلام! فقلت: أولئك ممن يريد الدنيا، وهذا ممن يريد الآخرة، وقويت بصيرتي فيه^(٣).

إن أمير المؤمنين عليه السلام لما فرغ من قسمة المال قام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه وقال:

أيها الناس! إنني أحمد الله على نعمه: قتل طلحة والزبير، وهزمت عائشة. وإيم الله لو كانت عائشة طلبت حقاً وأهانت باطلاً لكان لها في بيتها مأوى، وما فرض الله عليها الجهاد، وإن أول خطبها في نفسها، وما كانت والله على القوم إلا أشأم من ناقة الحِجر^(٤)، وما ازداد عدوكم بما صنع الله إلا حقداً، وما زادهم

(١) الجمل ٤٠٠، وراجع مروج الذهب ٢ / ٣٨٠، وشرح نهج البلاغة ١ / ٢٤٩ و ٩ / ٣٢٢.

(٢) اليعسوب: السيد والرئيس والمقدم (النهاية ٣ / ٢٣٤).

(٣) الجمل ٢٨٥.

(٤) يشير بهذا إلى قصة ناقة صالح عليه السلام. والحجر: اسم ديار ثمود بوادي القرى بين المدينة

الشیطان إلا طغياناً. ولقد جاؤوا مبطلين وأدبروا ظالمين، إن إخوانكم المؤمنين جاهدوا في سبيل الله، وآمنوا به يرجون مغفرة من الله، وإنا لعلی الحق، وإثم لعلی الباطل، وسيجمعنا الله وإياهم يوم الفصل، وأستغفر الله لي ولكم^(١).

معاينة الإمام عليه السلام للناكثين

وبعد دخول الإمام عليه السلام مدينة البصرة بدأ في خطبته البليغة وحكمه الرائعة لهداية الناس وتوعيتهم إذ قام في الناس خطيباً، فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وصلى على محمد وآله، ثم قال:

أما بعد؛ فإن الله غفور رحيم عزيز ذو انتقام، جعل عفوه ومغفرته لأهل طاعته، وجعل عذابه وعقابه لمن عصاه وخالف أمره، وابتدع في دينه ما ليس منه، وبرحمته نال الصالحون العون، وقد أمكنني الله منكم بأهل البصرة، وأسلمكم بأعمالكم؛ فإياكم أن تعودوا إلى مثلها؛ فإنكم أول من شرع القتال والشقاق، وترك الحق والإنصاف^(٢).

أيها الناس! إن الله عز وجل ذو رحمة واسعة ومغفرة دائمة لأهل طاعته، وقضى أن تقمته وعقابه على أهل معصيته.

يا أهل البصرة! يا أهل المؤتفكة، ويا جند المرأة، وأتباع البهيمة! رغا فأجبتهم، وعقر فانهزمتهم، أحلامكم دقائق، وعهدكم شقاق وماؤكم زعاق^(٣).

يا أهل البصرة! أنتم شر خلق الله؛ أرضكم قريبة من الماء، بعيدة من السماء. خفت عقولكم، وسفهت أحلامكم. شهرتم سيوفكم، وسفكت دماءكم، وخالفتم

١- والشام وفيها بئر ثمود (راجع: معجم البلدان ٢ / ٢٢١).

(١) الجمل ٤٠٢.

(٢) الجمل ٤٠٠، وراجع الإرشاد ١ / ٢٥٧، وبحار الأنوار ٣٢ / ٣٢٠ / ٢٣٠ / ١٨٢.

(٣) ماء زعاق: مرّ غليظ لا يطاق شربه من أجوجته (لسان العرب ١٠ / ١٤١).

إمامكم؛ فأنتم أكلة الآكل، وفريسة الظافر، فالنار لكم مدخر، والعار لكم مفخر، يا أهل البصرة! انكتم بيعتي، وظاهرتم عليّ ذوي عداوتي، فاطنكم يا أهل البصرة الآن^(١).

وأيام الله ليأتين عليها زمان لا يرى منها إلا شرفات مسجدها في البحر، مثل جوجو^(٢) السفينة، انصرفوا إلى منازلكم^(٣).

الزير بن العوام

وهو ابن صفيّة عمّة النبي صلى الله عليه وآله من الأوائل الذين دخلوا الإسلام^(٤) وكان من الصحابة المشاركين في الحروب الأولى ضد الكفار واليهود^(٥) وساهم فيها مع المسلمين^(٦).

وفي السقيفة وقف مع الإمام علي عليه السلام بناءً على وصية الرسول وأعطى ماله وروحه في هذا الطريق فأبغضه رجال السقيفة^(٧) -^(٨). ولأنه عادى الإمام علياً عليه السلام لاحقاً فقد عدّه المخالفون من العشرة المبشرة بالجنة^(٩).

(١) الجمل ٤٠٧، وراجع تفسير القمي ٢ / ٣٣٩، والاحتجاج ١ / ٢٥٠، ونثر الدر ١ / ٣١٥، ومرّج الذهب ٢ / ٣٧٧.

(٢) الجوجو: الصدر (النهاية ١ / ٢٣٢).

(٣) الأخبار الطوال ١٥١.

(٤) أسد الغابة ٢ / ٣٠٧ / ١٧٣٢، السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٦٧، سير أعلام النبلاء ١ / ١٤٤.

(٥) راجع: خصائصهم.

(٦) أسد الغابة ٢ / ٣٠٩ / ١٧٣٢، الاستيعاب ٢ / ٩١ / ٨١١، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٩.

(٧) راجع: قصة الهجوم على بيت فاطمة بنت رسول الله.

(٨) المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٦٣، بحار الأنوار ٤٣ / ١٨٣ نقلاً عن تاريخ الطبري.

(٩) أسد الغابة ٢ / ٣٠٩ / ١٧٣٢، الإصابة ٢ / ٤٥٧ / ٢٧٩٦، الاستيعاب ٢ / ٩١ / ٨١١.

مخالفة منهم للحديث النبوي الشريف : يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق^(١).
فتركوا سلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان وسعد بن معاذ بل تركوا الأنصار وباقي المسلمين وحصروا الجنته برجال الحزب القرشي المخالفين للنبي ﷺ!
ورشاوى أبي بكر وعمر وعثمان له جعلته من المترفين وآكلي المال الحرام^(٢).
ورسّحه عمر لمجلس الستة بعدما رسّح أربعة له من الحزب القرشي وهم عثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص^(٣).
فكان أربعة في جانب واثنين في الجانب المعارض للدولة هما الإمام علي عليه السلام والزبير (صهر أبي بكر)^(٤).

وبعدما نشأ عبدالله بن الزبير في حضن خالته عائشة^(٥).
وتزايد تأثيره على أبيه الزبير بدأ تراجع الزبير عن الحق فترية عائشة المبغضة لأهل بيت النبوة أثرت في ابن أختها عبدالله فأصبح نسخة منها في حبه للفتنة وغدره في الأحداث وعدم اعتناؤه بالأحكام الشرعية فقتل الأبرياء وتسبب

البداية والنهاية ٢٤٩ / ٧.

(١) المستدرك، الحاكم ١٢٧ / ٣، تاريخ بغداد ٤٠ / ٤، كنز العمال ١١ / ٢١٦، أسد الغابة ١ / ٦٦، صحيح مسلم ٢ / ٢٧١، صحيح الترمذي ٢ / ٣٠١، صحيح النسائي ٢ / ٢٧١، صحيح ابن ماجه ١٢، مسند أحمد ١ / ٨٤ - ٩٥، ١٢٨، الاستيعاب ٢ / ٤٦٤، الدر المنثور ٧ / ٥٠٤، حلية الأولياء ١ / ٨٦، مجمع الزوائد ٩ / ١٣٢، ذخائر العقبى ٩٢، جامع الأحاديث للسيوطي ٧ / ٢٢٩، مسند أبي يعلى ٢ / ١٠٩، الصواعق المحرقة ١٢٣، تفسير الطبري ١٣ / ٧٢، تفسير الرازي ١٩ / ١٤، فتح القدير ٥ / ٢٥٣، تاريخ ابن عساکر ٢ / ٤٢٣.

(٢) راجع الناحية المالية في هذا الكتاب.

(٣) راجع: مبادئ خلافة عثمان / ما جرى في الشورى.

(٤) المحجّر ٥٤، تاريخ دمشق ١٨ / ٤٢٩، أسد الغابة ٣ / ٢٤٢ / ٢٩٤٩.

(٥) نهج البلاغة، الحكمة ٤٥٣، العقد الفريد ٣ / ٣١٤، الاستيعاب ٣ / ٤٠ / ١٥٥٣، أسد الغابة ٣ / ٢٤٤ / ٢٩٤٩، شرح نهج البلاغة ٢ / ١٦٧.

في إحراق الكعبة .

وكثّر الزبير ثروة طائلة في عهد عثمان^(١)، بلغت عند موته خمسين ألف دينار، وألف فرس، وألف عبد وأمة^(٢). وخططاً كثيرة^(٣). لكنّه لم يتولّ منصباً. ولما كثرت ثروته بدأ يفكر في المناصب السياسية .

وكان يساعد الثوّار الذين نهضوا ضدّ عثمان^(٤)، بل طالب بقتله ؛ ليصل إلى الخلافة ، أو إلى منصب الوالي للولايات .

وباع علياً عليه السلام بعد قتل عثمان^(٥)، ولكنّه لما حُرّم من الإمارة ، ومن الامتيازات التي كانت له في عصر عثمان ، رفع لواء المعارضة بوجه أمير المؤمنين عليه السلام^(٦) يحرّضه على ذلك ولده عبدالله .

توجّه إلى مكّة مع طلحة متظاهرين أنّها يريدان العمرة^(٧)، وهناك نسّقا مع عائشة وغيرها ، ثمّ اتّفقوا على إشعال فتيل « الحرب » وكان الزبير يذبح بيده حراس بيت مال البصرة الأسرى لسوء عاقبته ، ثم اعتزل الزبير الحرب بعد الزبير وقاتله في النار

كلام أمير المؤمنين عليه السلام معه ، لكنّه اغتيل على يد ابن جرموز^(٨).

أمّا الزبير فإنّه خرج من المعركة ووصل إلى منطقة في ضواحي البصرة يقال لها « وادي السباع » فقتله ابن جرموز غيلة وأخذ رأسه وسيفه وخاتمه ، وجاء بها

(١) الطبقات الكبرى ٣ / ١٠٧.

(٢) مروج الذهب ٢ / ٣٤٢.

(٣) خطط : أراضي ، مروج الذهب ٢ / ٣٤٢.

(٤) أنساب الأشراف ٦ / ٢١١.

(٥) نهج البلاغة ، الكتاب ٥٤ ، الإرشاد ١ / ٢٤٥ ، الطبقات الكبرى ٣ / ٣١.

(٦) راجع : حرب الجمل / دوافع الحرب / الدافع في الباطن / طلب الرئاسة .

(٧) راجع : تأقّب الناكثين للخروج على الإمام / خروج طلحة والزبير إلى مكّة .

(٨) راجع : جهود الإمام لمنع القتال / عاقبة الزبير .

إلى معسكر الإمام .

فاستأذن ودخل وإذا به يرى القائد الأعلى للمسلمين جالساً ، بين يديه ترس عليه قرص من خبز الشعير ، فسلم عليه ، وهنأه بالفتح عن الأحنف ، لأنَّ الحرب قد وضعت أوزارها حينئذ .

وقال : أنا رسول الأحنف ، وقد قتلت الزبير ، وهذا رأسه وسيفه . فألقاها

بين يديه .

فقال الإمام : كيف قتلته ؟ وما كان من أمره ؟ فحدثنا كيف كان صنعك به ؟

فقصَّ عليه ما جرى فقال : ناولني سيفه . فناوله ، فاستلَّه وهزَّه وقال : سيف

أعرفه ، طالما جلا الكرب عن وجه رسول الله ﷺ .

ثم التفت الإمام إلى ابن جرmoz قائلاً : والله ، ما كان ابن صفية جباناً ولا

لثيماً ، ولكن الجبن ومصارع السوء .

ثم تفرَّس في وجه الزبير وقال : ومنه قرابة ، ولكن دخل الشيطان منخرك

فأوردك هذا المورد .

فقال ابن جرmoz : الجائزة يا أمير المؤمنين .

فقال ﷺ : أما إنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول :

الزبير وقاتله في النار^(١) .

وبنى داراً في البصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال^(٢) وغيرهم ، وابتنى

أيضاً دوراً بمصر والكوفة والاسكندرية ، فأصبح غنياً مترفاً .

كان للزبير أربع نسوة ، ورُزِّع الثمن ، فأصاب كلَّ امرأة ألف الف ومائة الف .

فجميع ماله خمسة وثلاثون ألف الف (مليون) ومائتا ألف^(٣) .

(١) الجمل ، المديني ١٣٧ ، مروج الذهب ٢ / ٣٧٣ .

(٢) في نسخة : « وأصحاب الجهات من البحرين » (هامش المصدر) .

(٣) الطبقات الكبرى ٣ / ١٠٩ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٦٧ / ٣ وفيه « ورفق الثلث » بدل « ورزِّع الثمن » و « خمسون » بدل « خمسة وثلاثون » .

عبدالله بن الزبير

وهو ابن أسماء بنت أبي بكر . ولد في السنة الأولى من الهجرة بالمدينة ، وهو أول مولود من أولاد المهاجرين^(١) . وأتباعه منهج عائشة يبيِّن أثر التربية على الأولاد وضرورة الاحتياط فيها .

وكان حفيد أبي بكر^(٢) . وله دور مهم في انحراف أبيه ، وإيقاد حرب الجمل .

فلم يكن على منهج أبيه الزبير .

وقال فيه أمير المؤمنين علي عليه السلام : ما زال الزبير رجلاً ممَّا أهل البيت حتى نشأ

ابنه المشؤوم عبدالله^(٣) .

وكان عبدالله من أصحاب عثمان وأبوه محارباً لعثمان في رغبة للوصول

للسلطة^(٤) .

ولم يهتمَّ عبدالله بحبِّته صفية بنت عبدالمطلب ورباطتها الرحمة ببني هاشم

بكلِّ الوسائل^(٥) .

وعندما عزم الزبير على اعتزال القتال حاول أن يُثنيه عمَّا هو بسبيله .

قالوا : أخذ زمام جمل عائشة ، وجرح جرحاً بليغاً في صراعه مع مالك

الأشتر . وكان يرغب في قتل مالك حتى لو كلفه ذلك نفسه ، لذا كان يقول وهما

(١) صحيح مسلم ٣ / ١٦٩٠ / ٢٥ ، مسند ابن حنبل ١٠ / ٢٧٠ / ٢٧٠٠٤ ، المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٦٣١ / ٦٣٢٦ ، السنن الكبرى ٦ / ٣٣٥ ، السيرة النبوية لابن كثير ٢ / ٣٣١ .

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٦٣١ / ٦٣٢٦ ، تهذيب الكمال ١٤ / ٥٠٩ / ٣٢٦٩ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ١٤٦ .

(٣) نهج البلاغة ، الحكمة ٤٥٣ ، العقد الفريد ٣ / ٣١٤ ، الاستيعاب ٣ / ٤٠ / ١٥٥٣ ، أسد

الغابة ٣ / ٢٤٤ / ٢٩٤٩ ، شرح نهج البلاغة ٢ / ١٦٧ .

(٤) الجمل ٢٢٩ .

(٥) تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٩ ، مروج الذهب ٢ / ٣٧٢ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٤٩٠ ، البداية

والنهاية ٧ / ٢٤٢ ، الجمل ٢٨٨ و ٢٨٩ .

مصطرعان :

اقتلوني ومالكاً واقتلوا مالكاً معي!^(١)

وكذب معاوية والناس هذه الرواية المختلفة ذلك إذ نام بين جرحى الجمل كي لا يقتلوه ولم يحارب قط في الجمل وعصيانه في مكة متسبباً في قتل الأبرياء . اعتمد أبناء الزبير عبد الله وعروة وأولادهم على الكذب لرفع منزلتهم فاختلفوا أيضاً قتل صفية ليهودي في معركة خيبر واختلفوا قضية أسماء ذات النطاقين لأئمتهم واختلفوا لعبد الله محاربتة للأشتر بطل الكوفة . وهذا من أكاذيب ابن الزبير ليرفع شأنه إلى مرتبة الشجاع المطرق مالك الأشتر .

فالمعروف عن عبد الله منهجية صعلوكية مترلفة يخاف الحرب ويتوسل بال المكر والحيلة .

وبسبب ذلك لم يحارب يزيد بل اختفى في الكعبة متخذاً منها حصناً لمحاربة الطاغية فنتسبب في إحراق الكعبة في زمن يزيد وفي زمن عبد الملك . ومرة أخرى كذب ابن الزبير قائلاً لمعاوية أنه وقف أمام الإمام علي عليه السلام في الحرب فكذبه معاوية قائلاً: إذن لقتلك وأباك بيده اليسرى^(٢) .

وعفا عنه الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعد الحرب مع باقي الاسرى^(٣) . وكان مغروراً منبواً حتى أن معاوية لم يحترمه ولم يُبال به^(٤) .

والإمام عليه السلام لم يقتل أسيراً في معركة الجمل متعلماً من النبي، وهذه السيرة

(١) مروج الذهب ٢ / ٣٧٦ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥١٩ و ٥٣٠ ، أنساب الأشراف ٣ / ٣٩ ، الجمل ٣٥٠ و ٣٦٢ .

(٢) الصراط المستقيم ١ / ٦٠ ، البحار ٤١ / ١٤٣ ، شرح النهج ١ / ٢١ .

(٣) مروج الذهب ٢ / ٣٧٨ ، الفتوح ٢ / ٤٨٥ .

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٣٢٣ ، مقاتل الطالبين ٣٩٧ .

تكذب قتل علي لعقبة بن ابي معيط صبراً غي معركة بدر .

ولم يبايع عبدالله يزيداً بعد هلاك معاوية . وتوطن مكة حفظاً لنفسه^(١) ثم تسلط عليها فهاجها جيش يزيد لدرهه ، فاحترقت الكعبة ، ودُمّرت^(٢) وبقى عبدالله مختفياً في الكعبة^(٣) .

وبعد مقتل يزيد ادعى الخلافة سنة ٦٤هـ^(٤) ، واستولى على الحجاز واليمن والعراق وخراسان^(٥) مستخدماً شتى الوسائل الشيطانية .

وطلب البيعة من عبدالله بن عباس ، ومحمد بن الحنفية ، فلم يستجيبا له ، فعزم على إحراقها ، بيد أئمتها نجوا بعد حملة المختار^(٦) . مما يبين عدم احترازه في الدماء والأرواح شأنه شأن عائشة .

وقُتل ابن الزبير ، ثم صُلب في عهد عبد الملك بن مروان سنة ٧٣هـ ، بعد ما أغار الحجاج على مكة والمسجد الحرام^(٧) وانتصر عليه . فلم يحارب ابن الزبير في

(١) تاريخ الطبري ٥ / ٣٤٠ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٥٣٠ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ١٦٩ و ١٧٠ ، العقد الفريد ٣ / ٣٦٣ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠٣ و ٢٠٩ ، البداية والنهاية ٨ / ١٤٧ .

(٢) تاريخ الطبري ٥ / ٤٩٨ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٦٠٢ ، أسد الغابة ٣ / ٢٤٤ / ٢٩٤٩ .
(٣) تاريخ الطبري ٥ / ٤٩٨ و ٥٠١ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٦٠٢ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠٩ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٢٥ و ٢٢٦ .

(٤) تاريخ الطبري ٥ / ٤٩٧ و ٥٠١ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٦٠٤ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٤ / ٥٣ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠٢ و ٢٢١ ، البداية والنهاية ٨ / ٢٣٨ و ٢٣٩ .

(٥) أسد الغابة ٣ / ٢٤٤ / ٢٩٤٩ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٦٤ / ٥٣ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٦١٥ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠٩ و ٢٤٥ و ٢٤٦ ، مروج الذهب ٣ / ٨٣ . وقد ذكرت بعض المصادر أنه حكم على مصر أيضاً ، ولكن لم يستوسق له الأمر ؛ إذ سرعان ما غلب مروان عليها .

(٦) تاريخ دمشق ٢٨ / ٢٠٤ ، مروج الذهب ٣ / ٨٦ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٦١ .

(٧) مروج الذهب ٣ / ١٢٢ ، المستدرک على الصحيحين ٣ / ٦٣٩ / ٦٣٤٦ ، تاريخ الطبري ٦ / ١٨٧ ، الكامل في التاريخ ٣ / ٦٧ - ٧٥ ، سير أعلام النبلاء ٣ / ٣٧٧ / ٥٢ ، أسد الغابة ٣ / ٢٤٥ / ٢٩٤٩ ، تاريخ دمشق ٢٨ / ٢١٢ و ٢٤٢ و ٢٤٥ ، البداية والنهاية ٨ / ٣٢٩ .

هذه الحروب ففرج بالجبن والفرار .

وهو الذي حمل الزبير على حرب الجمل وزين لعائشة مسيرها إلى البصرة ، وكان سبباً فاحشاً ، يفض بني هاشم ، ويلعن ويسب علي بن أبي طالب عليه السلام (١) . فكان معروفاً بالنفاق لبغضه علياً عليه السلام .

وهو الذي بقي أربعين جمعة لا يصلي على النبي صلى الله عليه وآله في خطبته حتى التاثر (٢) عليه الناس ، فقال : إن له أهل بيت سوء إذا صليت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم ، وأشرأبوا لذكروه ، وفرحوا بذلك ، فلا أحب أن أقرّ عينهم بذكروه (٣) .

طلحة بن عبيدالله

وأمه الصعبة إحدى بغايا مؤسسة عبدالله بن جدعان السيئة الصيت .

فنسبته أمه إلى عبيدالله التيمي فأصبح تيمياً .

شأنه في ذلك شأن عمرو بن العاص وأبي بكر التيمي .

وأسلم بناءً على نصيحة كاهن له ، فلم يكن مخلصاً في أعماله بل كان من

الطابور الخامس المتعاون مع قريش .

وهو من المهاجرين الأوائل . أخى الزبير قبل الهجرة (٤) .

وكان تاجراً ، وعندما وقعت معركة بدر فرّ مع سعيد بن زيد (٥) .

ولم يساهم فيها .

بينما أنثى عليه أناصبة وعدّوه من العشرة المبشرة لعداوته علياً عليه السلام (٦) .

(١) شرح نهج البلاغة ٤ / ٧٩ .

(٢) لاث به الناس : اجتمعوا حوله (لسان العرب ٢ / ١٨٨) .

(٣) مقاتل الطالبين ٣٩٧ ، بحار الأنوار ٤٨ / ١٨٣ / ٢٦ ، وراجع تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٦١ .

(٤) تهذيب الكمال ١٣ / ٤١٥ / ٢٩٧٥ ، الإصابة ٣ / ٤٣١ / ٤٢٨٥ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ٢٦٦ .

(٥) الاستيعاب ٢ / ٣١٧ / ١٢٨٩ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ٥٤ .

(٦) تهذيب الكمال ١٣ / ٤١٢ / ٢٩٧٥ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٢٤ / ٢ ، الاستيعاب ٢ / ٣١٧ /

وفرّ طلحة من معركة أحد وخيبر وحنين فكان في زمرة الفارين المتقاعسين . وكان الخلفاء يحترمونه وبعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله . اختاره عمر في الشورى السادسة ، لأنه من أهل العقبة (١) (اذ اشترك مع جماعة العقبة في حملة تبوك لقتل رسول الله صلى الله عليه وآله (٢)) لكنه اعتزل الشورى لمصلحة عثمان (٣) وكان في غاية الدهاء والسياسة (٤) حصل على ثروة طائلة في عصر عثمان ؛ بسبب الأموال التي كان قد أعطها إياه بلا حساب (٥) .

وقمّى موت سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله كي يتروّج عائشة إذ كانت رغبته فيها عظيمة ، مما يبيّن منزلته الدينية المتواضعة (٦) .

وعصى طلحة النبي صلى الله عليه وآله في حملة أسامة .

مما يبيّن انحرافه الكامل عن سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وجريه خلف المصالح الدنيوية .

وهبه عثمان مرّة دنيماً كان عليه بلغ خمسين الف درهم ، وقال له : معونة على

مروءتك (٧) ! وكان من ملاكي الأرض الكبار ، حتى كان يُغَلّ بالعراق ما بين

أربعمائة الف إلى خمسمائة الف ، ويُغَلّ بالشّراة (٨) عشرة آلاف دينار (٩) .

(١) ١٢٨٩ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ٥٤ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٣ / ٥٢٣ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٨ .
(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦ / ٢٥٣ ، كتاب المفآخرات ، الزبير بن بكار ، شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ٢ / ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨ هـ ، المحلّي ، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥ .

(٣) المحلّي ، ابن حزم الأندلسي ١١ / ٢٢٥ .

(٤) راجع : القسم الرابع / مبادئ خلافة عثمان / ما جرى في الشورى .

(٥) راجع : خصائصهم .

(٦) راجع : مبادئ الثورة على عثمان / جعل المال دولة بين الأغنياء / ما أعطى طلحة .

(٧) البحار ١٧ / ٢٧ ، ٢٢ / ١٩٠ ، ٣٢٢ / ١٠٧ ، شرح النهج ٩ / ٥٦ ، تفسير الكاشاني ٤ / ١٩٦ ، تفسير الحويزي ٤ / ٣٩٨ .

(٨) تاريخ الطبري ٤ / ٤٠٥ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ١٠٤ .

(٩) الشّراة : الجبل الذي فيه طرف الطائف إلى بلاد أرمينية . وقيل : هو الجبال والأرض

الحاجزة بين تهامة واليمن ، ولها سعة (معجم البلدان ٣ / ٢٠٤) .

(٩) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٢١ ، سير أعلام النبلاء ١ / ٣٢ / ٢ ، مروج الذهب ٢ / ٣٤٢ ،

خلف بعد موته ثروة قدرت بثلاثين مليون درهم^(١).

كان طلحة يطمح إلى الخلافة^(٢)؛ فكتب إلى البصرة، والكوفة، وغيرها من الأمصار محرّضاً أهلها على قتل عثمان^(٣). وكان بيت المال بيده في جريان قتل عثمان^(٤).

وقتل طلحة عثمان بيده وطالب الناس بدمه فهز العالم الاسلامي بمكره !!

ندم طلحة

وبعدما خسر جيش الجمل المعركة أسرع مروان لقتل طلحة انتقاماً لدم عثمان بن عفان فصرعه لمعرفة مروان بعدم قتل الامام للاسرى .
ولو أسر الامام علي عليه السلام لاطلق سراحه مثلما أطلق سراح عبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم .

وذكر أن طلحة لما ولى سُمع وهو يقول :

ندامة ما ندمت وضلّ حلمي ولهفي ثم لهف أبي وأمي

ندمت ندامة الكسعيّ لما طلبت رضا بني جرّم بزعمي

وقيل أنه سمع وهو يقول هذا الشعر وقد جرحه في جبهته عبد الملك ورماه

مروان في أكحله، وقد وقع صريعاً يجود بنفسه^(٥).

وهذا مصير من يقتل شخصاً ويطالب الناس بدمه !! ولم تنفعه أخلاق

١ الاستيعاب ٢ / ٣٢١ / ١٢٨٩ ، تاريخ دمشق ٢٥ / ١٠٢ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٨ .

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣ / ٤١٧ / ٥٥٨٧ ، الطبقات الكبرى ٣ / ٢٢٢ ، تهذیب الکمال ١٣ / ٤٢٣ / ٢٩٧٥ ، تاریخ دمشق ٢٥ / ١٢٠ .

(٢) الارشاد ١ / ٢٤٦ .

(٣) الإمامة والسياسة ١ / ٥٣ ، أنساب الأشراف ٦ / ١٩٦ ، تاريخ المدينة ٤ / ١١٩٨ .

(٤) تاريخ الطبري ٤ / ٤٠٧ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ١٧٥ .

(٥) مروج الذهب ٢ / ٣٦٥ .

الإمام عليه السلام .

مشاركة مروان بن الحكم في حرب الجمل لماذا؟

وهو من أمكر الناس المتحللين من الدين .

وكان على الميمنة في حرب الجمل^(١)، وله فيها دور ماكر . وقتل في مععتها

طلحة ؛ لأنه كان يحسبه قاتل عثمان^(٢)، وجرح في الحرب^(٣)، بيد أن الإمام عليه السلام عفا

عنه^(٤)، ثم التحق بمعاوية^(٥)، واشترك معه في حرب صفين^(٦).

فلم يؤثر فيه عفو الإمام عليه السلام عنه بل بقي طاغية لا يعرف ولا يحترم حدود

الدين .

تولّى حكم المدينة سنة ٤٢هـ^(٧)، وهو الذي حال دون دفن الإمام الحسن عليه السلام

عند جدّه المصطفى عليه السلام^(٨)، عندما قادتهم عائشة على بغل في المدينة .

وفي حرب البصرة قادتهم عائشة على جمل !

وأصبح ملكاً بعد يزيد سنة أشهر^(٩)، فتحقق فيه كلام الإمام أمير المؤمنين

(١) راجع : هوية رؤساء الناكثين / مروان بن الحكم .

(٢) الطبقات الكبرى ٣ / ٢٢٣ ، تاريخ المدينة ٤ / ١١٧٠ ، الاستيعاب ٢ / ٣١٩ / ١٢٨٩ ، تاريخ الطبري ٤ / ٥٠٩ .

(٣) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٨ ، البداية والنهاية ٧ / ٢٤٤ .

(٤) نهج البلاغة ، صدر الخطبة ٧٣ ، الطبقات الكبرى ٥ / ٣٨ ، أنساب الأشراف ٣ / ٥٧ و ٥٨ ، مروج الذهب ٢ / ٣٧٨ .

(٥) أنساب الأشراف ٣ / ٥٨ .

(٦) الإصابة ٦ / ٢٠٤ / ٨٣٣٧ .

(٧) الطبقات الكبرى ٥ / ٣٨ ، تاريخ الطبري ٥ / ١٧٢ ، الكامل في التاريخ ٢ / ٤٥٥ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٤ / ٨ ، تاريخ خليفة بن خياط ١٥٣ وفيهما « سنة إحدى وأربعين » .

(٨) تاريخ المدينة ١ / ١١٠ ، البداية والنهاية ٨ / ٤٤ ، تاريخ يعقوبي ٢ / ٢٢٥ .

(٩) تاريخ الطبري ٥ / ٦١١ ، تاريخ الإسلام للذهبي ٥ / ٢٣٣ ، الاستيعاب ٣ / ٤٤٥ / ٢٣٩٩ ، أسد الغابة ٥ / ١٤٠ / ٤٨٤٨ ، الإصابة ٦ / ٢٠٤ / ٨٣٣٧ وفيه « قدر نصف سنة » .

صلوات الله عليه؛ إذ كان قد شبه قصر إمارته بـ «لَعْنَةُ الْكَلْبِ أَنْفَهُ» (١).

ثم تسلط أبناؤه من بعده، فأنشئ الملك المرواني القاتل للمسلمين والمشوه للمعارف الدينية والمغير للأعراف.

واغتيل مروان سنة ٦٥ هـ بيد زوجته لقتله ابنها معاوية بن يزيد بن معاوية (٢). وقال رسول الله ﷺ: «إني أريت في منامي كأن نبي الحكم بن أبي العاص يتزور على منبري كما تزور القردة». قال: فما روي النبي ﷺ مستجعماً ضاحكاً حتى توفي (٣). وقال ابن موهب أنه كان عند معاوية بن أبي سفيان، فدخل عليه مروان، فكلمه في حوائجه، فقال: اقض حاجتي يا أمير المؤمنين، فوالله إن مؤنتي لعظيمة، إنني أصبحت أبا عشرة، وأخا عشرة، وعم عشرة، فلما أدر مروان وابن عباس جالس مع معاوية على سريره، فقال معاوية: أنشدك الله يا بن عباس، أما تعلم أن رسول الله ﷺ قال: «إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً أخذوا مال الله بينهم دولاً، وعباده خولاً، وكتابه دغلاً» (٤).

الحقيقة أن الحديث نزل في أبي العاص جد عثمان بن عفان وجد مروان: إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً أخذوا مال الله دولاً وعباده خولاً وكتابه دغلاً (٥).

(١) نهج البلاغة، الخطبة ٧٣.

(٢) الطبقات الكبرى ٥/ ٤٣، تاريخ الطبري ٥/ ٦١٠، الكامل في التاريخ ٢/ ٦٤٦، مروج الذهب ٣/ ٩٧، الاستيعاب ٣/ ٤٤٥/ ٢٣٩٩.

(٣) تعاوروه: تداولوه فيما بينهم (تاج العروس ٧/ ٢٧٦). المعجم الكبير ٢/ ٩٦/ ١٤٢٥، مقتل الحسين للخوارزمي ١/ ١٧٣. نزوت على الشيء: إذا وثبت عليه (لسان العرب ١٥/ ٣١٩). المستدرک علی الصحیحین ٤/ ٥٢٧/ ٨٤٨١، مسند أبي يعلى ٦/ ٦٣/ ٦٤٣٠، مقتل الحسين للخوارزمي ١/ ١٧٣، سير أعلام النبلاء ٢/ ١٠٨/ ١٤ نحوه.

(٤) دولاً: جمع دولة؛ وهو ما يتداول من المال؛ فيكون لقوم دون قوم. وخولاً: أي خدماً وعبداً.

(٥) شرح النهج ٢/ ١٧٠، تاريخ الطبري ٥/ ١٩٩، مختصر تاريخ ابن عساكر ٥/ ٣٦٤،

فحرف المنافقون الحديث لإبعاد عثمان عن القول النبوي الشريف.

ماذا سيحدث لو انتصرت عائشة في حرب الجمل؟

كانت عائشة على شاكلة مروان إذ عصت أمر الله تعالى بقوله:

«وَقَوِّنْ فِي بُيُوتِكُمْ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (١).

فخرجت إلى البصرة وسط جموع العساكر تضرب العساكر ببعضها منادية بقتل خليفة المسلمين ووصي المصطفى ﷺ.

وعصت الأمر النبوي لها بعد خروجها على جمل عسكر إلى البصرة لمحاربة الإمام علي عليه السلام وإثارة الفتنة بين المسلمين، وكان الأجدربها بعد قتلها لعثمان بن عفان الركون إلى بيتها وعبادتها، لكنّها طالبت بقتل خليفة المسلمين علي عليه السلام لتعين ابن عمها طلحة زعيماً للبلاد ضاربة عرض الحائط بيعة المسلمين للإمام علي عليه السلام ووصايا النبي ﷺ له.

وطلحة هو ذلك الرجل الذي تمى موت سيد الرسل كي يتزوج عائشة (٢).

وفي المعركة رفعت عائشة كيساً مليئاً بالدنانير الذهبية التي اختطفها من بيت

مال المسلمين في البصرة هدية لمن يقتل علياً عليه السلام، ليصل طلحة إلى الحكم.

ولم يعد النبي ﷺ أحداً بذهب ولا فضة لقتل أحد من الكافرين فكيف بقتل

خليفة المسلمين المنتخب، والموصى عليه الهياً.

(١) الاستيعاب ٣/ ٢٠٣، أسد الغابة ٢/ ١٩٩، تاريخ ابن الأثير ٣/ ٩٤، العقد الفريد ٤/ ٣٢٢، المستدرک، الحاكم ٣/ ٣٦٦، كنز العمال ٦/ ٨٢.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٢٥٣، كتاب المفارجات، الزبير بن بكار، شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد ٢/ ١٠٣ ط دار الفكر ١٣٨٨، المحلى، ابن حزم الأندلسي ١١/ ٢٢٥.

(٢) البحار ١٧/ ٢٧، ٢٢/ ١٩٠، ٣٢/ ١٠٧، شرح النهج ٩/ ٥٦، تفسير الكاشاني ٤/ ١٩٦، تفسير الحويزي ٤/ ٣٩٨.

ولو انتصر جيش عائشة في حرب الجمل لحدثت حرب عارمة بين طلحة والزبير على الحكم.

وسوف تجد عائشة نفسها مضطرة لخوض معركة جديدة على جمل أو فيل. ولا ندري من تفضل عبداً لله بن الزبير ابن أختها أسماء أم ابن عمها طلحة؟ وطلحة لم يكن ابن عمها في النسب بل هؤلاء من أولاد مؤسسة عبدالله بن جدعان السيئة الصيت.

ولو انتصرت عائشة لاضطرت لخوض حرب كبرى ضد معاوية بن أبي سفيان.

ولو انتصرت عائشة في حرب الجمل لأصدرت فتوى بقتل الأسرى وغنيمة أموالهم وسبي نساءهم المسلمات وأولادهم، أي عكس ما فعله الإمام علي عليه السلام مع أسرى معركة الجمل.

ولكانت الفتنة أعظم مما حدثت في البصرة لكن الله تعالى لم يسمح لها بالانتصار ولا لأهدافها بالتطبيق فعادت إلى المدينة تجرّ أذيال الخيبة بانتظار مكيدة جديدة تغلب بها على آل بيت النبوة^(١).

الدلائل والعبر في معركة الجمل

السيدة عائشة نموذج لامرأة عاشت مع سيّد الأنبياء عشر سنين ولم تستفد من تجربته، ولم تتدبّر في قول الرحمن سبحانه لنساء النبي.

(١) تاريخ الطبري ١٩٩/٥، مختصر تاريخ ابن عساکر ٣٦٤/٥، الاستيعاب ٢٠٣/٣، أسد الغابة ١٩٩/٢، تاريخ ابن الأثير ٩٤/٣، العقد الفريد ٣٢٢/٤، المستدرک، الحاکم ٣/٣٦٦، كنز العمال ٨٢/٦، شرح النهج ١٧٠/٢.

فالسيدة عائشة أعلنت سرورها بمقتل فاطمة عليها السلام سنة ١١ هجرية. وسنة ٣٥ هجرية تذكّرت قول سيّد الرسل لها عند سماعها نبأ كلاب الحوآب بعد الخروج إلى الفتنة ومحاربة الإمام علي عليه السلام.

فهي سمعت قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام ستقاتل الناكثين وأصبحت منهم. فأصرت على مشروعها الدامي القاضي بقتل أمير المؤمنين علي عليه السلام وهي سمعت قول النبي ﷺ: بأنه سيقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين^(١).

ولم تتقّ قوله تعالى: وقري في بيتك. وخالفت عائشة قضية أخرى سمعتها من سيّد الأنبياء في قوله له: يا علي سيقتلك أشقى الآخرين^(٢).

فكانت في ساحة معركة الجمل تمدّ يديها بالليرات الذهبية مطالبة برأس علي عليه السلام مقابل ذلك الذهب لتكون أشقى الآخرين. فألحّت في معركة الجمل لقتل علي عليه السلام وجمعت له جمعاً عظيماً كانت أكثر من تعداد جيش علي عليه السلام وهي تقودهم قيادة عسكرية ميدانية.

ولم يطفئ نار قلبها ما فعله أبوها برسول الله ﷺ بقوله له يهجر في يوم شهادته^(٣).

وأمره بإحراق بيت فاطمة بنت محمد ﷺ التي راحت ضحية ذلك الهجوم

(١) الفرائد، الحموي، الباب ٢٧، ٢٩، الكفاية، الكنجي ٦٩، كنز العمال ١٥٤/٦، الاستيعاب ٥٣/٣، ميزان الاعتدال، الذهبي ٢٦٣/٢، مجمع الزوائد ٢٣٩/٣، المستدرک، الحاکم ١٣٩/٣، أسد الغابة ١١٤/٤، تاريخ بغداد ٣٤٠/٨، فرائد السمطين ١/٢٨٤، كفاية الطالب ١٦٩، البداية والنهاية ٣٣٨/٧.

(٢) تذكرة الخواص ١٧٢، البحار ١٩٧/٤٢، الاستيعاب ٦٠/٣، شرح النهج ١١٧/٩، شواهد التنزيل، الحسكاني ٤٣٦/٢، تاريخ دمشق ٥٤٦/٤٢، المناقب، ابن الدمشقي ٢/٨٦، سبل الهدى، الشامي ٣٠٥/١١.

(٣) يهجر أي يتكلم بدون عقل ولا وعي أي يهذي ويخط كالمجنون والسكران والعياذ بالله من شرّ أذئاب وأهوان إبليس.

العاصف عليها .

ونست ندم أبيها على الحادث المذكور .

ولم تصل عائشة إلى بغيتهما في معركة الجمل فعادت إلى المدينة خائبة ذليلة لم تتحقق أهدافها .

ولم تنتن عن مشروعها القاضي بطمس معالم أهل بيت محمد ﷺ وإعلاء شأن معالم بني تيم وقريش .

وفي سنة ٤٠ هجرية ، وبعد مضي خمس سنين على معركة الجمل جاءتها الأخبار بمقتل سيد الأوصياء علي بن أبي طالب عليه السلام ففرحت فرحاً لم تفرحه من قبل وتمثلت بقول الشاعر المسرور :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما يلق عينا بالاياب المسافر^(١)

وهي تملن مراراً وتكراراً قول النبي ﷺ لعلي عليه السلام : علي سيد العرب وإمام المتقين^(٢) .

ولم تنطق نار قلب السيدة عائشة لبقاء الحسن والحسين عليهما حين .

وبعد ثمانية عشر سنة .

ولما قتل معاوية الإمام الحسن عليه السلام مسموماً مظلوماً فرحت عائشة ولما جي به ليدفن مع جدّه محمد ﷺ في غرفة أمّه فاطمة عليها السلام ركبت عائشة بغلة وقادت جموع بني أمية في حرب جديدة تمنع فيها هذا الدفن المشروع .

(١) مقاتل الطالبين ، ٢٦ ، شرح الأخبار ٢ / ٧٠ ، الأمالي ، الطوسي ١٦١ ، الصراط المستقيم ٣ / ١٦٤ ، الجمل ، المدني ٣٦ ، مدينة المعاجز ٣ / ٣٨٠ ، البحار ٥٠ / ١٠١ ، تاريخ الطبري ، حوادث سنة ٤٠ ، طبقات ابن سعد ٣ / ٢٧ ، شرح النهج ٤ / ٢٤٩ ، النبيان ، الطوسي ٤ / ٤٩١ .

(٢) المعجم الكبير ٣ / ٨٨ / ٢٧٤٩ عن أبي ليلى ، حلية الأولياء ١ / ٦٣ ، بشارة المصطفى ١٠٩ عن سلمان عنه عليه السلام .

فأشبعوا جثان الإمام الحسن عليه السلام ضرباً بالسهم حتى أصبح كالفند^(١) .

وهي تقول قال النبي ﷺ : الحسن والحسين سيّدنا شباب أهل الجنة !

ولم يحالفها الحظّ في دوام العيش إلى سنة ٦٠ هجرية لترى أحلام قريش تتحقّق في أرض كربلاء وكيف داست الخيل الأموية جسد الحسين بعد ذبحه مع أهله وصحبه .

فلم يتحقّق حلمها في سماع ابن المصطفى ينادي : ألا من مغيت بغيئنا ، ألا من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله ودموعه جارية على خديّه .

فلم يجد جواباً إلاّ السهام والسباب .

فشهدت السيدة عائشة مقتل المصطفى بيديها وهو يتصورُ المأمن أثر السمّ .

وسمعت بأذنيها بكاء سيّدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام بعد كسر ضلعها بأمر أبيها .

وشاهدت بعينيها اصفرار وجهها ونحول جسدها في تلك الأيام القلائل بعد أبيها .

وساهمت بأوامرها الحادّة في قتل علي عليه السلام إمام المتقين^(٢) وثاني أهل بيت

اليقين عليه السلام في مصرعه في محراب مسجد الكوفة .

فشجعت الناكثين والقاسطين والمارقين^(٣) على المساهمة في اراقة دماء أهل

بيت المصطفى فلبّت نداءها جعدة بنت الأشعث وسمّت الحسن ابن فاطمة عليها السلام

(١) الايضاح ، ابن شاذان ٣٦٢ ، شرح الأخبار ٣ / ١٣٥ ، الإرشاد ، المفيد ٢ / ١٩ ، البحار ٤٤ / ١٥٤ ، المناقب ، ابن شهر آشوب ٣ / ٣٠٥ .

(٢) المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٧ ، كنز العمال ٣ / ١٥٧ ، مجمع الزوائد ، الهيثمي ٩ / ١٢١ ، حلية الأولياء ١ / ٦٣ - ٦٤ ، تاريخ بغداد ١١ / ١١٢ ، ١٣ / ١٢٢ ، الإصابة ، ابن حجر ٤ / ١٧٠ - ١٧١ .

(٣) الفرائد ، الحموي ، الباب ٢٧ ، ٢٩ ، الكفاية ، الكنجي ٦٩ ، كنز العمال ٦ / ١٥٤ ، الاستيعاب ٣ / ٥٣ ، ميزان الاعتدال ، الذهبي ٢ / ٢٦٣ ، مجمع الزوائد ٣ / ٢٣٩ ، المستدرک ، الحاكم ٣ / ١٣٩ ، أسد الغابة ٤ / ١١٤ ، تاريخ بغداد ٨ / ٣٤٠ ، فرائد السمطين ١ / ٢٨٤ ، كفاية الطالب ١٦٩ ، البداية والنهاية ٧ / ٣٣٨ .

مقابل مال معاوية (١) مثلها سمّت عائشة وحفصة رسول الله ﷺ (٢).
وثأر يزيد بن معاوية ابن هند ابن جميع طغاة قريش من الحسين عليه السلام في كربلاء قائلاً:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
وفي تلك المذبحة المروعة انتصر الطغاة بكافة ألوانهم وأطيافهم مادياً على
المحرومين.

وفي ذات المعركة الشهيرة انتصر الدم على السيف فانتكست راية الأشرار
وارتفعت راية الأحرار وفاز المستضعفون وانهمز الظالمون.

وفي كل يوم تلتحق قوافل جديدة بمسيرة الحسين عليه السلام فهي دلائل وعبر لمن
فهم واستعبر، وترك راية الكفر وكبر.

وقد أشار النبي ﷺ إلى دار عائشة قائلاً: ها هنا الفتنة ثلاثاً من حيث يخرج
قرن الشيطان (٣).

وقال النبي ﷺ: الحسين مصباح الهدى وسفينة النجاة (٤).
فالإنسان الطيب المولد والزكي النفس والإسلامي المنحأ ينتخب طريقه
الصحيح قبل فوات الأوان ولا يكون كفرعون الذي آمن عند غرقه في نهر النيل
حين مشاهدته آية الله العظمى.

ولا يكون كعبيد الله بن عمر الذي فرّ من القصاص لقتله أناساً أبرياء
فصرعه الله تعالى في صحراء صفين.

وقد قال البارئ عز وجل: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ».

(١) مقاتل الطالبين، أبو الفرج الأصفهاني ٣١، الكافي ١ / ٤٦٢، الامالي، الصدوق ٢٠٢.

(٢) البحار، المجلسي ٢٢ / ٥١٦.

(٣) صحيح البخاري ٤ / ٤٦ ط. دار الفكر - بيروت عن طبعة دار الطباعة العامرة استانبول

١٤٠١ هجرية، صحيح مسلم ٨ / ١٨٠ ط. دار الفكر، بيروت، مصنف ابن أبي شيبة ٧ / ٥٥٢.

(٤) مدينة المعاجز ٤ / ٥٣.

فهرس الكتاب

٣	الباب الأول:
٣	أحداث السقيفة وما تلاها من عقود عصيبة
٥	الفصل الاول: زمن أبي بكر
٥	الفتنة
٨	المنافقون والاعراب والطلاق ناصر والسقيفة
١٠	اعترافات أبي بكر اللطيفة
١٥	اعتراف أبي بكر بعدم بيعه الإمام عليه السلام له
١٦	العلماء: لم يبايع الإمام عليه السلام أبابكر
١٩	رواة التاريخ: لم يبايع الإمام علي عليه السلام أبابكر أبداً
١٩	القبائل التي لم تبايع أبابكر
٢١	الصحابة المخالفون لبيعة أبي بكر
٢٣	هل بايع علي عليه السلام الخلفاء مكرهاً؟
٢٤	معاوية بين عدم مبايعة الامام عليه السلام لابن بكر
٢٦	لماذا لم يبايع الإمام عليه السلام أبابكر
٢٦	كلمة فاطمة الزهراء بعد قضية السقيفة
٣٢	معارضة الإمام الحسن عليه السلام
٣٣	سعد بن عباد رئيس الانتصار لم يبايع أبابكر
٣٦	معارضة عمار بن ياسر
٣٦	معارضة أبي ذر
٣٧	معارضة المقداد

- هل كان الامام يعرف ما سوف يدبر ضده؟ ٦٨
- بماذا تختلف البيعة الاسلامية عن البيعة الديمقراطية؟ ٦٩
- الاعراف العشائرية في الانتخابات السياسية ٧١
- الجهاهير ومنها القبائل رشحت الامام للخلافة؟ ٧٨
- هل أوصى النبي ﷺ في يوم الخميس؟ ٧٩
- القائلون بالوصية: ٨٠
- نظرية قريش: حسبنا كتاب الله ٨٨
- وصي النبي ﷺ وخليفته ٩٢
- النبي ﷺ ممنوع من كتابة وصيته ١٠٢
- الباب الثاني: علاقة الإمام علي ﷺ مع عمر وعثمان ١٠٥
- الفصل الأول: علاقة الامام علي - عمر
- اعترافات عمر بنصوص الهيئة في ولاية علي ﷺ ١٠٧
- اعتراف عمر بأعلمية علي وجهالة رجال الحزب القرشي ١١٦
- اعتراف عمر بأحقية الامام ﷺ في الخلافة ١٢١
- ثناء عمر على الامام علي ﷺ ١٣٠
- عمر يذكر فضائل علي ﷺ ١٣٦
- اعترافات معاوية الخطيرة ١٣٨
- اعترافات يزيد المهمة ١٤٠
- مدرسة القانون واللاقنون تظهر في قضية فدك ١٤٠
- عمر لم يرد فدكاً في خلافته ١٤٣
- مطالبة أمير المؤمنين بالخلافة ١٤٤
- قول علي ﷺ في أبي بكر عمر ١٤٨
- اتفاقات المشاركة في السلطة وتناوبها ١٤٩

- معارضة عتبة بن أبي لهب ٣٨
- معارضة أبي أيوب الأنصاري: ٣٨
- معارضة عبد الله بن أبي بن كعب: ٣٩
- معارضة النعمان بن عجلان ٤٠
- معارضة عثمان بن حنيف ٤٠
- معارضة سهل بن حنيف ٤٠
- معارضة خزيمه بن ثابت ٤١
- معارضة أبي الهيثم بن النيهان: ٤٢
- الاحراق والذبح لمن لا يبايع ٤٢
- عمر يطالب بقتل الامام علي ﷺ ٤٣
- تحذير الإمام ﷺ للمهاجرين والانصار ٤٤
- منع العطاء عن المعارضة ٤٦
- الحسد ٤٦
- كيف نسي الصحابة نص الغدير؟ ٤٩
- اجتماع النصوص الإلهية في علي ﷺ ٥٠
- الفصل الثاني: النظرية الاسلامية في الحكم ٥٤
- هل تطمس السقيفة النص الالهي؟ ٥٤
- آية البلاغ وولاية الامام علي ﷺ ٥٥
- تأويل النص الإلهي ٥٨
- كيف نسي الناس بيعتهم في الغدير؟ ٦٠
- بيعة المسلمين في الغدير هل هي دينية ام سياسية؟ ٦٢
- بيعة المسلمين للامام في الغدير هل كانت الهية أم جماهيرية؟ ٦٤
- لو تعارض النص الالهي مع التصويت الجماهيري من هو المقدم؟ ٦٥

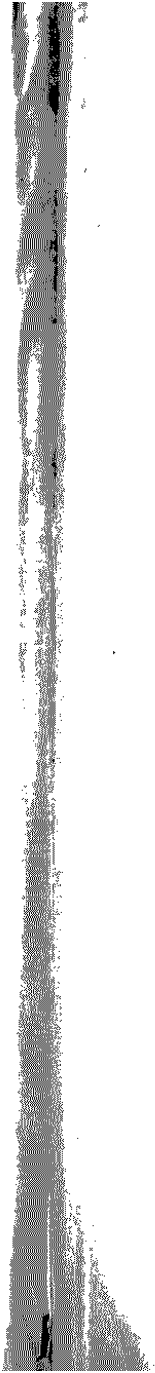
١٩١	الباب الثالث: حكومة الامام عليه السلام
١٩٣	الفصل الاول: نظرية الامام السياسية
١٩٣	رفض البيعة السرية ووجوب البيعة العلنية
١٩٣	البيعة العلنية:
١٩٤	البيعة السرية:
١٩٧	المعارضون لبيعة الامام علي عليه السلام
١٩٩	الخطبة الشقشقية
٢٠١	الفصل الثاني: النظرية المالية لعلي عليه السلام
٢٠١	بيت المال
٢٠٢	مراتب الناس في العطاء
٢١٢	مساواة الطلقاء بمقاتلي بدر في العطاء
٢١٣	رأي الامام علي عليه السلام في بيت المال
٢١٦	تفضيل عائشة وحفصة وأم حبيبة على سائر النساء
٢١٨	اختلاف العطاء ومقتل عثمان!
٢١٩	أراد معاوية قطع رواتب أهل العراق
٢١٩	راتب الخليفة علي عليه السلام
٢٢٣	الخراج والصدقات
٢٢٥	قول علي عليه السلام لما أنكروا عليه مساواته في القسمة
٢٣٠	عمار بن ياسر والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر
٢٣٢	الفصل الثالث: معركة الجمل
٢٣٢	أحداث المدينة قبل معركة الجمل
٢٣٩	طلب طلحة والزبير للمال مع ترائهما العظيم
٢٤٢	اجتماع جند الجمل في مكة

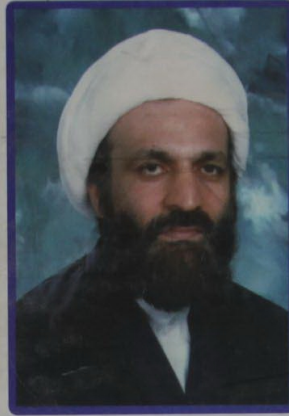
١٥٠	اتفاق تناوب السلطة بين أبي بكر وعمر
١٥٠	لماذا باع أبو بكر وعمر الشام والطائف لأبي سفيان؟
١٥٢	اتفاق عمر - عثمان السري
١٥٣	اتفاق عثمان - ابن عوف وخيانة عثمان للمعاوية
١٥٤	مؤامرة معاوية - ابن العاص
١٥٤	مساومة معاوية - الأشعري
١٥٥	زواج عمر من أم كلثوم بنت علي عليه السلام هل له حقيقة؟
١٥٩	الفصل الثاني: علاقة الامام علي - عثمان
١٥٩	النبي صلى الله عليه وسلم يصف عثمان وأهله
١٦٠	مسرحة انتخاب عثمان
١٦١	قول الامام علي عليه السلام لأهل الشورى
١٦٢	عثمان يركل المؤمنين برجله
١٦٣	عثمان والألفاظ الجاهلية
١٦٦	علاقة عمار - عثمان
١٦٩	مواقف عثمان ضد عمار
١٧٠	معرفة عمار بخبر مقتله
١٧٠	كان أبوذر الغفاري مخلصا للامام علي عليه السلام
١٧٢	جهاد أبي ذر في الشام
١٧٧	قول النبي صلى الله عليه وسلم في عثمان
١٧٩	قول النبي صلى الله عليه وسلم في أبي ذر
١٨٤	العلاقة السيئة بين المقداد - عثمان
١٨٦	اغتيال المقداد بيد عثمان
١٨٩	الاغتيال الجماعي للصحابة بيد عثمان

- ٢٤٢ فرع عائشة بمقتل عثمان وتولي طلحة الزعامة
- ٢٤٥ الاستعدادات في مكة
- ٢٤٦ تجتمع الناكثين في مكة والتحق الزبير وطلحة بمكة
- ٢٤٨ انتخاب العصاة لبلد العيصان
- ٢٤٩ رسائل عائشة
- ٢٥٠ خروج عائشة إلى البصرة
- ٢٥١ هل سمي النبي ﷺ لعائشة اسم جملها؟
- ٢٥٢ أحداث الطريق
- ٢٥٥ من هم الناكثون في القرآن والسنة
- ٢٦١ أفعال الأشعري المنكرة في معركة الجمل
- ٢٦٤ أحداث البصرة
- ٢٦٦ لماذا غدر الزبير وطلحة وعائشة بيهودهم في أحداث البصرة؟
- ٢٦٨ محاصرة دار الإمارة
- ٢٦٩ قتل عائشة للأسرى
- ٢٧٠ صراع الزبير - طلحة
- ٢٧٢ مسير الإمام إلى البصرة
- ٢٧٤ الإمام علي في البصرة
- ٢٧٥ رسالة عائشة الخطيرة إلى حفصة
- ٢٧٦ لماذا لم تكلم أم سلمة عائشة حتى ماتت؟
- ٢٧٧ أثر عبدالله بن عامر في حرب الجمل
- ٢٧٩ عراب حرب الجمل يعلى بن مثنىة
- ٢٨٠ استغاثة مروان
- ٢٨١ رسائل معاوية الى طلحة والزبير
- ٢٨٣ أحداث ما قبل المعركة

- ٢٩٠ قادة جند أمير المؤمنين عليه السلام
- ٢٩١ قادة جند الجمل
- ٢٩٤ جيش الإمام عليه السلام وجيش عائشة
- ٢٩٥ رموز أصحاب الإمام
- ٣٠٠ أحداث المعركة
- ٣٠٦ أحداث ما بعد المعركة
- ٣١٢ عفو الإمام عليه السلام عن الأسرى
- ٣١٤ هل يجوز التمثيل بجث الموتى؟
- ٣١٦ بيع جث الموتى
- ٣١٧ أسباب بغض عائشة للإمام عليه السلام
- ٣١٨ ابن عباس وعائشة
- ٣٢٠ عدد القتلى
- ٣٢١ هل ندمت عائشة؟
- ٣٢٣ غنائم معركة الجمل
- ٣٢٦ معاتبة الإمام عليه السلام للناكثين
- ٣٢٧ الزبير بن العوام
- ٣٣١ عبدالله بن الزبير
- ٣٣٤ طلحة بن عبيدالله
- ٣٣٦ ندم طلحة
- ٣٣٧ مشاركة مروان بن الحكم في حرب الجمل لماذا؟
- ٣٣٩ ماذا سيحدث لو انتصرت عائشة في حرب الجمل؟
- ٣٤٠ الدلائل والعبر في معركة الجمل







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله من جملة ما انعم الله تعالى على العالم البخّاءة المحقق
نجاح الطائي ان وفقه لتأليف كتب كثيرة كشف النقاب فيها عن
أحداث مختلقة و جنایات صدرت من سلاطين الجور تمكنوا من
سترها ١٤٠٠ سنة بمساعدة المؤرخين و المحدثين و الرجاليين
فأحدثت أصداءً قوية في العالم على رأسها :
عدم حضور ابي بكر في الغار، و شهادة النبي (ص)، و اغتيال ابي بكر
و حكومته، و كذب مذابح اليهود بيد البابليين، و كذب مقتل أسرى يهود
بني قريظة بيد رسول الله (ص).

آية الله ابراهيم الانصاري الخونيني

رمضان ١٤٢٤